

مجلة علمية تاريخية صحية أدبية

سنتها عشرة أشهر

وتعوض عن الشهرين الباقيين بكتاب هدية للمشتركين في آخر السنة

تصدر مرة في الشهر

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك ستون قرشاً بالقطر المصري و ٢٠ فرنكاً في الخارج تدفع مقدماً

AL-HILAL

Scientific & Literary Arabic Review

Edited by

G. ZAIDAN *M. R. A. S.*

Subscription: 16 sh. or 20 Frs. Per Annum

October 1906

١ اكتوبر [illegible]



الاميرالاي الدكتور موصلي باك

عيادته بشارع المناخ نمرة ٢ بملك طومش تجاه مدام ماتيه الحلوانية بمصر
يستقبل المرضى كل يوم من الساعة الثالثة الى الساعة الخامسة بعد الظهر الاَّ ايام الاحد . ويمكن مقابلته في غير هذا الميعاد باتفاق خصوصي

The Gresham Life
Assurance Society Limited

شركة جريشام ليمتد

لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ٤ ١٩

راس المال الاحتياطي	٩و٠٠٠و٠٠٠ جنيه
مدخولها السنوي	١و٢٥٠و٠٠٠ «
المدفوع للمؤمنين	٢٠و٠٠٠و٠٠٠ «

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس . سمو البرنس حسين باشا كامل
نائب رئيس . السيرجون روجرس ك . س . م . ج .
سعادة بوغوص باشا نوبار ف . ه رسل من محل الخواجات رسل وكر وثبات
الدكتور هربرت ملتن

اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهرًا لابنتك او رأس مال لابنك .

وهي تعطي أيضاً سلفيات على رهن عقارات بفوائد متهاودة جدًّا .

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة للقطر المصري وفلسطين والشام الكائن بشارع قصر النيل بالقاهرة ٧ — ١٤ — ١٠



الجزء الاول من السنة الخامسة عشرة

١ اكتوبر (ت ١) سنة ١٩٠٦ و ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

اشهر البيوت واعظم الرجال

بيت روتشيلد

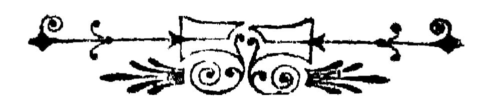
اشهر بيوت المال في اوربا

١ — اسباب النجاح

الثروة اشهى ما يطمع فيه الناس لانها تساعدهم على ما تتطلبه نفوسهم من المشتهيات المادية او المعنوية الجسدية او العقلية فهم يسعون في طلبها ويحلمون بها ولا ينالها الآ افراد تدفرت فيهم المواهب المساعدة على نيلها وتوفقوا الى احوال اعدت لهم اسبابها . ولا تنال الثروة اعتباطًا او عبثًا وانما ينالها اهل النشاط والذكاء بجدهم وسهرهم بعد أن يذيبوا ادمغتهم في استنباط الاسباب وتدبير الحيل ومراقبة الفرص مما يحتاج الى ذكاء وتعقل وسداد رأي ولاسيما في هذا العصر عصر الجهاد في سبيل الحياة . فيجتزئون من اسبابها على نسبة ما يبذلونه من السعي والاجتهاد . الاَّ نادرًا ولاسباب عارضة كالاثراء بطريق الارث او بالعثور على كنز او معدن او صعود الاسعار بغتة لما يملكونه من عقار او نحوه مما لا يحتاج الى تعقل او ذكاء . فهذا لا يجوز اتخاذه قاعدة وانما القاعدة ان ينال الانسان من دنياه بقدر سعيه

امشیل روتشیلد

دوسس بیت روتشیلد



وما نجاح الكاذبين الاَّ الى حين. على ان الاستقامة وحدها لا تفيد شيئاً لان المستقيم اذا جردته من المعرفة والثبات كان كالعجماوات لأنها سليمة القلب لا تعرف الغش و يندر ان تسرق او تخدع.. وانما يشترط في الاستقامة ان تكون دعامة للمعرفة لا أن تكون هي رأس مال العامل وحدها

(٥) الاجتهاد : قد تتوفر في الرجل المعرفة والاستقامة والثبات وحسن الاختيار ولا يصيب الاَّ نجاحاً قليلاً لكثرة المناظرين له في مهنته او لاسباب اخر. فلا يتم نجاحه الاَّ بالجد والسهر وقد يكون الرجل متوسط الذكاء والمعرفة فيعوّض جدُّه عن ذلك النقص

(٦) مراقبة الفرص : ان اغتنام الفرص من اكبر اسباب النجاح وهي على الغالب أهم وسائل الاثراء. اذ قد تسنح الانسان فرصة اذا تنبه لها واغتنمها اغنته عن سعي كثير وفتحت له باباً للكسب الطائل لا يتوقعه من عمله الاعتيادي

(٧) اسلوب المعاملة : هذا سرٌ عظيم من اسرار النجاح اذ قد يكون الانسان متقناً ثابتاً مستقيماً مجدَّاً ساهراً ولا يصيب نجاحاً كبيراً لانه لا يحسن معاملة الناس او انه اتخذ في معاملتهم اسلوباً لا يرضيهم. و ينبغي لطالب النجاح ان يتحلى بالاخلاق الرضية مع خفة الروح ورقة الطبع ودقة الشعور. فاننا نعرف غير واحد من اشهر المتقنين لاعمالهم وقد فشلوا لانهم لم يحسنوا الاسلوب في المعاملة وكثيراً ما يتوقف نجاح الانسان على حسن اخلاقه اكثر مما على حدة ذهنه وذكائه

فمن اتقن صناعة أو تجارة او عملاً من الاعمال وتعاطاه في المكان الموافق لهُ حيث يرجى رواجه وتوخى الاستقامة والامانة وتحمل ما قد يعترض نجاحه من الطوارىء فثبت وصبر وسهر على عمله وترقب الفرص واحسن معاملة الناس فان نجاحه مضمون لا ريب فيه ويختلف هذا النجاح مقداراً وكيفية باختلاف المواهب وبما يحفُّ بالانسان من الاحوال أو يطرأ عليه من العوارض. فقد يقتصر النجاح على ما يقوم بأود الحياة وقد يأول الى ثروة طائلة. غير ان الثروة يندر ان يجمعها شخص واحد الاَّ اذا توفق الى فرص خصوصية احسن اغتنامها كما فعل مؤسسو بيت روتشيلد فان تاريخ تأسيسه من اوضح الامثلة لاستثمار الاجتهاد والنشاط والاستقامة واغتنام الفرص واكثر الامم سعياً في جمع الثروة اليهود من قديم الزمان ولا يزالون الى الآن

٢ — اليهود والثروة

اليهود من اقدم الشعوب واذكاها وكانت لهم دولة في العهد القديم ونبغ منهم قضاة

وعلى نسبة مواهبه

ومن الاوهام الشائعة « ان الثروة لاتنال بطريق الحلال وان الانسان الامين المستقيم يعيش فقيرًا و يموت معوزًا وانما يثري الكاذبون اهل الحيل والنفاق » . ولهم في ذلك اقوال واشعار وامثال . وهو عذر الذين يفشلون في سعيهم مع رغبتهم في العمل وسهرهم واستقامتهم فينسبون فشلهم الى صدقهم وسلامة نيتهم . وهم انما فشلوا لافتقارهم الى بعض معدات النجاح كالذكاء او المعرفة او الثبات او نحو ذلك . لان الاستقامة وحدها لا تكفي ولو رافقها السعي والسهر والبك اهم ما يحتاج اليه الانسان من اسباب النجاح على العموم

(١) المعرفة : اول ما يحتاج اليه طالب النجاح في هذه الحياة ان يكون متقنًا لعمل من الاعمال الصناعية او التجارية او الزراعية او القلمية كان يكون نجارًا ماهرًا او تاجرًا محنكاً في اصناف التجارة او عارفًا الحساب التجاري او مزارعًا يعرف اصول الزراعة علمًا وعملاً او عالمًا بفن من الفنون القلمية او متقنًا مهنة من المهن العلمية كالطب والمحاماة او الترجمة او الانشاء او نحو ذلك . ويكفي ان يعرف مهنة واحدة معرفة جيدة لا ان يعرف غير واحدة معرفة ناقصة فان المكثر لا يتقن والنجاح يحتاج الى اتقان

(٢) حسن الاختيار : وهو ان يحسن الانسان اختيار المهنة الملائمة لمواهبه و يضعها في المكان الموافقة له . فلا يتعاطى الصناعة وهو مفطور على التجارة ولا يشتغل بالعلم اذا لم تتوفر فيه المواهب اللازمة له . ولا يتعاطى عملاً حيث لا يرجى له رواج كان يتجر بالاقمشة السميكة في البلاد الحارة او ينشيء معملاً لمصنوعات لا تروج في تلك البلاد او انها تكلف اكثر مما تكلفه اذا حملت اليها من الخارج او نحو ذلك مما لا يمكن حصره وانما يتكفل بتمييزه الذوق السليم

(٣) الثبات : كثيرًا ما يفشل العامل ولو توفرت فيه المعرفة اللازمة وحسن الاختيار و يغلب ان يكون سبب فشله استعجاله في استثمار عمله . فاذا لم يذق ثمر سعيه عاجلاً عدل عنه وشكا سوء حظه او نقم على الزمان لانه لا يساعد غير الجهال . . . وقد ياتي بالشواهد القريبة عن اناس افلحوا وهم اقل منه معرفة وقد فاته انهم انما افلحوا بالثبات او بغيره من الاسباب التي لم تتوفر فيه وهي لازمة للنجاح

(٤) الاستقامة : من الامثال الشائعة على ألسنة صغار الباعة ان هذا الزمان لا ينفق فيه غير النفاق ولا يروج فيه غير الغش وهم يقولون ذلك في كل زمان . وهو غير الواقع لان الاستقامة والامانة من اهم اسباب النجاح ولا سيما في هذا العصر عصر الحق والحرية

٣ — بيت روتشيلد

اشهر بيوت الاموال في العالم اليوم اثنان روتشيلد في اوروبا وركفلر في اميركا . اما هذا فثروته لا تبقى وقد لا تتعداه الى نسله اذ يموت و يقتسم الورثة امواله وهيهات ان يحسن الاولاد حفظها او استثمارها فتبعثر وتكون مثل شهرة بونابرت ظهرت في حياته فبهرت العالم فلما سقط سقطت . واما بيت روتشيلد فانه قائم على دعائم ثابتة وضعها مؤسس هذا البيت وهي تقضي [illegible]اء الثروة للعائلة تحت شروط محكمة تضمن طول بقائها . فيمضي روتشيلد و يأتي روتشيلد و يبقى بيت روتشيلد ثابتاً لا يتزعزع . وهكذا دول تسقط ودول تقوم والبيوت المالية باقية لان الملوك احوج الى بيوت المال من حاجة اصحاب هذه البيوت الى ملوكهم والحوادث الجارية تؤيد ذلك . فبيت روتشيلد دولة مالية ارسخ قدماً وامنع حصناً من الدول السياسية وليس شانهم في دولة المال اليوم كما كان في القرن الماضي لظهور بيوت اخرى مهمة ولكنهم لا يزالون ملوكا يحتاج الملوك الى اموالهم

﴿ امشيل روتشيلد ﴾ جد هذه العائلة رجل اسمه امشيل من عائلة اسرائيلية فقيرة ولد في فرنكفورت سنة ١٧٤٣ وكان لابيه فيها حانوت يبيع فيه الآثار القديمة او نحوها وعلى باب الحانوت ترسٌ احمر اللون يمتاز به عن سائر الحوانيت على عادة الباعة في توجيه الانظار الى حوانيتهم فعرف الرجل به ونسب اسمهُ اليه فقيل له امشيل « روتشيلد » اي الترس الاحمر بالالمانية Rothschild

وتربى امشيل تربية بسيطة فتعلم مبادىء القراءة والكتابة واراد ابوه ان يعلمه قواعد الدين لينتظم في سلك الحاخامية ولكن ميله الى التجارة شغله عن ذلك فقعد مع ابيه في الحانوت ولم تمض مدة حتى تقدم شغله واتسعت تجارته بما ادخله فيها من اساليب الترغيب ووسائل الربح . ولم يمت ابوه حتى صار ذلك الحانوت بيتاً للصيرفة ووكالة تجارية للعمالة (كومسيون) أو التجارة فكان يبتاع الاقمشة القطنية من انكلترا و يبيعها في جرمانيا . وكان ذلك اوسع ابواب كسبه غير ما كان يكتسبه من الصيرفة والمداينة وتزوج سنة ١٧٧٠ وولد له عدة أولاد سيأتي ذكر بعضهم

فلما ذاق امشيل لذة المكاسب التجارية زاد رغبة فيها وكان يقظاً ساهراً وفيه فطرة تجارية وجدٌّ ونشاط وقد جعل نصب عينيه الصدق والامانة والثبات فاخذ يترقب الفرص . وكان له عملاء في انكلترا وفي اهم مدن اوربا وقد نما رأس ماله وتعرف بكثيرين من وجهاء البلاد وامرائها وهم كثيرون في مقاطعات جرمانيا المشتتة يومئذ فسنحت له فرصة ثمينة اغتنمها

وملوك وانبياء · ثم دالت دولتهم وغلبوا على امرهم وخربت مدينتهم (اورشليم) وتفرقوا في بلاد الله لا دولة لهم ولا سلطة ولولا ما فطروا عليه من الذكاء والهمة والاقدام لضاعوا وانقرضوا منذ اجيال شأن كثير من الامم القديمة التي تولتها الشيخوخة فاختلطت بامم حية لا تزال في عصر شبابها فضاعت فيها وانقرضت · ولكنهم حفظوا انفسهم بجامعة الدين وبعثهم اضطهاد الامم الاخرى على الاتحاد والتعاون · ولما يئسوا من السيادة بالصولجان صرفوا ذكاءهم وهممهم الى اكتسابها بالمال · وقد رأيت ان اكتسابه يحتاج الى مواهب فهذه قد توفرت في الاسرائيليين وارتقت فيهم بتوالي الاجيال وتعاقب القرون حتى اصبحوا اقدر الامم على الاثراء

وكان ذلك شأنهم من اقدم ازمنة التاريخ حتى في جاهلية العرب فقد جاؤا تلك الجزيرة فرارا من اضطهاد الروم فما لبثوا ان اقاموا حينا حتى اصبحت التجارة والصيرفة محصورتين فيهم تقريبا وانفقت معظم الاموال الى خزائنهم · ناهيك بما كان من غناهم في اوربا ولا سيما الاندلس من عهد القوط · وهكذا كان حالهم في العراق والشام ومصر · وربما كانت ثروتهم في اكثر اسباب اضطهادهم حسدا وغيرة فاظهر اعداؤهم النقمة على دينهم فصادروهم وطردوهم وقتلوهم · حتى اذا جاء الاسلام رأوا به فرجا لانفسهم فاعانوا المسلمين على اغراضهم وسهلوا لهم اسباب الفتح فاحسن المسلمون اليهم وقربوهم فنبغ منهم غير واحد في العلم والسياسة على ان هممهم كانت منصرفة بالاكثر الى التجارة والصيرفة والمراباة فاشتهر غير بيت من البيوت المالية في الدولة العباسية بالعراق والدولة الفاطمية بمصر والاموية في الاندلس

اما في اوربا فظلوا يقاسون الاضطهاد تحت سيطرة ملوك النصارى حتى كثيرا ما صدرت الاوامر الرسمية باخذ اموالهم او احراق كتبهم او طردهم بناء على تهم اكثرها مختلق لا يزال آثار بعضها باقيا الى الآن كاتهامهم بسرقة اطفال النصارى والقاء السم في آبار الشرب ونحو ذلك · ولم يكن اليهود يصبرون على هذا الذل وانما كانوا يكيدون لاعدائهم مكائد مختلفة لا محل لها

حتى اذا نضج التمدن الحديث وانتشرت روح الحرية الشخصية وعرف كل انسان حقوقه وواجباته نال اليهود حقوقهم المدنية والشخصية واتيحت لهم حرية العمل فانجحوا ونبغ منهم رجال في السياسة والادارة والعلم وانما اكثر شهرتهم في الاعمال المالية واشهر رجال الاموال منهم بيت روتشيلد

باحوال المضاربة والمتاجرة لم تنفعه استقامته ولا اغناه سهره

فلما انقضت تلك الحروب كان امير هيس المذكور شبه مناد باستقامة بيت روتشيلد وامانته فنشر اسمه بين زملائه الامراء فعولوا عليه في استخدام اموالهم او ما يحتاجون اليه من القروض وانشاء المشاريع فاصبح ذلك البيت مصرفاً لاهم ملوك الارض في ذلك العهد · ولم يكن يقوم عمل كبير في اوربا من روسيا الى انكلترا ولا تحدث حركة من حرب او سلم الاَّ ولبيت روتشيلد يدٌ فيها او نفوذ عليها لانه القابض على المال وعليه المعوَّل في الحروب وسائر الاعمال

ومما ساعد على نجاح هذا البيت يهودية اصحابه لان اليهود كانوا معروفين ببعدهم عن الاحزاب السياسية التي كانت رائجة في تلك الايام · فهم على الحياد لا يخشى الناس دسائسهم أو غدرهم وانما يهمهم كسب المال لانفسهم فكان الامراء يتسابقون الى نيل مساعدتهم واكتساب ثقتهم لينتفعوا بخدمهم وقد اسعدهم حيادهم وتعقلهم وانتفعوا منهما

ولما توفي امشيل سنة ١٨١٢ جمع اولاده الخمسة اليه وأوصاهم وصية كانت سبباً لحفظ ثروتهم ترجع الى ست فقرات وهي :

(١) احتفظوا بشريعة موسى وسيروا عليها

(٢) اتحدوا جميعاً الى النهاية

(٣) شاوروا والدتكم

(٤) انظروا الى ثروتكم نظركم الى ثروة عمومية باقية

(٥) تناصحوا فيما بينكم

(٦) لا تشقوا عصا الطاعة

ولا يخفى ما في هذه الوصية من النظر البعيد لان الثروة انما تتشتت بالانقسام في الورثة فاذا تقسمت ضعفت وقد تتصل الى من لا يحسنون استغلالها فتذهب ضياعاً · ولا تزال وصية امشيل معمولاً بها عند اعقابه الى اليوم

﴿ ناثان روتشيلد ﴾ ومن الاسباب التي حفظت ثروة هذا البيت ووسعتها ان الذين خلفوا مؤسسها كلهم من اهل العمل والتعقل ويندر ذلك في ابناء الرجال العظام اذ يغلب في الرجل الكبير ان لا يعقب نسلاً قوياً او لا ينشأ من اولاده من يعمل مثل عمله · أما روتشيلد فقد خلف خمسة ابناء كلهم نشيط وكلهم امين · واشهرهم ناثان صاحب فرع انكلترا فقد ظل مديراً للفرع المذكور الى سنة ١٨٣٨ وظهرت فيه

وتوفق الى النجاح بها مع حسن قصده وسلامة نيته . فكانت متممة لنجاحه فترك ما تركه من الثروة والصيت الحسن لابنائه

وذلك ان نابوليون بونابرت عزم منذ مئة عام تماماً (١٨٠٦) على مهاجمة مقاطعات جرمانيا وهي يومئذ امارات صغيرة تخافه الجرمان . وكان في جملة امرائهم امير هيس صاحب فرنكفورت وكان امشيل قد اكتسب ثقته ومحبته بحسن معاملته وامانته . وكان عند الامير المذكور نحو خمسة ملايين ريال نقداً وهو مبلغ كبير بتقدير تلك الايام ربما يساوي خمسة اضعافه اليوم . فخاف الامير ان يذهب هذا المال الى بونابرت واصحابه فعهد الى امشيل ان يأخذه ويحفظه عنده ريثما تنقضي تلك الزوبعة . فحمله وقطع به الجبال على البغال والسفن الى منستر وكان ابنه ناثان مقيماً هناك وكيلاً عن محله في شراء البضاعة القطنية فدفع المال اليه . وظلّ عندهم كل مدة الحروب البونابرتية يستخدمونه و يتجرون به ولا يعلم مقدار ما ربحوه من ذلك غير الله

وذكروا انه حفظ ذلك المال أولاً في بيته بفرانكفورت وخبأهُ في حفرة تحت الارض لعلمه ان الجنود اذا دخلت المدينة نهبت بيته . فلما دخلتها وجاءت بيته توسل اليهم ان يتركوا لهُ شيئاً من ماله فلم يصغوا له بل نهبوا كل ما عثروا عليه وهو ماله الخاص وبقي مال الامير مخبأً حتى ارسلهُ الى ابنه كلهُ او بعضه بعد جلاء الجنود

وما زال بيت روتشيلد يستثمرون هذه الملايين و يستغلون اثمارها حتى سقط نابوليون وهدأت الاحوال فبعثوا الى صاحب المال ان ماله وارباحه محفوظة فارسل من يقبضها . فاعظم الامير امانتهم وقد كان في وسعهم ان يدّعوا ضياعها في اثناء تلك الحروب او أن يعرضوا ارجاعها بدون ربح على الاقل . فاجاب الامير شاكرًا ولم يقبل الاّ رأس المال فقط وكافأهم بان ابقى المال عندهم مدة أُخرى بفائدة اثنين في المئة سنوياً فقط . وظلّ المال في بيت روتشيلد يستخدمونهُ بهذا الربا الزهيد الى سنة ١٨٢٣ اذ توفي نابوليون وهدأت الاحوال فاستولى ورثة الامير على اموالهم وكان روتشيلد قد اصبح ملكاً مالياً تحتاج اليه ملوك اوربا في انشاء القروض ونحوها

فالسبب الرئيسي لقيام هذا البيت انما هو اشتهار مؤسسه بالامانة والاستقامة وتيقظه في اغتنام الفرص واجتهاده في طلب الكسب فضلاً عن ذكائه الفطري ومعرفته اساليب التجارة او المضاربة . ولو لم يكن مستقيماً لم يستفد من هذه الفرصة لان الامير لم يكن ليضع هذه الثقة فيه . ولو لم يكن ساهرًا على الفرص لم يتوفق الى هذه الفرصة . ولو لم يكن عارفاً

شيء . وقد انشأوا بين هذه الفروع روابط تجارية لو شبهناها بحبال لاشبهت شبكة احاطت باوربا وانكلترا جملة . وكانت انكلترا قد استدانت من فرع لندرا مالاً تحتاط به لما تتوقعه من محاربة نابوليون . وكذلك فعلت النمسا وروسيا من الفروع الاخرى لمساعدة انكلترا عند الحاجة . فظهر بيت روتشيلد بهذا المعنى مظهر العداء لبونابرت واحزابه . ولذلك فلما انتشبت الحرب في ووترلو كان من مصلحتهم ان يندحر فيها بونابرت

وكان بيت روتشيلد قد اعدوا وسائل للمخابرة بين اهم مدن اوربا لخدمة مصالحهم التجارية تقوم مقام المراسلات التلغرافية وغيرها من الوسائط المستعجلة . وكان ذلك سهلاً عليهم لانهم يهود لا ينتمون الى دولة من الدول المحاربة . فبلغ ناثان قرب المعركة في ووترلو قبل ان تبلغ احداً من دول اوربا وادرك اهمية تلك المعركة بالنظر الى مستقبل هذا البيت فاما ان ترفعه الى الاوج أو ان تهبط به الى الحضيض . فرأى ان يتولى استطلاع الاخبار بنفسه فقطع الى بلاد البلجيك سراً حتى جاء معسكر الجيش المتحالف فاحتملوه ولكنهم اساؤوا معاملته فلم يهمه ذلك وانما التفت الى الغرض من مجيئه فأخذ يتنسم الاخبار ويستطلع الاحوال . فلما انتشبت المعركة في ووترلو ظهر لاول وهلة ان النصر فيها لبونابرت وكان في ذلك المعسكر عدد كبير من المخبرين السياسيين والصحافيين والماليين جاؤوا لاستطلاع الاخبار فلما توسموا النصر لبونابرت اسرعوا الى مرسليهم في شرقي اوربا وغربيها شماليها وجنوبيها وانبأوهم بانتصار الجيوش الفرنساوية وفشل ولنتن واصحابه

اما ناثان فانه لم يبرح المكان حتى انقضت المعركة وشاهد الجيوش الفرنساوية هاربة فتحقق ان النصر للانكليز فاسرع يطلب انكلترا كالمجنون حتى وصل اوستند وقد اخذ منه التعب مأخذاً عظيماً فالفى هناك نوتياً وسفينته فطلب اليه ان يقطعه الخليج الى انكلترا فأبى لان النوء كان شديداً فخاف النوتي على حياته اما ناثان فلم يخف . والح عليه وشجعه واطمعه بالمال فقبل على شرط ان يتكفل ذلك (المجنون) بدفع ٢٫٥٠٠ فرنك الى عائلته اذا اصابهما سوء فاعطاه صكاً بذلك وركبا السفينة الى شاطئ انكلترا . ولم يمهل نفسه ان وطئ الشاطئ فركب توّاً الى لندن باسرع ما يمكن فوصلها والخبر قد ملأ اوربا ان ولنتن ذهب من تلك المعركة مدحوراً . فذهب ناثان الى مكتبه ولم يبدل ثيابه ولا اكل وانما قعد على كرسيه وقد انهكه التعب والخطر والقلق وعلم ان الناس الآن يبيعون اوراق انكلترا خوفاً من سقوطها الكثير فاصدر اوامره الى عملائه حالاً ان يشتروا تلك الاوراق فاخذوا يشترون وهم لا يعلمون السبب او لعلهم استجنوه . فلم تمض ٢٤ ساعة

المواهب التجارية والنشاط منذ نعومة اظفاره فأسس فرع انكلترا وهو لا يزال غلاماً وكانت اوربا لا تزال متشغلة ببونابرت وفتوحه . وقد وجه والده امشيل انظاره الى انكلترا لاعتزالها عن اوربا فبعث ابنه هذا لتأسيس المحل فيها ولم يختصه من بين اخوته بهذه المهمة الا لما توسمه فيه من القدرة على العمل . ولو اردنا بيان مقدرة هذا الرجل لطال بنا الشرح وانما نذكر حادثة يمكن اتخاذها نموذجا لسائر مناقبه ومنها يظهر ان الثروة لا تأتي الناس صدفة ولا يرتقي الانسان في سلم الارتقاء عبثا



كان الناس في سنة ١٨١٥ يتوقعون حربا [illegible]ائلة يقضى فيها اما لنابوليون او لأوربا ولا يخفى ان الاموال الدوليه في مثل هذه الحال لا يعرف [illegible] لها قيمة لاحتمال صعودها وهبوطها تبعاً لنتائج تلك الحرب . وكان لبيت روتشيلد اربعة فروع مركزيه بالاماكن [illegible] في اربعة اقطار اوربا (١) فرع لندن رئيسه ناثان المذكور وله إشراف على سائر الفروع (٢) فرع فرنكفورت يتولاه اكبر الاخوة ماير روتشيلد بدلا من الاب وكان قد توفي منذ ٣ سنوات (٣) فرع باريس برئاسة جيمس روتشيلد اصغرهم وكان يقاسي العذاب من اضطهاد نابوليون (٤) فرع فينا رئيسه سالمون وهو [illegible] الاخوة حلقا وكان مقربا عند امبراطور النمسا ويعوّل عليه في [illegible]

والزواج والعزوبة والشباب والكهولة والطول والقصر مما لا يمكن حصره . وقد يشترك الرجل بجامعة النسب مع واحد وبجامعة الدين مع آخر وبجامعة الوطن مع آخر . وهكذا من حيث المهنة والعادة واللون والسن والطول والزواج وغيرها . كأن يكون طبيبًا فيجتمع مع الاطباء بجامعة المهنة او محام فمع المحامين او تاجر فمع التجار . وان كان متزوجا فهو من جماعة المتزوجين او شابًا فمن الشبان او شيخًا فمن الشيوخ . ويجتمع بجامعة الرجولية مع الرجال وغير ذلك مما لا يعدّ ولا يحصى

ولا ينتبه احدنا لهذه الجامعة او تلك الا عند الاضطرار الى الاجتماع لدفاع او هجوم او الاشتراك في مصلحة عامة . فاذا رأت النساء ظلمًا من الرجال مثلاً اجتمعن عليهم واتحدن بجامعة الانثوية كما يفعلن في العالم المتمدن اليوم . ويجتمع الرجال من الجهة الاخرى بجامعة الرجولية للدفاع . وفي حال آخر يجتمع بعض نساء هذه الطوائف وبعض رجالها معًا بجامعة العصبية للدفاع عن الاهل او بجامعة الوطن للدفاع عن البلد او بجامعة الدين للذب عن حوضه . وفي كل حال لا يكون للجامعة معنى ولا هي تبدو للوجود ان لم يكن ثمت ما يبعث عليها من التماس التعاون على مصلحة مشتركة

وتتفرع الجامعة الواحدة الى فروع يشترك آحاد كل فرع منها على آحاد الفرع الآخر واكثر ما يقع ذلك في الدين والوطن . فاهل القاهرة مثلاً تجمعهم مدينة القاهرة ولكن ابن هذه المدينة يجتمع مع ابن الاسكندرية على غير المصري ويجتمع مع اهل الشرق على اهل الغرب . والمصري المسلم يجتمع مع المصري غير المسلم بجامعة الوطن ومع السوري والعراقي بجامعة اللغة ومع الفارسي والهندي بجامعة الدين . واعتبر هذا التفرع في كل بلد ودين ولغة فترى الجامعات عديدة يشترك بها الناس بعضهم على بعض او مع بعض على التقاطع والتضارب . ولو رسمنا تلك العلائق خطوطًا بين الانسان ومن يشترك معهم بجامعة او غير جامعة لرأينا كلاً منّا عبارة عن مركز تنبعث منه الخطوط انبعاث الاشعة من جسم منير حتى تتقاطع وتشتبك بالخطوط المنبعثة من جسم آخر على شكل مرتبك متقاطع

فاسباب الاجتماع عديدة وميسورة لكل انسان ولكنه انما يجنح الى احدها اذا مسته الحاجة تبعًا لما يتوسمه من مصلحته بالاجتماع . فاذا خاف اهل عصبية او قبيل من عدوّ يسطو عليهم اجتمعوا عليه بجامعة النسب وهم الاهل والاقرباء فاذا لم ينفعهم ذلك استعانوا بجامعة الوطن فاذا اعجزهم التغلب بها توسعوا بجامعة الدين او اللغة ويختلف ذلك باختلاف العصور وتباين الاحوال

حتى نال ناثان من الفوز المالي فوق ما كان بونابرت يرجوه من الفوز الحربي لو خدمه السعد في ووترلو · فاعتبر مقدار ما كسبوه من هذه المضاربة بعد ما علمته من الشقاء الذي لقيه ناثان قبل الحصول على هذه النتيجة — فهو لم ينل هذا الكسب صدفةً ولكنه خاطر بحياته واستخدم قلباً من حديد ورأياً يفلّ الحديد · وقد اعظم هذه الحادثة الرواة فطعنوا بها وقالوا ان رجلاً آخر جاءه بخبر النصر قبل ان يعرف به احد

وليبت روتشيلد تاريخ كبير لا محل له هنا وانما ذكرنا ما فيه عبرة لطلاّب العلى من شباننا ليعلموا ان الثروة ولا غيرها من اسباب الرقي ينال بغير السعي مع المعرفة والاستقامة وفي ما تقدم كفاية

الجامعة او العصبية

والجامعة الاسلامية

تحدث الناس طويلاً وتناقلت الصحف فصولاً في معنى الجامعة الاسلامية او التعصب الاسلامي وتناقشوا في المراد من ذلك فرأينا ان نقول كلمة في هذا الباب من الوجهة التاريخية الاجتماعية بالنظر الى العالم على الاجمال والى الاسلام على الخصوص من عصبية العرب في الجاهلية حتى الآن

١ — العصبية على العموم

العصبية نسبة الى العصبة وهي « قوم الرجل الذين يتعصبون له وبنوه وقرابته لابيه » ويريدون بها اجتماع القوم للدفاع عن مصالحهم المشتركة · والاصل فيها اجتماع الاقرباء من اهل الرجل لأبيه ثم اطلقوها على سائر الاهل والاقارب من القبيلة الواحدة او القبائل المتقاربة · ولما صارت العرب امماً وطوائف توسع المولدون في اطلاقها على الامة ثم ابدلوها بلفظ « الجامعة » يريدون بها مصلحة عامة او خصائص مشتركة يجتمع تحتها طائفة من الناس كالدين او الوطن او النسب

والانسان اجتماعيٌّ من فطرته اي انهُ ميال الى تبادل المنفعة بالاعانه والاستعانة · ولعل السبب في ذلك كثرة حاجاته وعجزه عن الاستقلال في قضائها فجرَّه ذلك الى انتحال اسباب الاجتماع وهي كثيرة مثل اسباب ضعفه · واقدم وسائل الاجتماع القرابة وهي عصبية النسب ثم الوطن والدين واللغة ثم العادات والاخلاق والمهن والحرف حتى الجنس واللون

٣ ــ الجامعة الاسلامية

واعتبر ذلك في الشعوب الشرقية واقربهم عهداً منا العرب فقد كانوا قبل الاسلام اهل اهلية ورحـلة لا دين لهم ولا وطن فلم يروا بداً من اجتماعهم تحت راية النسب او اللغة هما متلازمتان فعنوا بحفظ انسابهم وتفاخروا بها و بالغوا في استقصائها على ما بيناه في الجزء الرابع من تاريخ التمـدن الاسلامي . فكانت عصبية النسب جامعتهم الكبرى يجتمعون بها و يختصمون بها فيتحد القحطانيون على العدنانيين واليمنية على المضرية وقيس على كلب نحو ذلك

وما زالت قبائلهم تتفاخر بالانساب وتتألب بالعصبية حتى جاء الاسلام واحتاجوا الى جامعة يحاربون بها الامم الاخرى فاجتمعوا باسم الدين واغفلوا عصبية النسب لانهـا كانت سببا في اختلافهم وانقسام قواتهم . واصبح المسلمون اخوة عربهم وعجمهم قحطانيهم وعدنانيهم وظلوا كذلك ايام الراشدين . حتى اذا تسلط بنو امية واحتاجوا الى مناوأة بني هاشم ومن والاهم من المسلمين العرب وغير العرب لجأوا الى عصبية النسب واعادوا ما كان قد تنوسي منها واصبح المسلمون مع اجتماعهم بالاسلام حزبين يجمع احدهما النسب العربي و يعرف الآخر بحزب غير العرب وهم الموالي أو الشعوبية . والعرب انقسموا الى نحو ما كانوا عليه قبل الاسلام من اليمنية والمضرية وما يتشعب منهما . وكانوا انما يلجأون الى هذه الجامعات لغرض سياسي على ما قدمناه عن امم النصرانية في اوربا

وكان العرب الى اوائل دولة الامويين لا يبالون بالوطن ولا يعرفون الجامعة الوطنية لانهم كانوا في صدر الاسلام لا يزالون على بداوتهم اذا ساروا للفتح ساقوا معهم اولادهم ونساءهم وابلهم وسائمتهم كما كانوا يتغازون في ايام جاهليتهم واذا فتحوا بلدا نصبوا خيامهم في ضواحيه مما يلي المدينة (مركز الخلافة) وقد نهاهم عمر عن الزرع فكأنه نهاهم عن التحضر رغبة منه في استبقائهم جنـداً محاربا لا يمنعهم عن الجهاد عقار ولا بناء ولا يقعدهم عن القتال ترف ولا قصف . فكانوا يقيمون في معسكراتهم بضواحي المدن كما يقيم جيوش الاحتلال في هذه الايام وكانوا يعبرون عن ذلك بالحامية او الرابطة . فكان المسلمون في عصر الراشدين فرقاً تقيم كل فرقة في ضاحية مدينة من المدن الكبرى وتسمى جنداً وكانت عساكر الشام اربعة اجناد تقيم في ضواحي دمشق وحمص والاردن وفلسطين ومنها تسمية هذه الاقاليم بالاجناد . وعساكر العراق كانت تقيم على ضفاف الفرات مما يلي جزيرة العرب في معسكرين صارا بعدئذٍ مدينتين هما البصرة والكوفة . وكانت جنود مصر تقيم في

واذا نظرنا الى الجامعة نظرًا عامًا رأينا اوسعها واشملها اربع جامعات وهي : جامعة النسب وجامعة الوطن وجامعة اللغة وجامعة الدين . واذا راجعت التاريخ القديم رأيت الناس يختلفون من حيث اعتمادهم على احداها باختلاف حاجتهم اليها و يختلف ذلك في الامة الواحدة باختلاف ادوار تمدنها

٢ - الجامعة عند الامم الاوربية

من اظهر اسباب الاجتماع عند الامم القديمة الوطن او اللغة فقد كان اليونان يجتمعون على الفرس والفرس على المصريين وكانت كل امة من هؤلاء تنقسم فيما بينها باعتبار البلاد فاهل اثينا يحاربون اهل سبارطة وهؤلاء يحاربون اهل طيبة وكل منهم يحارب رومية ولما اتسع نطاق مملكة رومية اصبحت اللغة او الجنس او الدولة جامعتهم . ولما اعتنقوا النصرانية وصارت هي ديانة القياصرة غلبت عليهم جامعة الدين واللغة معا وتقوت جامعة الدين على الخصوص لما ظهر الاسلام وفتح المسلمون بلادهم . حتى اذا ضعفت الدولة الرومانية في اوربا وتشعبت مملكتها الى فروع اخذ كل فرع بالاستقلال والنمو على حدة وجعلوا جامعتهم التي يجتمعون بها ويدافعون عنها الوطن واللغة فتكونت دول فرنسا واسبانيا وايطاليا وغيرها . فاعتبر كيف استعانوا على الاستقلال بجامعة الوطن واغضوا عن الدين . فلما نهضوا لمحاربة المسلمين واسترجاع بيت المقدس عادوا الى تلك الجامعة لانها تجمعهم جميعا تحت راية واحدة وحملوا على الشرق الحملات الصليبية المشهورة . فلما دحروا وعادوا الى بلادهم وتنبهت فيهم روح الارتقاء وطلبوا العلم مكنوا استقلالهم باغفال اللغة اللاتينية وهي بقية الجامعة الرومانية . فبعد ان كانت لغة العلم والسياسة عند الامم التي تخلفت عن دولة رومية نبذوها واتخذت كل امة لغتها بدلا منها . فزادت العصبية الوطنية رسوخا في تلك الممالك ولا تزال هي جامعتهم الكبرى

ومع ذلك فالجامعات الاخرى لا تزال تظهر عند الاقتضاء لان الكاثوليك اذا رأوا من الانجيليين حركة يخشون خطرها تضافرت الدول الكاثوليكية بجامعة الكثلكة على دفعها واذا رأى اهل اوربا حركة اسلامية في الشرق تباحثوا في الجامعة النصرانية . وكثيرًا ما تباحثت الامم التي اصلها لاتيني كالايطاليان والاسبان ان يحيوا جامعة اللغة المشتركة باسم الشعوب اللاتينية وهكذا فعلت الشعوب التي تشترك باصل جرماني فانها احيت بينها جامعة الشعوب الجرمانية . وهم في كل حال لا يلتمسون هذه الجامعة او تلك الا عند الحاجة اليها احيانا

البصرة مثلاً مؤلفة من خمسة اقسام تعرف بالاخماس كل خمس لقبيلة وقس على ذلك سائر البلاد

ولما طمع بنو العباس في الخلافة واستعانوا على نيلها بالفرس اشتغل المسلمون عن اللغة أو الجنس وافترقوا الى حزبين كبيرين فاصبح الفرس في جانب والعرب في جانب وطال اختصامهما حتى غلب العنصر الفارسي على الخصوص بعد مقتل الامين وانتصار المأمون باخواله الفرس وضعف العنصر العربي . ولما تولى المعتصم واستكثر من الاجناد الاتراك ظهرت العصبية التركية واخذت تتقوى بتوالي الاجيال حتى انشأوا الدول الكبرى . ثم ظهر المغول والشركس والاكراد وغيرهم . ولم ينقض القرن السابع للهجرة حتى اصبح المسلمون احزابا تحارب بعضها بعضاً من بادية تركستان في الشرق الى شواطيء افريقيا الغربية في الغرب غير انقسام العرب بعضهم على بعض وناهيك بالاحزاب المذهبية الدينية وكل طائفة انما اتخذت الجامعة التي تتوقع التغلب بها . واغضوا عن الجامعة الاسلامية لذهاب الحاجة اليها بضعف الدول غير الاسلامية عن مناوأتهم او لاشتغالهم بالاختصام فيما بينهم عن محاربة اعدائهم

حتى اذا نهض الافرنج تحت راية الصليب وتألبوا لاكتساح الشرق وفتح بيت المقدس شعر المسلمون بافتقارهم الى جامعة الدين واغضوا عن كل جامعة غيرها وتكاتفوا لرد هجمات الصليبيين تحت راية الاسلام . ولم يحسن الصليبيون الاجتماع كما احسنه المسلمون وغلبوا على ما في ايديهم من بلاد الشام وعادوا الى بلادهم

ولما فرغ المسلمون من تلك الحرب الدينية رجعوا الى ما كانوا فيه من الاختصام من قبل . واكثر اختصامهم بين السنة والشيعة او الترك والفرس لاشتغال اهل اوربا عنهم بانشاء دولهم الحديثة . حتى اذا شعر المسلمون بضعفهم في العصر الاخير ورأوا مطامع تلك الدول في بلادهم عادوا بطبيعة العمران الى البحث عن جامعة تلمّ شعثهم فلم يروا خيراً من جامعة الدين فلجأُوا اليها وقاموا ينادون بها — وهو أمر طبيعي لا غرابة فيه ولا هم يلامون عليه

اما ما يترتب على المناداة بتلك الجامعة فليس من شان الهلال البحث فيه لكننا بالنظر الى ما نعلمه من قواعد الاجتماع ونواميس العمران وما نعهده من احوال المسلمين في الاقطار المختلفة الآن لا نتوقع من وراء هذه الجامعة خطراً سياسياً . على اننا نرجو للمسلمين منها نفعاً ادبياً او مالياً بما ينجم عن الاتحاد من تبادل المنافع التجارية او العلمية والتعاون على الاعمال الخيرية بين مسلمي الشرق من اقصائه الى اقصائه ولا نظنه يتعدى ذلك — الاّ اذا تهوّر المتطرفون في تغرير العامة واثارة خواطرهم حتى يبدو منهم ما يسميه المتمدنون تعصباً دينياً فينقلب مارجوناه من النفع لهم ضرراً عليهم والله اعلم

بعد ذلك

فلما طال مقامهم في تلك المعسكرات وافضت الخلافة الى بني امية ورغبوا في الشام عن الحجاز هان على المسلمين اغفال امر المدينة وسائر الحجاز وطاب لهم المقام في الشام وسائر الامصار واغفلوا وصية عمر فاقتنوا الارضين والضياع وغرسوا المغارس فتحولت تلك المعسكرات بتوالي الاجيال الى مدن عامرة اشهرها البصرة والكوفة والفسطاط والقيروان مما بناهُ المسلمون غير المدن القديمة التي استوطنوها في الشام ومصر والعراق وفارس وغيرها . وما زالوا حتى اقتنوا المغارس والضياع وابتنوا المنازل والقصور واشتغلوا بالزرع وتعلموا اشغال اهل المدن من تجارة وصناعة ونشأت فيهم الجامعة الوطنية في اهل كل بلد الى بلدهم

ومما حمل المسلمين على اتخاذ الجامعة الوطنية انقسام الاحزاب السياسية يومئذ باعتبار المدن . واول خلاف وقع بين بلدين اسلاميين الخلاف الذي وقع بين الشام والكوفة في ايام عثمان بن عفان ثم حدث الانقسام الوطني السياسي بعد مقتله وكان اساسه الميل الى احد طلاب الخلافة يومئذ وهم علي ومعاوية وطلحة والزبير وكان اهل الشام مع معاوية لانهُ اميرهم ومعظمهم من قريش وكان اهل المدينة مع علي وهم الانصار وتبعتهم مصر وكان اهل الكوفة مع الزبير واهل البصرة مع طلحة . فلما كانت واقعة الجمل سنة ٣٦ هـ وقتل طلحة والزبير انحاز اهل العراق الى علي فضلا عن اهل المدينة ومصر وظل اهل الشام مع معاوية ولما كانت واقعة صفين ومسألة التحكيم سنة ٣٧ هـ وغلب عمرو بن العاص بمكره فبويع معاوية وتركت مصر لعمرو بن العاص صارت مصر في حوزة معاوية . ولما قتل علي سنة ٤٠ هـ ومات الحسن ثم قام الحسين يطالب بالخلافة بعد موت معاوية وخلافة يزيد استعان الحسين باهل العراق وسافر اليهم فبايع اهل الحجاز لابن الزبير . فأصبح الحجاز مع ابن الزبير والعراق مع الحسين والشام ومصر مع معاوية — وهؤلاء انما لجأوا الى الجامعة الوطنية لانها توافق ما في نفوسهم من طلب التغلب

وكان لاهل كل بلد غرضٌ خاص في السياسة عبرنا عنه بالعصبية الوطنية وهي غير عصبية النسب اذ قد يجتمع اهل البلد الواحد على غرض واحد ويعرفون بجامعة واحدة كاهل البصرة والكوفة والشام والفسطاط وهم اخلاط من قبائل شتى . فكان لكل بلد في عصر بني امية جامعة خاصة يجتمع بها ويحارب باسمها . وهو مؤلف من قبائل تختلف نسباً وعصبية وفيهم قبائل اليمن ومضر وربيعة وغيرها يقيم كل منها في حي خاص بها يعرف باسمها فكانت

على شكلها الجمهوري وتقلبت على احوال شتى لا محل لتفصيلها

ولما سطا الجرمان على تلك المملكة في اواخر ايامها واستقروا في بلادها اقتبسوا منها معظم احوال تمدنها بالتدريج وكانوا من طبيعتهم اهل بداوة ورحلة يعيشون قبائل و بطوناً على نحو ما كان العرب في جاهليتهم يجتمع كل جماعة منهم حول شيخ لهم او امير مع تعوُّدهم الانفة والحرية . فلما انحلت المملكة الرومانية اتخذت امم الجرمان شكلاً من الحكومة وسطاً بين حالهم وحال الرومان عرف بالحكم الاقطاعي وذلك ان يضع الامير أو القائد يده على بقعة من الارض يستغلها و يحكم اهلها و يكون بينه و بين سائر الامراء علائق تنتهي الى كبير منهم له عليهم زعامة حربية و يعاهدونهُ على ان يعينوه بالجند عند الحاجة . ثم تحول النظام الاقطاعي بالتدريج الى الحكم الملكي . وابت طبيعة تلك القبائل الرضوخ للحكم المطلق فادخلوا الحكم الدستوري وتبدلت الحكومة الاقطاعية شيئاً فشيئاً الى النظام الدستوري

الحكم الدستوري

وحقيقة الفرق بين الحكم الاستبدادى والحكم الدستوري ان الاول هو الشريعة التي يحكم بها الملك رعاياهُ والثاني عبارة عن القوانين التي يتقيد الرعايا بها احكامه واحكام رجال دولته . و بعبارة اخرى ان الحكومة او الدولة قد تكون مؤلفة من رجل او عدة رجال ولها ثلاثة اعمال سن القوانين والفصل في الخصومة وادارة شؤون المملكة . فالدستور يدلنا كيف تتألف هذه الحكومة وما هي نسبة اعضائها بعضهم الى بعض و يبين الكيفية التي ينبغي ان تجري بها الاحكام فهو قيود للقوة المتسلطة

والدستور المذكور يختلف قوة وتختلف قيوده ضيقا وسعة باختلاف الدول والعصور وهو في كل حال من ثمار التمدن الحديث . واهم ما يمتاز بهِ انه مبني على ارادة الامة أو هو خلاصة ارادتها واساسهُ الانابة أي ان تنتخب الامة من ينوب عنها في سن القوانين ومراقبة سير الحكومة

والفضل الاكبر في انشاء الحكم الدستوري على هذه القواعد للانكليز فانهم اول من انشأ مجلس النواب واعطاه هـذه السلطة ولذلك يقولون في امثال الافرنج « ان انكلترا ام المجالس النيابية » وكل ما عند الامم الاخرى من الاحكام الدستورية مبني على الاساس الذي وضعه الانكليز وكان تاريخهم قدوة الحكومات الدستورية في اثناء هذا التمدن

على ان الدستور في انكلترا يختلف عما في سائر الدول الاوربيـة بان معظمهُ تقليديٌّ يستخرجون قواعده من تاريخ الامة مع ما تقتضيه روح العصر من التعديل والتبديل . فمجلس

الحكومة الدستورية

وسائر انواع الحكومة

منح جلالة شاه العجم الحكم الدستوري لامته في هذه الاثناء فأعظم الناس فضلهُ واثنوا على تعقله لقلة من يقدم على ذلك من ملوك الشرق فرأينا ان نأتي على فذلكة في انواع الحكومة ونخص الدستورية منها بكلام

يراد بالحكومة الفئة التي تتولى تدبير سائر افراد الامة والقضاء بينهم · وهي انواع عديدة ترجع الى ثلاثة اشكال : الاول ان يتولاها رجلٌ واحد يسمونهُ ملكاً أو قيصراً أو سلطاناً أو امبراطوراً أو اميراً أو دوقاً أو غير ذلك ويدخل فيه الحكم الاستبدادي المطلق · والثاني ان يستعين هذا الرجل ببعض الخاصة من اهله او اهل دولته أو طائفة من الاشراف او الكهنة · والثالث ان يتولاها الشعب رأساً اي ان تحكم الامة نفسها بنفسها او تنيب من يتولى ذلك عنها

الحكومة في التاريخ القديم

واقدم هذه الاشكال واقربها الى طبيعة الانسان الحكم الاستبدادي المطلق فانهُ اول ما خطر للبشر في ابسط احوالهم مذ كانوا عائلات يتولى شؤونها آباؤها أو شيوخها ولما تكاثروا تنازع الشيوخ على السيادة العامة فتولاها اقواهم · وهكذا حتى تألفت الامم يحكم كلاً منها ملكٌ او امير — ذلك كان شأن معظم الدول الشرقية في التاريخ القديم · ولما تحضر الناس وانشأوا المدن واستنارت اذهانهم بالعلم اكبر بعضهم الخضوع لارادة فرد منهم فاتفقوا على ان يحكم الجمهور نفسه وهو ما يعبرون عنهُ بالحكومة الجمهورية · واقدم الحكومات الجمهورية واقربها الى المعنى المراد بها حكومة اليونان القديمة فقد كانت كل مدينة من مدنهم يحكمها شعبها رأساً على التناوب والتبادل كذلك كانت أثينا وسبارطة وغيرهما

ولما عمّرت مدينة رومية نسج اصحابها على منوال اليونان وتوسعوا في انشاء المجالس بالانتخاب لادارة شؤون الامة والقيادة في الحروب والفتوح حتى اذا اتسعت المملكة وتباعدت اطرافها استحال اشتراك الامة كلها في الانتخاب أو العمل فاصبحت السلطة محصورة باهل العاصمة (رومية) واليهم المرجع في كل شيء · وما لبثوا ان رجعوا الى فطرة الانسان ومطامع البشرية فاختلف طلاب السيادة من كبار القواد على الاستئثار بالسلطة فتحولت جمهورية رومية الى حكومة ملكية او قيصرية تولاها قياصرة عظام — مع بقاء سائر ظواهر الحكومة

المانيا	٢٠٨,٨٣٠	٥٦,٣٦٧,١٧٨
اسوج	١٧٢,٨٧٦	٥,٢٠٠,٠٠٠
نروج	١٣٤,١٢٩	٢,٢٥٠,٠٠٠
ايطاليا	٩٦,٥٠٠	٣٢,٤٧٥,٠٠٠
اسبانيا	١٩٤,٠٥٠	١٨,٦٠٠,٠٠٠
اليونان	٢٥,٠١٤	٢,٤٣٣,٨٠٦
الجبل الاسود	٣,٦٣٠	٢٢٨,٠٠٠
هولندا	١٢,٦٤٨	٥,٣٤٧,١٨٢
البرتوغال	٣٥,٤٩٠	٥,٥٠٠,٠٠٠
رومانيا	٥٠,٧٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠
السرب	١٨,٦٣٠	٢,٥٠٠,٠٠٠
اليابان	١٤٨,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠
سيام	٢٢٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
الفرس	٦٢٨,٠٠٠	٧,٦٥٣,٦٠٠

٣ — الدول الجمهورية

فرنسا	٢٠٧,٠٥٤	٣٨,٩٠٠,٠٠٠
سويسرا	١٥,٩٠٠	٣,٣١٥,٠٠٠
الولايات المتحدة	٣,٥٦٧,٥٦٣	٧٦,٣٠٣,٣٨٧
البرازيل	٣,٢١٨,١٣٠	١٤,٣٣٣,٩١٥
ارجنتين	١٣٥,٨٤٠	٥,٠٢٢,٢٤٠
بوليفيا	٧٠٣,٤٠٠	١,٨١٦,٣٠٠
شيلي	٣٠٧,٦٢٠	٢,٧١٢,١٤٥
كولومبيا	٥٠٤,٧٧٣	٥,٠٠٠,٠٠٠
كوستاريكا	١٨,٤٠٠	٥٠٠,٠٠٠
كوبا	٤٤,٠٠٠	١,٥٧٢,٨٤٥
اكوادور	١١٦,٠٠٠	١,٢٠٥,٦٠٠

النواب عندهم يبحث في المسائل السياسية او الادارية او القضائية و يسند احكامه الى السوابق و يعدّلها على مقتضى الاحوال . وكثيراً ما يلتبس عليهم القطع في مسألة فيشكلون لجنة لمراجعة وقائع المجالس القديمة ليقابلوها باشباهها . ومزية الدستور على هذه الصورة انهُ يقبل التحسين كل يوم لسلامته من القيود اللفظية

واما الدستور في الدول الاخرى فانه مدوّن بنصوص صريحة ومقسم الى موادمعينة فلا يمكن التوسع في احكامه الاّ بعد الاقرار على تغيير بعض مواده أو كلها مما يستلزم نظراً دقيقاً ووقتاً طويلاً . فتضطر الدولة والحالة هذه ان تسير على دستور وضع منذ خمسين سنة أو ستين او مئة سنه ولا يخفى مقدار ما يحدث من الفرق باحوال الامة في اثناء هذه السنين واما الدستور الانكليزي فانهُ مرن يقبل الطي والنشر والقبض والبسط حتى يوافق الاحوال الجارية او هو حيٌّ ينمو نمواً طبيعياً مع الزمان

والدستور لا يختص بالحكم الملكي كما رأيت ولكنهُ يتناول الجمهوريات ايضاً بل الجمهورية اولى ان تتقيد بارادة الشعب . وكل امة فيها مجالس تنوب بأصواتها عن الشعب كانت حكومتها دستورية . وفي العالم الآن بضع واربعون دولة معظمها دستوري واكثر الممالك الدستورية جمهوريات وهذا جدول يتضمن اسماء الدول مرتبة حسب نوع حكومتها :

١ — الدول الملكية المطلقة

اسم الدولة	مساحتها بالاميال المربعة	عدد سكانها
الدولة العثمانية	١,٦٦٢,٠٠٠	٤٠,٠٠٠,٠٠٠
روسيا	٨,٦٦٠,٣٩٥	١٣٠,٠٠٠,٠٠٠
الصين	٤,٢٧٧,١٧٠	٤٢٦,٠٤٧,٣٢٥
مراكش	٢١٩,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠
افغانستان	٢١٥,٤٠٠	٠٠٠٠٠٠٠٠
الحبشة	١٥٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠

٢ — الدول الملكية الدستورية

اسم الدولة	مساحتها بالاميال المربعة	عدد سكانها
انكلترا	١٢١,٠٢٧	٤١,٦٠٩,٣٢٠
النمسا والمجر	٢٤١,٣٣٣	٤٥,٠٥٠,٠٠٠
البلجيك	٢٩,٤٥٥	٦,٨٩٦,٠٧٩
الدنمارك	١٥,٣٨٨	٢,٤٦٤,٧٧٠

رأوه من التوحيد في اديانهم والبساطة في اصول لغاتهم فهم اشهر من قال بالتوحيد من قديم الزمان . وكما انهم مطبوعون على التوحيد في عباداتهم والبساطة في الفاظ لغاتهم فانهم يميلون الى مثل ذلك في حكوماتهم

النظام الدستوري والاسلام

واشهر الشعوب السامية واقربها عهدًا امنا العرب فقد جاؤا بالاسلام وهو التوحيد و بالغوا في نصرته وكانت حكومتهم توحيدية اي يتولى شؤونها رجل واحد بسلطة دينية هو النبي وظل ذلك دأبهم بعده ايام الخلفاء فالسلاطين والامراء . وللخليفة سلطتان دينية وزمنية وهو مطلق التصرف فيهما ضمن حدود الشريعة . على ان العقلاء منهم كانوا يستشيرون جماعة يختصونهم بمجالستهم وان كانوا غير مقيدين بما يسمعونه من آرائهم . ولذلك كان المسلمون من ابعد الامم عن الدستور لما تعوده ملوكهم من اطلاق ارادتهم في امور الدين والدنيا

على انهم اضطروا بطبيعة العمران الى مجاراة روح المدنية الحديثة في اثناء القرن الماضي من ايام السلطان محمود الثاني المتوفى سنة ١٨٣٩ إذ أباد الانكشارية ووضع النظام العسكري الجديد ومهد السبيل للتمدن الاوربي واقتدى به السلطان عبد المجيد المتوفى سنة ١٨٦١ فأعلن اساس التنظيمات الخيرية القاضية بالمساواة بين اصناف الرعية

اما الدستور على نحو ما هو في دول اوربا فاول من ادخله في نظام الحكومة جلالة السلطان عبد الحميد الحالي فهو بهذا الاعتبار اول من ادخل النظام الدستوري في الدول الاسلامية — فعل ذلك في السنة التي تسنم فيها العرش العثماني عملاً بشورة وزرائه ورجال دولته فأصدر امره في ٢ نوفمبر سنة ١٨٧٦ بتنظيم مجلس عمومي (برلمان) يتألف من مجلسين احدهما ينتخبه الاهالي ويسمّى « مجلس المبعوثان » والآخر تعيّن الدولة اعضاءه ويسمى «مجلس الاعيان» ووضعوا القانون الاساسي لهذا الدستور في ١١٩ مادة فدفعه جلالة السلطان الى وزيره مدحت باشا بعد تعيينه في الصدارة باربعة ايام وامرهُ ان ينشره في انحاء المملكة ويباشر العمل باحكامه . فأعلن القانون المذكور في الاستانة وقرئ في مجلس حافل في ٢٣ دسمبر من تلك السنة واطلقت المدافع من القلاع والدوارع احتفاء بقراءته

وخلاصة ما فيه (١) المساواة بين طبقات الرعية على اختلاف المذاهب فهم على تباين صنافهم وطبقاتهم سواء لدى القانون (٢) حرية التعليم وأن يكون اجباريًا (٣) حرية المطبوعات . وفيه بيان اختصاص مجلسي المبعوثان والاعيان وطريق الانتخاب وشروطه في من ينتخِب وينتخَب وجاء فيه ايضًا ان كل واحد من رعايا الدولة العلية يسمى «عثمانيا» وان الدين

غواتامالا	٤٨,٢٩٠	١,٦٤٧,٣٠٠
هايتي	١٠,٢٠٤	١,٠٠٠,٠٠٠
هندوراس	٤٦,٢٥٠	٦٥٠,٠٠٠
ليبيريا	٣٥,٥٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠
المكسيك	٧٦٧,٠٠٥	١٣,٦٠٠,٠٠٠
نيكاراغوا	٤٩,٢٠٠	٣٨٠,٠٠٠
باراغواي	١٥٧,٠٠٠	٥٣٠,٠٠٠
بيرو	٦٩٥,٧٣٣	٤,٦٠٠,٠٠٠
سلفادور	٧,٢٢٥	١,٠٠٦,٨٤٨
ساندودومينكو	١٨,٠٢٥	٦١٠,٠٠٠
اوروغوا	٧٢,٢١٠	١,٠٠٠,٠٠٠
فنزويلا	٥٩٣,٩٤٣	٢,٣٥٠,٠٠٠
باناما	٣٠,٥٧٠	٣٤٠,٠٠٠

فنرى من ذلك ان الدول الملكية المطلقة اقل من سائر انواع الحكومات عدداً وان معظمها في اسيا ونظراً لوجود الصين وروسيا بينها فهي اكثر سائر الحكومات سكاناً . والدول الملكية الدستورية اكثرها في اوربا وهي اكثر عدداً من المطلقة واقل من الجمهوريات واكثرها سكاناً الولايات المتحدة الاميركية . واذا نظرت في انواع الحكومات من حيث الاقطار رأيت الحكم المطلق على معظم قوته في الشرق ثم يتحول الى دستوري كلما اتجه نحو الغرب حتى اذا توسط اوربا صار معظمه ملكياً دستورياً فاذا توغل في الغرب حتى قطع البحر الاتلانتيكي ونزل قارة اميركا صار جمهوريا

فالظاهر ان الشرق من طبيعته اقرب الى الحكم الاستبدادي وانما شذت اليابان في الاعوام الاخيرة واتخذت الدستور اقتداء بدول اوربا وقد تبعتها الفرس بالامس ولا ندري اذا كانت تثبت في هذا الطريق الجديد . ويسوءنا تغلب الاستبداد في طبيعة الشرق لاننا نعتقد الرقيّ في الدول الدستورية وانها اقرب الى حفظ الحقوق والسير على شروط العدالة والحرية الشخصية . ولعل السبب في ذلك ميل الشرقيين من فطرتهم الى البساطة او التوحيد كما يقول علماء العمران او هم يخصون الساميين بهذا الميل لما

الماديون والروحيون

او اصل المخلوقات ونهايتها

بينما كنت اطالع في ساعات الفراغ تاريخ حياة العلامة الشهير لويس باستور عثرت على مباحث فلسفية احببت نقلها الى قراء اللغة العربية على صفحات الهلال الاغر

وتتعلق هذه المباحث بمسألة « أصل المخلوقات ونهايتها » التي شغلت ولا تزال تشغل السواد الاعظم من الفلاسفة في كل عصر وآن · فعسى ان يجد القراء في مقالتي فائدة

التولد الفجائي او الذاتي

اكتشف العلامة باستور في القرن الماضي اكتشافاً علمياً كان له صدى مهم في عالم الفلسفة · وهذه الاكتشاف هو « الاختمار وكيفية حدوثه »

لان علماء الكيميا قبل باستور لم يكونوا يدرون للاختمار سبباً حقيقياً بل كان كل واحد منهم يؤول حدوثه طبقاً لرغائبه واغراضه الذاتية · فالماديون كانوا يزعمون انه حادث طبيعي يحدث فجأة من غير علة تسبب حدوثه · ولذلك دعوا ايضاً اصحاب مذهب التولد الفجائي : لانهم زعموا ان المخلوقات لم تحتج قط الى خالق يخلقها بل وجدت من ذاتها واخذت تسير في النمو والتكاثر سيراً طبيعياً واسندوا زعمهم هذا الى مسألة الاختمار التي تغير حالة الشيء بدون علة ظاهرة تسبب هذا التغيير

واما الكيماوي الشهير جيلوساك فزعم ان الاختمار يحدث بواسطة الهواء من تاثير الاوكسجين · وذهب مذهبه الكيماوي الالماني ليبج · غير ان باستور لم يلبث ان ابطل اعتقاد من سلف باكتشافه الجديد فقال : « ان الاختمار هو تغيير كيماوي يسببه وجود احياء ميكروسكوبية تنتشر وتتكاثر بمساعدة بعض عناصر الوسط المستعد للاختمار »

ولكن من اين تولدت هذه الاحياء ؟ وما كانت الشروط اللازمة لانتشارها ؟ وهل تولدت في نفس الوسط المستعد للاختمار بسبب كيماوي محض طبقاً لتعاليم نيدهام وكبانيس وبوشيت في التولد الفجائي ؟ ام هي بالعكس تنشأ من بذور حية تنقلها العوامل الهوائية ؟

كل هذه مسائل ادت الى عراك عنيف بين انصار المذهبين : المادي والروحي خرج منه باستور ظافراً وافحم المدافعين عن مذهب التولد الفجائي

ولكي يفهم القارىء اهمية هذا العراك نقول له ان البحث في مسالة الاختمار لم يكن

الرسمي هو الاسلام واللغة الرسمية هي التركية وان تبطل المصادرة والتعذيب والسخرة وان تضع الحكومة ميزانية سنوية تعرض على مجلس المبعوثان ثم على مجلس الاعيان و يطلب اقرارها عليها لاعتمادها وغير ذلك

وكأن جلالة السلطان علم بفراسته وذكائه ان الامة لا تزال غير مستعدة لمثل هذا الاصلاح فادخل في القانون المذكور مادة تخوله تنفيذ ارادته في ايقاف ماكان يخشى حدوثه من العبث بسلامة الدولة وهي المادة ١١٣ ومعناها « انه اذا ثبت بعد تحري ادارة الضابطة ان احداً اخلّ بالامن او اتى ما يخشى منه على سلامة الحكومة فللحضرة السلطانية الحق المطلق في ابعاده » وبالفعل تراءى لجلالته بعد تنصيب مدحت باشا بشهرين انه يسعى في قلب السلطنة وفصلها عن الخلافة فامر بعزله ونفاه كما هو مشهور

اما الدستور فظلت الاوامر بشأنه جارية مجراها فاجتمع مجلس المبعوثان للمرة الاولى في سراي بشكطاش جلسة حافلة حضرها جلالة السلطان وتلا خطبة ضافية شرح فيها الاسباب التي ادت الى انحطاط الدولة وانه تلافى هذا الداء بوضع الدستور المذكور بما يتضمنه من الاصلاحات الهامة . فتعلقت آمال العثمانيين بهذا الدستور وتوالت جلسات مجلس النواب . ولكن يظهر ان الامة لم تكن مستعدة لمثله فتورط بعض اعضائه بالمطالب واستعجلوا في استثمار النتائج وتطرفوا في طريقة التعبير عن حال الحكومة ورجالها على نحو ما اصاب مجلس الدوما الروسي بالامس . فاصدر السلطان امره في ١٤ فبراير سنة ١٨٧٨ بايقاف اجتماعه الى اجل غير محدود لان « الاحوال الحاضرة لا تلائم اجتماعه » وقبض على كثير من اعضائه ونفاهم الى الخارج ولم يجتمع بعد ذلك

والظاهر ان بعض اولئك الاعضاء لم يدركوا حقيقة مركزهم بازاء الحكومة والامة ولم يدخلوا في الامر باخلاص وصدق نية فبرهنوا بما صدر من تسرعهم ان الامة لم تستعد للحكم الدستوري بعد فضاعت تلك الفرصة

وبعد بضع سنين قامت مصر تطلب انشاء مجلس النواب ولم يكن ذلك الطلب عن اخلاص وروية نجاة مساعداً على ما حدث في مصر من الانقلاب السياسي المعلوم بعد الحوادث العرابية . والسبب الحقيقي في ذلك ان الامة لم تكن مستعدة لقبول هذا الاصلاح فتناولته كما يتناول الطفل الرضيع قطع اللحم وهي مغذية بنفسها ولكن معدته لا تقوى على هضمها فالجوع خير له منها . والامة اذا لم تكن قد تهيأت للحكومة الدستورية فالدستور يضرّها — والامور مرهونة باوقاتها

ثم جاء العالم الطبيعي الشهير داروين فشرح في كتابه المشهور « اصل الانواع بالنمو الطبيعي » مذهب التغيُّر من حالة الى اخرى شرحاً وافياً فقال : « انني اعتقد كل الاعتقاد ان الانواع ليست بريئة من التغيير وان الانواع التي تدخل في ما نسميه الجنس الواحد هي سلالة نوع آخر لم يبقَ له اثر على الاغلب كما ان الاشكال المعروفة من جنس واحد مهما تعددت تتصل رأساً بهذا الجنس . واخيراً اعتقد ان النمو الطبيعي قد لعب الدور المهم في تغيير الانواع . وان عوامل اخرى شاركته في ذلك »

ولم يظهر مذهب داروين الى عالم الوجود حتى تهافت عليه انصار المذهب المادي تهافت الجياع على القصاع . فاتخذوه سلاحاً يحاربون به تداخل القدرة الالهية في خليقة العالم قائلين : « يعلمنا ناموس النشوء ان للمخلوقات الحية خاصية التحول لملاءمة الوسط الذي خصت بالمعيشة فيه . بصورة ان النوع الواحد قدر ان ينتج بطريقة النمو الطبيعي كل الانواع التي تعمر اليوم سطح الكرة الارضية ومن جملتها الجنس البشري . فلا دخل اذاً للعجائب والاسرار في تفسير ظهور الحياة . وليس بين النمو الطبيعي والتولد الفجائي سوى خطوة واحدة . وقوة المصاهرة الخفية التي تلازم المادة تكفي لتفسير كليهما »

غير ان هذا التعليل بعيد عن مطابقة افكار داروين نفسه . وربما لم يخطر بباله قط انكار وجود الخالق . وهاك ما جاء في كتابه المذكور : « ان بعض المؤلفين الافاضل يظهرون اقتناعهم التام بأن كل نوع خلق بطريقة مستقلة . اما انا فعلى ما يظهر لي ان ما نعرفه من النواميس التي فرضها « الخالق » على المادة يطابق بالاكثر ظننا بان ظهور وامتداد سكان الكرة السالفين والموجودين هما نتيجة اسباب ثانوية كالتي تحكم بولادة الشخص ووفاته »

فهنا داروين يتكلم عن النواميس التي فرضها « الخالق » على المادة . اذاً لم يخطر بباله انكار دخول الخالق في خليقة العالم . وفي محل آخر من كتابه المتقدم يقول ايضاً : « أفلا يوجد عظمة حقيقية في الطريقة التي تتبصر بها الحياة وقواتها المختلفة التي خصها « الخالق » منذ البدء بعدد قليل من المخلوقات او بواحد منها ؟ وعليه ما دام كوكبنا باقياً على دورانه في فلكه طوعاً لناموس الجاذبية الثابت . فاننا نجد عدداً لا يحصى من الخلق الجميلة والبسيطة الاصل لم تنفك عن النمو والازدياد وهي تنمو وتزداد ايضاً »

فترى ان داروين ذاته ينقض دعوى تلامذته الماديين في انكار وجود الخالق

ولكننا لو نظرنا ايضاً نظرة الانتقاد الى مذهب النشوء الذي يحملنا على اعتبار الانواع

بحثاً علمياً . وانما علّق العلماء عليه اهمية كبرى بالنظر الى الفلسفة والدين . وذلك ان انصار مذهب التولد الفجائي ظنوا انهم يستخدمون مسالة الاختيار لدحض الوحي الموسوي ومحاربة المذهب الروحي قائلين : « اذا كان من الممكن ان يتولد من المادة الفاقدة الحياة (اي الجماد) بطريقة الحل الكيماوي أحياء بسيطة التركيب جداً يرجح ان تكون هذه الأحياء قادرة على ان ترتقي بالتدريج في سلم هذه الحياة تبعاً لناموس النمو الطبيعي . وعلى هذه الكيفية قدرت الاحياء المتناهية في الصغران تولد احياء اكبر واكمل ومع طول الزمن اصبحت الاحياء الصغيرة حيوانات كبيرة وربما الانسان نفسه استفاد وجوده على هذه الصورة . فبناء عليه لا حاجة الى الاعتقاد على وجود له خالق »

ولكن هذا التعليل -- على فرض صحته — هل يمكن ان يكون الضربة القاضية على المذهب الروحي ؟ كلاَّ . لان مذهب التولد الفجائي لا يستطيع ان يحل لنا مسالة علة العلل نعم انهُ يعلمنا الشريعة المتسلطة على تكوين المخلوقات . ولكن هذه الشريعة تبقى بدون تفسير كمسالة تكوين العالم . وما ذاك الاَّ لان العلم يقدر ان يضع لهذه المسالة شروحاً ضافية ولكنه لا يقدر ان يفسر اصلها الاّ بسبب غير مخلوق اي لا اصل له البتة بل يستفيد وجوده من ذاته . بيدان انتصار مذهب التولد الفجائي --- مع كونه لا يبطل الاعتقاد بوجود الله - فانه كان يضرب بعصا من حديد على الوحي الموسوي وكافة الاديان المبنية على الاعتقاد بان كل نوع من المخلوقات خلق في يوم خاص به كما جاء في التوراة

النمو الطبيعي او مذهب الارتقاء

• وبما اني ذكرت فيما تقدم من الكلام « النمو الطبيعي » ارى من الواجب ان اشرح للقارىء الكريم هذه العبارة شرحاً يساعده في استيعاب ما سيلي من الكلام

ان لامارك اول من قال في كتابه « الفلسفة الزولوجية » : « ان حيوانات العصر الحالي تخلفت عن انواع اقدم منها وقد تحسنت مع مرور الزمن »

وفي سنة ١٨١٨ قام العالم الانكليزي ولس يؤيد كلام لامارك بقوله « ان المشتغلين بتربية الحيوانات في عصرنا الحاضر يتوصلون الى تحسين حيواناتنا الداجنة بطريقة المزاوجة . وعليه فليس من الجسارة وعدم التروي اذا فرضنا ان ما تقدر عليه الصناعة يمكن حدوثه في الطبيعة على السواء . وان يكن التغيير الاخير يستلزم وقتاً اطول »

وذهب هذا المذهب كل من العلماء غرانت وماتويس وهربرت سبنسر . غير ان هذا الاخير جعل التغيير يشمل ايضاً القوى العقلية والادبية

كان العالم الطبيعي بوشيت — وهو اهم انصار مذهب التولد الفجائي — يشتغل كل هذه المدة بتجارب ظنها اقوى دليل لتأييد دعواه • ولما طلبت اليه الاكاذيمية اظهار تجاربه أتى بقنينة وملأها ماء حرارته مئة درجة • وبعد ان احكم سدها قلبها وغطسها في دن مملوء زئبقاً ثم اخرج السداده واخذ يدخل الى جوف القنينة باقة تبن في معظم حرارته مع قليل من الاوكسيجين • ولم تمض ايام قليلة حتى ثبت وجود الاختمار رغماً عن حرارة التبن التي كان يجب ان تقتل الجراثيم • فقام انصار التولد الفجائي وقمدوا لهذا البرهان الدامغ • وأخذوا ينادون بالغلبة والانتصار • غير ان مدة انتصارهم لم تطل لان باستور اعاد التجربة فقرر ان الجراثيم كانت تدخل القنينة بملامسة الزئبق المعرض للهواء المطلق • واراد ان يسد باب هذا الخلل • فبعد ان ادخل المادة القابلة الاختمار في القنينة سد هذه بسدادة يخترقها انبوب بلاتين محمىً — حتى لا يدخل الهواء القنينة الا وتكون حرارة الانبوب قد اهلكت الجراثيم التي ينقلها — • وهكذا لم يتم الاختمار • واعيدت التجربة مراراً عديدة وكانت النتيجة واحدة • وبما ان حرارة الانبوب تقتلها الجراثيم قد يمكن ان تقتل ايضاً بعض العوامل التي باختلاطها مع الهواء ربما تكون ضرورية للاختمار • اعيدت التجربة بانبوب اوسع اكنهم حشوه بكتلة قطن حتى اصبح شبيهاً بمصفاة ومع هذا لم يحدث الاختمار لان الجراثيم كانت تجتمع في كتلة القطن وكانت هذه التجربة ابتداء نجاح باستور ولم يكتف بها فاراد ان يحوز النصر التام فاعاد التجربة واستخدم لزيادة سرعة الاختمار كتلة القطن التي استعملها في المرة الاولى وكانت النتيجة ان الاختمار حصل بقوة غريبة بسبب ما اجتمع في تلك الكتلة من الجراثيم فاستفز هذا البرهان اعجاب الاكاذيمية فاعلنت نيل باستور الجائزة وفوزه على مذهب التولد الفجائي

فنستنتج مما تقدم انه لابدَّ للانسان من الاقرار بوجود اله خالق هو علة العلل وسبب الاسباب • وان من ينكر ذلك يكون قد انكر اهم واجلى حقيقة على وجه هذه البسيطة • ولذلك نرى اشهر الفلاسفة واعظم الرجال في كل عصر ومكان قد اجمعوا على الاقرار بوجود الله

باستور والمذهب الوضعي

بقي عليَّ ان اتكلم عن مذهب قام في القرن الماضي يشبه من اوجه عديدة المذهب المادي ويدعى « المذهب الوضعي » لمؤسسه الفيلسوف اغوست كونت

وما حداني الى ذكر هذا المذهب الآن الاَّ ما قرأته في الخطاب الذي القاه العلامة باستور في نادي الاكاذيمية الفرنساوية حين قبوله عضواً فيها بدلاً من ليتره المتوفى •

من اصل واحد • لرأينا انفسنا مدفوعين بالطبع الى رفضه • اذ لا أساس له غير الحدس والتخمين • ولان مطابقاته مبنية على حوادث افرادية شاذة لا يصح الاعتماد عليها وليست اهميتها الا ثانوية

نعم اننا بواسطة العلم والصناعة نقدر ان نحدث بعض التحسين في اجناس حيواناتنا الداجنة • ولكن هذا التحسين أو التغيير لا يقدر ان يغير الطبع المختص بكل نوع • واذا فرضنا ذلك ممكناً مع طول الايام فافتراضنا اوهى من خيط العنكبوت لان النتائج التي توصلنا اليها حتى الآن لا تقدران تدعم هذا الافتراض اذ لا قيمة لها البتة • فعلى ماذا نعتمد اذاً ؟

ويزعم داروين ان الحيوانات تستحيل من تأثير الوسط الذي تعيش فيه • فكيف نفسر اذاً ان جنساً واحداً يعيش في وسط واحد او اوساط متشابهة يقدر ان يولد انواعاً هذا عددها ؟ واشكالاً هذا مقدار تباينها ؟ وافراداً مختصة باستمدادات مختلفة كهذه ؟

ولو فرضنا ان لزوم المهاجرة من قطر الى آخر واجتياز مضايق الماء قدرا ان يحولا ويجددا بناء الطير • فعلينا ايضاً ان نحسب الفترة الهائلة من الزمان التي تمرّ بين اول مسعى واول نتيجة وللحال نرى انفسنا مدفوعين الى رفض هذا الفرض

واما ما نراه من المشابهة الكائنة في بنية بعض حيوانات الطبقة العليا فهي ناتجة بالطبع من ان الخالق خصّ هذه الحيوانات بمجموع وظائف حيوية تجعل هذه المشابهة ضرورية من غير ان نستنتج من ذلك انها من اصل مشترك

باستور والتولد الفجائي

وأراني قد اطلت الكلام في هذا الموضوع • فاعود الى ما كنا فيه من العراك الذي حصل بين باستور وانصار مذهب التولد الفجائي :

لما وجدت اكاذمية العلوم الفرنساوية ان المشاحنة بين الطرفين قد طالت ارادت القطع فيها فاعلنت انها تمنح لمن يأتيها بالبرهان القاطع جائزة قدرها الفان وخمسمائة فرنك • فجمع باستور براهينه وقام يثبت قوله ان الاختمار لا يحدث الا بوجود بذور مكروسكوبية تنقلها العوامل الهوائية

ولو اردت ان ابسط كل هذه البراهين لاستغرقت صفحات هذه المجلة بتمامها وملّ القارىء من قراءتها فاقتصر على سرد اقواها حجةً وأقربها تناولاً :

وباستور يعدُّ في العالم المتمدن في مقدمة المجاهدين في سبيل الانسانية خدمها باكتشافاته خدماً جليلة لاينكرها عليه احد حتى اعداؤُه . فهذا العالم المشهور يعترف امام جمهور هم نخبة علماء فرنسا وفلاسفتها انه مقتنع كل الاقتناع ان العلم لايقدر ان يكشف للانسان سر علة العلل . ويعترف بانه من المذهب الروحي . ومن الحدام التصفيق الذي لوقي به هذا الاقرار يتضح ان السواد الاعظم من سامعيه يشارك الاكاذيمي الجديد في رأيه

ولم يتكلم حتى الآن باستور عن المذهب الوضعي الاَّ بما هو دون الطفيف . ولكنه ما لبث ان قال متحمساً : « ليس من النادر ان نرى اغزر الرجال علماً يفقدون قوة تمييز استحقاقهم الحقيقي . وهذا الذي حماني على ان احكم شخصياً على قيمة عمل اغوست كونت . واعترف لكم انني توصلت الى نتيجة تخالف كثيرًا رأي سلفي ليتره »

وطفق باستور حينئذ يبرهن ان كلاً من كونت وليتره قد ارتكب خطأً جسيماً بعدم تمييزه بين حقيقة النمط التجريبي ونمط الملاحظة المحدود . مع ان الفرق بينهما عظيم جزيل الاهمية . لان الملاحظة تقتصر على درس الحوادث المعروفة ومنها نستنتج بالاستدلال من الكائن او الذي كان ما قد يمكن ان يكون

واما المجرب فلا يكتفي بهذا التقريب لانه تعوَّد الانتصار على الطبيعة . وهو على الدوام يجد نفسه تجاه حوادث جديدة عليه ان يستخرج كل نتائجها ولا يعلن اقتناعه الا عند حصوله على البرهان القاطع

ولهذا ترى هذا النمط لا يمكن استخدامه في حل المسائل الفلسفية او النظرية الكبرى كمسالة اصل المخلوقات ونهايتها . وما ذلك الا لان السبب الابتدائي لا يمكن وقوعه تحت الحس اي التجربة والحساب

وكل ما يمكننا قوله هو : ان هذا المسبب الاولي من الحقائق الضرورية التي لا يقدر العقل ان يتجنبها مهما عمل او أراد وهذا المسبب كائن لانه يجب ان يكون ولان الشرائع التي تسوس العالم والحوادث الطبيعية لا يمكن ان توجد بدونه

فالتجربة التي تسمح لنا بالتعمق اكثر فاكثر في معرفة هذه الشرائع والحوادث تزيد هذه الحقيقة استيلاءً على افكارنا . ولهذا ترى المذهب الوضعي الذي لا يريد ان يقر بعجزه يقتصر على تدوين الاسباب بقطع النظر عن المسببات . وذلك باخراجه من مداركه « اعتبار مصدر الاشياء واصل العالم ومصيره »

ونظراً لما حواه الخطاب المذكور من الافكار والآراء الفلسفية المتعلقة بالمذهب الوضعي ·
ولأنها تؤيد ما اتيت على ذكره آنفا من الاقرار بوجود الخالق

عند ما انتخبت اكاذيمية الفرنساوية لويس باستور عضواً فيها بدلاً من ليتره المتوفى·
تحولت ابصار العلماء في كل قطر وصوب نحو تلك الاكاذيمية منتظرة بلهفة ورغبة زائدتين
نتيجة المصادمة التي ستحدث بين مذهبين متضادين : المذهب الروحي ورسوله العضو الجديد
باستور والمذهب الوضعي ونصيره رنان· وكل من الاثنين عالم ذائع الصيت

وكان محور خطاب باستور في المذهب الوضعي وهاك ما قاله فيه : « ان قاعدة
اوغست كونت الاساسية هي اقصاء كل بحث نظري عن علة العلل · واعادة الافكار
والنظريات الى حوادث · وان لا تعزى سمة التاكيد الا الى بينات التجربة · ويتضمن هذا
المذهب ترتيب العلوم بطبقات وشريعة وهمية من التاريخ تختصر بهذه العبارة : ان مدارك
العقل البشري تتدرج في ثلاث حالات : الحالة اللاهوتيــة والحالة النظرية والحالة
العلمية او الوضعية »

« وبعبارة اخرى تشتمل الحركة الاجتماعية على ثلاثة ادوار متوالية : الاول هو دور
الايمان الحار والانقياد الاعمى لكل ما رتبه الكهنة من الامور المتعلقة بتكوين العالم ·
والدور الثاني هو الايمان الفلسفي المبني على اقوال لا تخلو من رسم العقائد الدينية · واما
الدور الثالث ففيه يتملص العقل البشري تملصاً تاماً من التقاليد الدينية ليستسلم الى نتائج
النمط التجريبي الوحيدة

« وبناء على ذلك على الانسان ان يقصي من دائرة ابحاثه كل ما لا يقدر ان يتوصل
اليه بالتجربة والحساب · ونتيجة هذا الاقصاء يجب ان تقود الانسان الى الشك العام · غير
ان قسماً من تلامذة كونت ومكملي شريعتــه لم يكتفوا بالشك بل تطوحوا الى
النفي المطلق »

باستور وعلة العلل

ثم تطرق باستور الى الكلام عن مذهبه : « فقال لو تنازلتم فرمقتموني بانظاركم لرأيتم
من طبيعة اعمالي قد تكلمت بلا شك عن اميالي واظهرت الجهة التي اصبوا اليها

« فانني بتقديمي البراهين على ان الحياة لم تظهر للانسان حتى اليوم كحاصل قوى
تدبير المادة · قدرت ان اخدم المذهب الروحي الذي يشكو من قلة الانصار في الخارج
ولكنه يتعزى إذ وجد في صفوفكم على الاقل معتلاً منيعاً »

الى تصور جمالٍ اسمى ؟ والعلم هو الميل الزائد الى الفهم . فهل من سبب يضع في انفسنا سرَّ العالم غير طلب المعرفة ؟ اين هي اذاً ينابيع الشرف الانساني والحرية والديموقراطية العصرية الحقيقية اذا لم تكن في فكر اللانهاية الذي يساوي بين كامل طبقات الناس . » اهـ

وكان لكلام باستور وقع عظيم في قلوب سامعيه • حتى ان ارنست رنان المدافع عن المذهب الوضعي لم يجد ردًّا على كلام مناظره . ليس عن قصر باع منه بل لانه وجد كلام خصمه حقًّا لا يقبل الرد . ولم يكن هو لينكلم حبًّا بالمماحكة والمجادلة دون طائل ولهذا اكتفى في الدفاع عن رسل المذهب الوضعي بكلمات ختمها بما يأتي :

« اعترف لكم انني من حيث السياسة والفلسفة عند ما اجد ذاتي امام افكار متبطة اكون دائمًا على رأي مناظري واما هذه المسائل اللطيفة فأرى ان كل واحد مصيب بعض الاصابة . وارى ايضا ان من الحكمة والعدالة الا نطاب من الرأي الذي يبسط امامنا سوى ما يحتويه من الحقيقة

« والبحث الآن في هذه المسائل التي ارادت العناية — واعني بهذه الكلمة مجموع النواميس الاساسية لسير العالم — ان يرفرف فوقها سرّ مطلق • فعند الافكار التي من هذا النوع يجب ان نحترس من ان نتشبت برأي ما . بل يجب ان نتدبر ما نسمعه من الاصوات التي تأتينا من اربع جهات الافق . » اهـ

هذا ايها القارىء الكريم ما اردت بسطه امامك من الآراء الفلسفية المتعلقة بمسأله « اصل المخلوقات ونهايتها » على اختلاف نحلها ومشاربها . تاركاً لعقلك الراجح ورأيك السديد الحكم في ايها افضل واصلح للعمران

الخلاصة

ولو تنازلت فاحببت الاطلاع على رأيي فيها لاجبتك الى ذلك • ليس لانني من ذوي الافكار الثاقبة بل لاننا اصبحنا في عصر يتيح لبنيه ابداء رأيهم في كل شيء وبكل حرية . صحيحًا كان او غير صحيح . فان كان قويًا فيقابل بالاستحسان والا فيقوَّم

لقد اجتهدت ان ابرهن للقارىء اللبيب في ما تقدم من الكلام ان الانسان مضطر الاقرار بوجود خالق لهذا الكون يديره ويحركه حسب مشيئته . ولكن هل يكفي الانسان الاعتراف بوجود الله ام يلزمه ان يعتنق دينًا او مجموع شرائع تقربه من هذا الخالق ؟ هذا ما اريد اثباته في مايلي من الكلام :

أرى ان الدين ضروري للبشر بشرط ان يكون مبنيًّا على قواعد تؤول الى اسعادهم

فهل يقدر العقل البشري ان يقبل لمسالتنا الكبرى حلاًّ ناقصاً كهذا ؟ وهل يرضى بترك هذه المسالة التي تشغله منذ ابتداء الاجيال والتي اثار الحروب للانتصار عليها

كلاّ ثم كلاّ . ان العقل البشري لا يمكنه ترك حل هذه المسالة ولو كان ذلك في امكانه لفعل من امد بعيد وكذلك لا يرضى لها حلاًّ ناقصاً . وهاك ما يقوله باستور في هذا المعنى :

اللانهاية

« ان اكبر خلل ظاهر في هذا المذهب — أي المذهب الوضعي — هو اهماله اهم المسائل الوضعية وهي مسالة : اللانهاية

« ماذا يوجد وراء هذه القبة ذات الكواكب والنجوم ؟ سموات جديدة ذات كواكب ونجوم . حسناً ووراء هذه ؟ وهكذا لا يكف العقل البشري مدفوعاً بقوة لا تقهر عن التساؤل : ماذا يوجد وراء ذلك ؟ وهو لا يقف مهما طال به الزمان و بعدت المسافة لان النقطة التي يقف امامها ليست سوى عظمة متناهية . نعم انها اكبر واعظم من كل ما تقدمها ولكنه لا يكاد يقف تجاهها حتى يعود اليه السؤال الذي ارمه والذي لا يمكنه السكوت عنه

« ولا فائدة من الجواب : وراء ذلك فضاء أو عظمة لا حدّ لها . اذ ليس من يفهم هذه الكلمات . وعليه يجب ان نهتف بأعلى صوتنا مقرين بوجود اللانهاية . والذي يقرّ بهذا الوجود — ومن ذا الذي يقدر ان يفرّ من هذا الاقرار — يجمع في اقراره من خوارق الطبيعة ما يفوق مجموع العجائب في الاديان كلها . ومتى استولى هذا الفكر على عقولنا ما علينا الا ان نخر له سجدا

« وفي اثناء هذه الشدة المؤلمة يجب ان نطلب نعمة لعقولنا . لان لوالب الحياة العقلية تهددنا بالاسترخاء . وكلٌّ منا يشعر انه يكاد يمسه جنون باسكال السامي

« وفكر اللانهاية -- واري كل شيء في العالم ينطق به — يجعل خارق الطبيعة في اعماق القلوب كلها . وتصوّر الباري تعالى هو ضرب من تصور اللانهاية . وما دام سرّ الغير المتناهي ضاغطاً على الفكر البشري فتشاد الهيا كل لعبادة « اللانهاية » وسيان دعي برهما او الله او يهوه او يسوع . وترون الناس راكعين على بلاط هذه الهيا كل غارقين في لجة الافتكار بالغير المتناهي . والنظريات انما تترجم في داخلنا عن فكر اللانهاية المتسلط

أوليس التصور هو ايضاً القوة المنعكسة عن الغير المتناهي . والتي تدفعنا بحضور الجمال

القز وخصها بمزية الانقلاب من حالة الى أخرى يقدر ان يجعل في من يشاءه من البشر قوة صنع العجائب الفائقة معقولاتنا البشرية

وقد اقتصرت الآن على سرد حادثة دودة القز مع انه يوجد في هـذا الكون الواسع مخلوقات عديدة ذات طبائع خفية لم يتمكن العلماء حتى الآن من كشف سرها رغماً عن وجود هذه المخلوقات تحت اعينهم و وقوعها تحت حواسهم

فما زالت الفلاسفة لم تستقر بعد على رأي في امر الدين نظل نحن متمسكين به · فان كان ما جاء به صحيحاً نكون قد ربحنا الآخرة باتباعنا تعاليمه · والاّ فلا نكون قد خسرنا شيئاً · لا بل نكون قد خدمنا الانسانيـة وحزنا شيئاً من السعادة — اذا كان يوجـد على الارض سعادة حقيقية - اكثر من اخواننا الماديين · وانا اعتقد — واظن كل القراء الكرام يشاركونني في اعتقادي — ان الرجل الدين — اذا كان دينه كما ذكرت سابقاً — يخدم العمران والمدنية اكثر من معظم الفلاسفة · لانه يعمل بموجب شرائع هي افضل فلسفة على الارض · ومن الاقوال المأثورة ان الرجال باعمالهم لا باقوالهم

ومن يقول ان العلم لايقدر ان يسير مع الدين فقد اخطأ · لان اسحق نيوتن الفيلسوف الانكليزي الشهير كان يتم واجباته الدينية بكل دقة ومثله لبنيتز اشهر فلاسفة الالمان · و يروى عن باستور ان طبيباً من زملائه ساله ذات يوم : « كيف تقدر يا دكتور ان توفق بين اكتشافاتك العلمية والتعاليم الدينية » فاجابه « عند ما تقرأ التوراة والانجيل وتفاسيرهما بامعان اجيبك على سؤالك · واعلم ان دروسي بدلاً من ان تزعزع ركن اعتقادي جعلتني في الايمان كالفلاح البريطاني · ولو كنت اكثر تعمقاً في العلم لربما كنت اصير بايمان الفلاحة البريطانية · · » ويعني الفرنساويون بقولهم ايمان الفلاح البريطاني شدة التمسك بالدين وهو مثل عندهم ·

فمن هذه الشواهد يتبرهن ان الانسان يمكنه الوصول الى اوج العلوم والمعرفة بدون ان يغير شيئاً جوهرياً من معتقده

فهذا ما أراه في الدين او المذهب الروحي · وللقاريء الخيار في أن يستصوبه او لا · وأراني قد اطلت الشرح اكثر مما اردت · وخوفاً من ملل القاريء اختم كلامي بالهتاف مع امليوكاستيلار : « ما دام الانسان في هذه الدنيا عرضة للآلام والمصائب فهو مفتقرٌ الى معزٍ · وما دام الموت يهـدده فهو مضطرٌ الى ان يؤمن و يرجو »

ق · م ·

وترقيتهم في سلم المدنية والعمران . وبعبارة اخرى رفعهم من جبلتهم الحيوانية الدنيئة الى جبلة اسمى وارفع

وان تكون تعاليم هذا الدين مؤسسة على الاعتقاد بخلود النفس وبحياة ثانية يجازى فيها كلٌّ بما جنت يداه . فينال الصالحون سعادة حقيقية ابدية والاشرار عذاباً ابدياً

واعتقد ان هــذا الدين هو اللجام الوحيد لشهوات الانسان والرادع الفعَّال لاميال الحيوانية الغريزية اذ ما يمنعه عن اقتراف الرذائل والمحرمات اذا لم تؤسسه منذ الصغر على الرهبة من يوم الدينونة العظيم . فلا يفعل ذنباً الا ويتصور سيفاً نارياً فوق راسه والارض فاغرة فاها لابتلاعه فضلاً عن افتكاره بالعذاب الابدي في اليوم الاخير

واي تعزية له عن عذابه وآلامه في هذه الدنيا وعما يلاقيه من مظالم بني جلدته اذا لم يكن لهُ امل يعش فؤاده المنكسر ونفسه الحزينة فيرجيها بحياة ثانية خالية من كل شائبة لا يسود فيها الاّ السلام والسعادة الحقيقية وحيث لا يسكن الا الابرار الصالحون ؟

هل تظن كل البشر اعطوا فلسفة رنان ومحبته للسلام حتى يمكنهم الاستغناء عن الدين — ان صح ان تغني الفلسفة ومحبة السلام عنهُ — . الا ترى ان اعاظم الساسة في الدول الاوروبية تحثُّ حكوماتها لتأمر مدارسها بجعل التعليم الديني اجبارياً لتأكدهم ان البشر لا يبتعدون عن الشر الا بتمسكهم بمبادئ الدين الجوهرية

وان قلت لي ان في بعض الاديان وخصوصاً الدين المسيحي من خوارق الطبيعة ما لا يمكن ان يسلم به العقل البشري . اجيبك بانه ليس من الغريب ان نقرأ في الكتب الدينية عن حوادث تفوق الادراك لاننا نقرأ كل يوم في كتاب الطبيعة ما يفوق العجائب الدينية غموضاً واشكالاً

فكما اننا نرى كثيرين من اقراننا ينكرون حدوث العجائب الدينية . هكذا لو ذكرنا لرجل لم يرَ دودة القز كثرة الحالات التي تتقلب فيها هذه الدودة لأنكر صحة كلامنا وقال بعــدم امكان حدوثه . وما ذلك الاّ لكون هذا التقلب ينافي نظام الطبيعة وعليه لا يمكن العقل ان يسـلم به . فانكار صحة كلامنا لا ينفي حدوثه كما ان انكار العجائب لا ينفي حدوثها

والفرق بين حادثة دودة القز والعجائب هو ان الحادث الاول يتكرر تحت اعيننا مراراً عديدة في اليوم حتى الفته ابصارنا فلم نعد نحفل به . واما الثاني فربمــا انقضت الاجيال دون ان يقع تحت انظارنا ولهذا يسهل علينا انكاره . مع ان الذي خلق دودة

قرن خروف في ظهر انسان

في الطبيعة قواعد تسير عليها الخلائق في تعاملها وسائر احوالها . ولكل من احوال الخلق نواميس عرفنا بعضها ولا يزال اكثرها غامضاً عنا . ولا سيما من حيث الحياة والتناسل والنمو وغير ذلك ولكن لهذه النواميس شذوذاً يبدو للناس حيناً بعد آخر فيكون فيه عبرة للحكيم ودهشة للجاهل كما رأيت في ما نشرناه في سني الهلال الماضية من امثلة هذا الشذوذ كالتوأمين المتصلين ونحوهما

واحدث ما علمناه من شذوذ الخلق قرنٌ نبت في ظهر بعض سكان القاهرة اكتشفه الدكتور احمد افندي صادق مفتش صحة باب الشعرية واقتلعه بعملية جراحية وبعث الينا بالقرن لنراه وكتب طريقة اكتشافه المذكور وهذا نصها قال :

« انه في يوم الاثنين ٢٣ يوليو سنة ١٩٠٦ حضر لمحل عيادتنا رجل مصري الجنس يدعى علي حسن يناهز من العمر تسعين سنة تقريباً صناعتهُ بواب بوكالة الزعفراني بقسم باب الشعرية فحصناه فوجدنا امام شوكة عظم اللوح الأيسر قرن خروف غير مغطى بجلد ولا غيره مثبتاً بقاعدته في الاجزاء الرخوة سائباً من طرفه الانتهائي متدلياً على الظهر بحيث لو امسك طرفه السائب يمكن تحريكه الى جميع الجهات . وهذا القرن صلب القوام لونه ابيض وسخ وبه نقط سوداء واليافه طولية وينتهي بطرف منحني على نفسه . طوله خمسة عشر سنتيمتراً وقطر قاعدته ٦ سنتيمترات ولم يكن متصلاً بعظم اللوح بل كان منغرساً في الاجزاء الرخوة كما قدمنا . وقد قلنا للمريض ان الطريقة الوحيدة لعلاجه انما هي نزعه فقبل

« وقبل شرح العملية اذكر تاريخ حياة هذا الرجل : ولد علي حسن المذكور بناحية طهنشا بمديرية المنيا من ابوين مصريين فقيرين فوالده يدعى حسن خليفه الفلاح ووالدته تدعى بزاده بنت هرماز . وبعد ولادته توجها به الى الاسكندرية ليعيشا بها من عرق الجبين وتوفيا هناك بعد بضع سنوات ولم يعلم سبب وفاتهما لحداثة سنه انما اخبرنا ان والدته توفيت قبل والده وكلاهما توفي في ريعان الشباب . وبعد وفاتهما عاد الى بلده واشتغل بالزراعة ثم تعين في زراعة عزبة علي باشا شكري بزمام بلده بصفة مزارع وكان عمره اذ ذاك عشرين سنة فمكث في تلك العزبة خمس عشرة سنة ثم انتقل الى مصر فاشتغل بالبوابة ولا يزال بها الى الآن . وعلمنا انه منذ سنتين تقريباً ظهر له في محل خروج هذا القرن شبه دمل ثم تحجر وصار ينمو شيئاً فشيئاً وكلما نما كان يقصه له احد الحلاقين بجهة الوايلي . وظل كذلك سنة ثم حالت موانع دون مقابلته الحلاق فنما القرن حتى وصل للحجم الذي هو عليه الآن ونظرا

عجائب المخلوقات



قرن خروف في ظهر انسان

فليس يدرى اصل ذي غربة وانما تعرف من شيمتك
وكل ما يفضي لعذر فلا تجعله في الغربة من اربتك
ولا تجالس من فشا جهله واقصد لمن يرغب في صنعتك
ولا تجادل ابداً حاسداً فانه ادعى الى هيبتك
وامش الهوينا مظهراً عفة وابغ رضا الاعين عن هيئتك
وانطق بحيث العيُّ مستقبح واصمت بحيث الخير في سكتتك
ولا تزل مستيقظاً طالباً من دهرك الفرصة في وثبتك
وكلما ابصرتها امكنت نب واثقاً بالله في مكنتك
ولج الى رزقك من بابه واقصد له ما عشت في بكرتك
واس من الودّ لدى حاسد ضدّ ونافسه على خطتك
ووفر الجهد فمن قصده قصدك لا تعتبه في بغضتك
ووفّ كلاً حقه ولتكن تكسر عند الفخر من حدّتك
ولا تكن تحقر ذا رتبة فانه أنفع في غربتك
وحيثما خيمت فاقصد الى صحبة من ترجوه في نصرتك
وللرزايا وثبة مالها الا الذي تذخر من عدتك
ولا تقل اسلم لي وحدتي فقد تقاسي الذل في وحدتك
والتزم الاحوال وزناً ولا ترضخ الى ما قام في شهوتك
واجعل العقل محكاً وخذ كلا بما يظهر في نقدتك
واعتبر الناس بالفاظهم واصحب أخاً يرغب في صحبتك
كم من صديق مظهر نصحه وفكره وقف على عثرتك
اياك ان تقربه انه عون مع الدهر على كربتك
وانم نموّ النبت قد زاره غبّ الندى واسم الى قدرتك
وان نبا دهر فوطن له جأشك وانظره الى مدتك
فكل ذي أمر له دولة فوفّ ما وافاك في دولتك
ولا تضيع زمناً ممكناً تذكاره يذكي لظى حسرتك
والشرّ مهما اسطعت لا تأته فانه جور على مهجتك

اكبره وثقله منع المريض من النوم على ظهره فجاءنا ولما عرضنا عليه العملية قبلها بكل ارتياح
فشرعنا في العملية نحو الساعة الحادية عشرة صباحا من التاريخ المذكور بعد اعداد
المعدات اللازمة . فشققنا الجلد حول قاعدة القرن شقاً بيضيّ الشكل يحيط بدائرتها ثم
اخذنا في فصل الاجزاء الرخوة عن القاعدة حتى وصلنا الى وجهها السفلي وبفصله وجدنا به
نتوين وفي حال العملية شاهدنا شريانا خارجا من الجسم ومتصلا بالنتو الايمن ووريداً
وجملة اوعية شعرية متصلة بالنتو الايسر . فبعد قطع هذه الاوعية وربطها تمّ انفصال
القرن من الجسم وهذه الاوعية هي التي كان القرن يغتذى بها ثم خيطنا الجرح بعد ان
وضعنا فيه انبوبة وغطيناه بالغيار اللازم وثابرنا على ذلك يومياً ولم يطرأ على المريض طارىء
واستئصال هذا القرن لم يؤثر على حياة المريض ويجوز ان يظهر له قرن آخر في المستقبل في
نقطة اخرى من جسمه ولعل القرن الذي نحن بصدده كان مع الشخص المذكور منذ
ولادته بحالة أثرية تحت الجلد ولسبب نجهله كصدمة او سقطة او خلافه على محل القرن
تنبه هذا الجزء ونما حتى بلغ ما بلغ اليه . ويمكن ان يكون مبدأه حقيقة من مدة سنتين كما
اخبرنا المصاب

مفتش صحة باب الشعرية

احمد صادق

وصية والد لولده

ودّع ابن سعيد العنسي ابنهُ علياً لما اراد النهوض من الاسكندرية الى القاهرة ودفع
اليه قصيدة ضمنها وصاياه لهُ قال :

اودعك الرحمن في غربتك	مرتقبا رحماه في أوبتك
وما اختياري كان طوع النوى	لكنني اجري على بغيتك
فلا تطل حبل النوى انني	والله اشتاق الى طلعتك
من كان مفتونا بابنائه	فانني امعنت في خبرتك
فاختصر التوديع اخذا فما	لي ناظر يقوى على فرقتك
واجعل وصاتي نصب عين ولا	تبرح مدى الايام من فكرتك
خلاصة العمر التي حنكت	في ساعة زفت الى فطنتك
فلا تنم عن وعيها ساعة	فانها عون الى يقظتك
وكل ما كابدته في النوى	اياك ان يكسر من همتك

في افريقيا

نيجيريا	٤٠٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠,٠٠٠
« الرأس (الكاب)	١٩١,٤١٦	٢,٥٠٢,٦٣٥
« اواسط افريقيا	٤٢,٢١٧	١,٠٠٠,٠٠٠
« شرقي «	١,٠٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠
اوغندا	٢٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠
بلاد الباسوتو	١٠,٢٩٣	٢٤٦,٠٠٠
« بكوانا	٣٨٠,٠٠٠	١٣٠,٠٠٠
الترانسفال	١١٩,١٣٩	١,٠٠٠,٠٠٠
شاطىء الذهب	١١٩,٢٦٠	١,٥٠٠,٠٠٠
لاغوس	٣٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠
زنجبار	١,٠٢٠	٢٠٠,٠٠٠
جزائر مورنيوس	٧٠٥	٣٧٨,١٩٥
ناتال	٢٩,٢٠٠	٩٥٩,٣٨٥
مستعمرة الاورانج	٤٨,٣٢٦	٧٨,٠٠٠
روديسيا	١٤٤,٠٠٠	٧٠٠,٠٠٠
القديسة هيلانه	٤٧	١٠,٠٠٠
سيشلس	٤١٩	٢٠,٠٠٠
الصومال	٦٠,٠٠٠	١٥٣,٠٠٠
غامبيا	٦٩	١٣,٤٠٠
سيراليونا	٤,٢٠٠	٧٧,٠٠٠
(المجموع عن افريقيا)	٢,٨٨٠,٣١١	٤٣,٤٦٧,٦١٥

في اميركا

كندا	٣,٧٠٠,٠٠٠	٥,٤٠٠,٠٠٠
برموداس	٢٠	١٧,٥٠٠
جزائر فلكلاند	٣٠٠	٢,٢٠٠

مستعمرات انكلترا والبلاد الداخلة في حمايتها

باعتبار القارات

في أوربا	المساحة بالميل الانكليزي	عدد السكان
جبل طارق	٢	٢٠,٣٠٠
مالطه	١١٧	١٩٣,٣١٥
(المجموع عن اوربا)	١١٩	٢١٣,٦١٥
في اسيا		
الهند الانكليزية	١,٠٨٧,٢٤٩	٢٣٢,٠٠٠,٠٠٠
بلوشستان	١٣٢,٣١٥	١,٠٤٩,٨٠٨
سيلان	٢٥,٣٣٢	٣,٥٧٨,٣٣٣
عدن	٧٥	٤١,٢٢٢
سوقطرة	١,٣٨٢	١٢,٠٠٠
جزيرة البحرين	٢٧٠	٢٥,٠٠٠
بورنيو (بعضها)	٣٤,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠
قبرص	٣,٥٤٨	١٢١,٠٦٦
هونغكونغ	٣٧٦	١٠٠,٠٠٠
سكيم	٢,٨١٨	٦٠,٠٠٠
جزائر اندامان ونيكوبا	٢,٦٣٥	٢٤,٤٩٩
جزائر لاكاديف	٠٠٠	١٠,٢٧٠
لابوان	٣٠	٨,٤١١
ستريت ستلمانت	٤٠٠	٦٠٠,٠٠٠
جزائر ملقا	٢٦,٥٠٠	٧٠٠,٠٠٠
واي هاي واي	٢٨٥	١٢٤,٠٠٠
(المجموع عن اسيا)	١,٦٣٧,٢١٥	٢٣٨,٦٤٤,٦٠٩

السل

وعلاجه الناجع — الطعام والهواء

لم يبق سبيل للشك ان كل انسان قابل للاصابة بالسل اذا توفرت فيه الاسباب المساعدة على ظهوره وانهُ ينتقل بالعدوى لا بالوراثة وانما يرث الاولاد الاستعداد لهُ · وان العقاقير الطبية لا تفيد شيئا في معالجته وانما علاجه الوحيد الغذاء الجيد والهواء النقي والنوم الهادي المنيء في الهواء المطلق والراحة البدنية والعقلية وكل مايساعد على تقوية الصحة العمومية — هذا ما تقرر نفعهُ في معالجة هـذا الداء الذي اصبح عالة على كاهل الانسانية وهو يهددها بخطر عظيم

ومع خطارته وسوء عواقبه فتجنب الوقوع فيه هيّن وانما يحتاج الى تعقل وانتباه اذ هو لا يأتي فجأة بل تتقدمه اعراض ضعفية أو نزلات صدرية اذا انتبه لها الانسان وعالجها سلم من خطر عواقبها ويجدر الانتباه الى ذلك على الخصوص بالمعرضين للسل من ضعف وراثي او اكتسابي لسبب من الاسباب — فهؤلاء اذا اصاب احـدهم السعال او انتابه مرض مضعف فلا يهملهُ وليحذر من اسباب الزكام ونحوه مما يصيب الصدر واذا اصابته بحة تجاوز بقاؤها بضعة ايام فعليه بالطبيب يفحص حلقهُ فحصاً طبياً · اذ كثيراً ما تنتهي هذه البحة بالسل الحلقي واذا شعر بسخونة في اثناء النهار مهما يكن من خفتها فينبغي الانتباه اليها وتدارك امرها على يد الطبيب · وبالجملة اذا تيقظ النحيف او غيره من المعرضين لهذا الداء ندر ان يصابوا به

على ان الاصابة اذا كانت في أوائلها وعولجت بالعلاج الحقيقي شفيت على الغالب · وما هو العلاج الحقيقي ؟ — انما هو الغذاء والهواء والراحة في اليقظة والمنام — ولهذا السبب اهتم اهل اوربا بانشاء المستشفيات الخاصة بالسل و يسمونها المصاح Sanitarium يختارون لهـا مواقع صحية في بقاع نقية الجوّ معتدلة الطقس يقيمون فيها ابنيـة مطلقة الهواء على شكل صحي و يطعمون المرضى اطعمة كثيرة الغذاء سهلة الهضم ويشيرون عليهم بضروب من الرياضة البدنية تلائم اجسامهم وامزجتهم وسائر احوالهم — هـذا هو العلاج الشافي من السل على ما بلغ اليه جهد الاطباء حتى الآن · اما ما اذاعه الدكتور بهرين عن اكتشافه

جيانا	١٠٤,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠
هوندوراس	٧,٥٦٢	٣٧,٤٧٩
نيوفوندلاند	٤٠,٠٠٠	٢١٧,٠٠٠
باهاماس	٥,٤٥٠	٥٥,٠٠٠
باربادوس	١٦٦	١٩٦,٠٠٠
جامايكا	٤,٢٠٠	٦٣٩,٠٠٠
جزائر ايوارد	٧٠١	١٢٧,٧٢٣
ترينيداد	١,٧٥٤	٢٥٥,١٨٤
توباكو	١١٤	١٨,٧٥٠
غرنادا	١٣٣	٦٥,٦٢٧
سانت فنسنت	٦٣٢	٤٥,٠٠٠
« لوسيا	٢٣٣	٥٠,٠٠٠
(المجموع عن اميركا)	٣,٨٦٥,٢٦٥	٧,٤٢٦,٤٦٣
في اوستراليا		
نيوسوث ويلس	٣١٠,٧٠٠	١,٣٥٤,٨٤٦
فيكتوريا	٨٧,٨٨٤	١,٢٠٠,٠٠٠
كوينسلاند	٦٦٨,٤٩٧	٤٩٧,٠٠٠
سوث اوستراليا	٩٠٣,٦٩٠	٣٦٢,٦٠٤
وست «	٩٧٥,٩٢٠	١٨٤,١٢٤
تسمانيا	٢٦,٢١٥	١٧٢,٤٧٥
غينيا الجديدة	٩٠,٥٤٠	٣٥٠,٠٠٠
زيلاند الجديدة	١٠٤,٧٥١	٨٥١,٠٦٣
جزائر فيجي	٧,٤٣٥	١٢٩,٩٢٥
جزائر المحيط	٠٣٩٠	١٨,٩٥٩
(المجموع عن اوستراليا)	٣,١٧٦,٠٢٢	٥,١٢٠,٩٩٦
المجموع كله	١١,٢٣٨,٩٣٢	٢٩٤,٨٧٣,٢٩٨

الاريحية على الاشتراك فيهِ وهذا نصه :

« اما بعد فلما كنا في احتياج كلي لانشاء مستشفى في لبنان للمصابين بالعلل الدرنية على النمط الحديث لاجل دفع اذاها عن المستعدين لها ومعالجتها في المصابين بها الذين يرجى شفاؤهم بالتدبير الصحي والتدريب المعيشي في الهواء النقي والشمس المشرقة الامر الذي تدعو اليه الحاجة في هذه البلاد التي انتشرت فيها الاسقام المشار اليها وتهددت الكثيرين فيها واصبحت العناية بذلك من اهم الواجبات تألفت لجنة من الاشخاص المدوّنة اسماؤهم واخذت على نفسها القيام بذلك فتقرر لدى اللجنة المذكورة الشروع بالتدابير العاجلة لاتمام هذا الامر الخطير الذي يعتبر خدمة جلى للانسانية والصحة العمومية . فغدا من الواجب على كل اريحي يحب الخير ان يعضد هذا المشروع ويمدّ يد الجود والسخاء اليه ويساعد على ابرازه الى حيز الوجود . وعليه ارتأت اللجنة العاملة المنتخبة للقيام به ان تعرض على المحسنين من جميع الطوائف اكتتاباً عمومياً راجين من كل منهم ان يبين القيمة التي يود التبرع بها وله الاجر عند الله تعالى الذي أمر بعمل الخير والاحسان مع بني الانسان على اختلاف المذاهب والاديان

« وقد عُرض مجاناً من احد اعضاء العمدة لاجل مستشفى التدرن ارض فسيحة علوها عن سطح البحر نحو الف وخمسمائة قدم بين قصبة برمانا وبيروت مساحتها نحو عشرين الف متر مربع كثيرة الحجارة الكلسية جميلة المنظر جيدة التربة نقية الهواء . واخرى من احد الوجهاء المحسنين في ناحية جمهور بجوار محطة السكة الحديدية في موقع كثير الاحراش والشمس نقي الهواء صافي الماء مساحته عشرون الف دراع مربع

« اما تعيين الموقع الاوفق للعلل الدرنية فسيناط بلجنة خصوصية . على انه يلزم لبناء المستشفى على النمط الحديث نحو الف وخمسمائة ليرة عثمانيــة ولادارته الطبية مائتا ليرة ولمصروف سنوي لاربعة وعشرين شخصاً خمسمائة ليرة فيكون مجموع ما يلزم بادئ بدء للقيام بمشروع المستشفى الفين وخمسمائة ليرة عثمانية » اه .

وقد قدرت اللجنة اقل مبلغ لهذا المشروع تسهيلاً لاخراجه الى حيز الفعل — فمن اراد الاشتراك بهذا العمل الخيري فليخابر امين صندوق العمدة في بيروت حضرة ميشال بك ابراهيم سرسق

لمعالجة السل او منعه فلا يزال في حيز القوة وتحت التجربة ومتى صحت النتيجة ينتفع الناس بها

اما الآن فخدمة الانسانية من اهل اليسار قد وجهوا عنايتهم الى الاحسان في هذا السبيل فيبنون الملاجيء الصحية لمعالجة السل او التدرن على الكيفية التي ذكرناها في من يصابون به من الفقراء رفقاً بحياتهم وتجنباً لنشر العدوى في سواهم. اما الاغنياء فالخطر من نقل العدوى على ايديهم قليل لانهم يجرون غالباً على مشورة الاطباء الماهرين واحوالهم تساعدهم على ذلك

الملجأ الصحي اللبناني

وانشاء المستشفيات او المصاح لمعالجة السل او التدرن على الخصوص لا تزال قليلة حتى في اوربا لانها من الترتيبات الصحية الحديثة فلا لوم علينا اذا كنا لم ننشئ منها شيئاً بين اظهرنا حتى الآن. على ان جماعة من وجهاء سوريا شعروا بهذه الحاجة فتكاتفوا على انشاء ملجأ صحي لهذا الداء في لبنان وشكلوا لجنتين من اهل الوجاهة والغيرة والنشاط نذكر اسماءهم اقراراً بفضلهم وهم:

✻ ١ — العمدة العاملة ✻ جرجي افندي ديمتري سرسق. قسطنطين افندي الخوري. الدكتور بشاره منسى. الدكتور اسكندر بك البارودي. فارس افندي مشرق. ميشال بك ابراهيم سرسق (اميناً للصندوق) حليم افندي غرزوزي (كاتباً للملجأ)

✻ ٢ — لجنة المستشارين ✻ ندره بك المطران. محمد افندي ابي عز الدين. داود افندي نحول. احمد بك نامي. لطف الله افندي منسي. الدكتور سليم بك الجلخ

وقد انتخبت هاتان اللجنتان من اعضائهما ومن سواهم لجنة سموها لجنة الامناء وهذه اسماء اعضائها: الخواجا تيوفلوس فالدمير. اسبر افندي شقير. ميشال بك سرسق. الدكتور بشاره منسى. الدكتور ماري بيرسن ادي. الدكتور اسكندر بك البارودي

فاذا توفق هؤلاء الافاضل الى اتمام هذا المشروع كانوا اول من فعل ذلك في الشرق وهي خدمة لا يقتصر نفعها على السوريين بل هو يشمل سائر اهل المشرق ولا سيما جيرانهم سكان وادي النيل لانهم اقرب المشارقة اليهم وقد تعوّد وجهاؤهم الاصطياف على ربى ذلك الجبل السعيد. فنستحث اهل اليسار منهم على الاشتراك في هذا العمل الخيري العائد نفعه على القطرين والله لا يضيع اجر المحسنين

وقد نشرت العمدة منشوراً عمومياً بينوا فيه مشروعهم والغرض منه واستحثوا اهل

تاريخ الطعام

(القاهرة) محمد افندي مصطفى الحسيني

قرأنا في مقالة « هل نذبح لنأكل » المفيدة ان الانسان في اصل فطرته من اكلة الاثمار وانه انما خرج عن طبيعته بتناول اللحوم ونحوها فكيف تأتى له هذا الخروج وما الذي بعثه عليه ومن علمه الخبز والطبخ

(الهلال) ان الجواب على سؤالكم يقتضي النظر في تاريخ الانسان في ادواره الاولى قبل زمن التاريخ بالقياس على ما هو معلوم من قواعد العمران وما نراه من حال الامم المتوحشة حتى الآن . والانسان لم يغادر نوعاً من انواع الطعام الا تناوله نباتياً كان او حيوانياً فهو يأكل الاعشاب والاثمار وسائر انواع النبات ويتناول لحوم اكثر اجناس الحيوان من الاسماك والطيور والدبابات والهوام ولم يغادر نوعاً من السوائل الغذائية الا شربه فهو يشرب الماء والعسل واللبن والخمر على انواعها ويشرب عصير الاثمار وكثيراً من مركباتها ويتناول كل ذلك ناضجاً او غير ناضج مطبوخاً او نيئاً حارًّا او بارداً فقد شارك الحيوانات المفترسة والداجنة من اكلة اللحوم واكلة النبات ويكاد يشارك النبات في غذائه

على ان ذلك ليس فطرياً فيه وانما سيق اليه بطبيعة عمرانه وما اقتضته بيئاته من التوسع في الحضارة والانغماس في الترف والاكثار من انواع الاطعمة والاشربة . اما من حيث فطرته فهو من اكلة النبات او انه من طبيعته قادر على تناول الغذائين . ولكن الغالب انه لم يتناول في اوّل ادوار وجوده الا النبات فبدأ بالاعشاب يأكلها اقتداءً بأكلة الاعشاب ثم تدرّج الى الاثمار يتناولها من الاشجار المرتفعة . والنصوص الدينية تؤيد هذا القول ففي سفر التكوين قال الله لآدم « من جميع شجر الجنة تأكل الخ » ولم يرد ذكر اكل الحيوان الا على اثر حكاية الطوفان بعد ان بارك الله نوحاً وبنيه حيث قال لهم « وكل حي يدب يكون لكم مأكلاً وكبقول العشب اعطيتكم الكل » كأنه يشير الى انه اذن لهم اوّلا بأكل العشب فقط وقد اذن لهم الآن بأكل اللحوم على ان ذلك لا يدل دلالة قاطعة على ان الانسان لم يتناول لحماً قبل الطوفان وانما اوردنا هاتين الآيتين تأييداً لقول اهل العلم وتوفيقاً بين النصوص الدينية والحقائق العلمية

باب السؤال والاقتراح

اختراع النار

﴿ الاسكندرية ﴾ اسعد افندي سليم

من اخترع النار وكيف توصل الانسان اليها وكيف كانت حياته قبل اختراعها

﴿ الهلال ﴾ النار من الاختراعات القديمة قبل زمن التاريخ بادهار بعيدة فيستحيل معرفة مخترعها كما يستحيل معرفة مكتشف ملح الطعام ونحوه من الضروريات القديمة . اما كيفية توصل الانسان الى النار فتدلنا عليها قرائن الاحوال مما نراه من حال بعض القبائل المتوحشة في اواسط اوستراليا وافريقيا واميركا . على ان الانسان عرف النار اولاً مما كان يشاهده في الطبيعة من مقذوفات البراكين او ما يتفق حدوثه من الاشتعال الفجائي كانفجار بعض المعادن او ما جرى مجراها ثم تعلم ايقادها بالتدريج فعلم بالاختبار اولاً ان الخشب او الحجر اذا لطم بعضه بعضاً او حك بعضه ببعض تولدت فيه حرارة . وكان يلتمس النار بادئ بدء للدفء فاذا دلك خشبة بخشبة شعر بشيء من الحرارة ثم جعل يكثر من الدلك ويتفنن فيه حتى تمكن بتوالي التجارب من ايقاد النار به في بعض المواد الهشة السريعة الاشتعال كيابس العشب او نحوه وتوليد النار على هذه الطريقة لا يزال مستعملا عند كثير من القبائل المتوحشة الذين لا يعرفون شيئاً عن اختراع الزناد او عيدان الكبريت ومن تلك القبائل من لا تنطفئ نارهم نهاراً ولا ليلاً فاذا خافوا انطفاءها زادوا وقودها لئلا تنطفئ فيقاسوا في ايقادها مشقة كبرى . وكان من قوانين الرومانيين ايام جاهليتهم ان النار المقدسة في مذابحهم اذا انطفأت يعاد وقودها باحتكاك الخشب وهو اثر يدل على ان اجدادهم كانوا يوقدون النار بالفرك . وقدح الزناد من اقدم طرق الاشعال او هو حلقة موصلة بين الاشعال بالفرك وبين عيدان الكبريت المعروفة . اما عيدان الكبريت هذه فقد تم اختراعها سنة ١٨٣٤

(١) تناول الشعب (٢) تناول الاثمار · و بين هاتين الدرجتين مسافة قصيرة وقد تختلطان (٣) تناول اللحوم نيئة (٤) طبخها بالنار (٥) اختراع الخبز · واخذ من ثم يتوسع في اساليب الطبخ والعجن و يتفنن في انواع المأكولات ثم تفرعت تلك التفننات وتعددت بتعدد الامم واختلاف احوالها حتى بلغت ما هي عليهِ الآن · على ان تلك الاختلافات ترجع الى مبدأ واحد هو الاغتذاء باللحوم والحبوب وانواع الخضرة ومهما اختلفت اساليب صناعة الطبخ فكلها راجع الى انضاج اللحم بالطبخ اما على حدة او مع بعض انواع الخضرة والحبوب او ما شاكل ذلك · و يجدر بنا في هذا المقام ان نأتي على عوائد اشهر الامم القديمة في طعامهم وشرابهم :

كان المصريون يأكلون السمك نيئاً مجففاً بالشمس او منقوعاً في الماء الملح و يتعاطون كثيراً من اللحوم نيئة كالسلوى والبط و بعض انواع الطيور بعد تمليحها و بعضهم كانوا يأكلون السمك مجففاً بحرارة الشمس فقط

وكانوا يتناولون طعامهم على انغام الموسيقى و يجعلون على موائدهم تماثيل صغيرة تمثل اجساماً محنطة كانهم يريدون بذلك كبح جماح الشهوات بتذكير اصحاب المائدة ان نعيم الدنيا زائل · وقد يطوفون بتمثال جثة محنطة حول المنزل وهم يغنون الاغاني و يقولون « كل واشرب وتمتع بملاذ الدنيا قبل ان يدركك الموت » وكانوا يبسطون موائدهم على الطرق قال هيرودوتس « انهم يحتجون عن ذلك بان الامور المعيبة · اذا كان لابد من عملها فلتعمل سرًّا اما غير المعيبة فجهاراً » ومما ذكره هذا الرحالة الشهير وقد زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد قوله وقد اراد المقابلة بين عوائد المصريين وعوائد الامم المعاصرة لهم « وسائر الامم يأكلون في محل لا تكون فيه بهائمهم واما المصريون فيأكلون مع بهائمهم · وفي كل البلاد يقتات الناس بالحنطة والشعير واما في مصر فالذي يأكلها يحسب نجساً وهم يأكلون الحنطة الحمراء (الخندوقى)و يعجنون الدقيق بارجلهم لكنهم يرفعون الوحل والزبل بايديهم « ثم تكلم عن طعام الكهنة فقال » ولكل منهم نصيب خاص من اللحم المطبوخ المقدس وكل يوم يوزعون عليهم كميات كثيرة من لحم البقر والاوز وكانوا يعطونهم من الخمور خمر العنب ولكن لا يسمح لهم ان يأكلوا السمك والمصريون لا يزرعون الفول في ارضهم واذا ورد منه شيء من الخارج لا يأكلونه نيئاً ولا مطبوخاً والكهنة لا يطيقون ان يروه لانهم يعتقدون انه بقل نجس »

والبابليون ومن قطن بين النهرين كانوا كالمصريين في الاكثار من اكل الاسماك

فالانسان اكل العشب اولا ثم الثمر لاستغنائه في ذلك عن الادوات والعدد او السعي والمشقة فكان اذا استظل بفيء شجرة تناول ثمرها طعاماً واتخذ هيكلها ملجأ وحصناً وخاط اوراقها كساءً واستخدم اغصانها سلاحاً يدفع بها عنه غائلة الوحوش الضارية

ويمتاز الانسان عن سائر انواع الحيوان بقواه العاقلة المساعدة له في اختراع الطرق للدفاع عن نفسه او السعي وراء رزقه . فبعد ان عاش ادهاراً يقتات على الاعشاب حدثته نفسه ان يتناول الحيوان طعاماً اقتداءً بالحيوان المفترس وجرّه ذلك الى اختراع الادوات القاتلة وابسط تلك الادوات الاحجار والعصي فكان اذا اراد حيواناً رماه بحجر او ضربه بهراوة فيقتله ثم يعمد الى لحمه فينهشه نيئاً كما تفعل الوحوش والغالب انه أكل من انواع الحيوان اولا الاسماك كان يلتقطها من ضفاف الانهر أو شواطئ البحور فيقطعها بأحجار محددة ثم تفنن في نصب الشراك ورمي النبال واقتناء الحيوانات الداجنة ومعالجة لحومها على النار وفي تناولها نيئاً وطبخاً مع النبات او بدونه ولا غنى له في كل ذلك عن النار

على انه لما تيسر له اشعال النار استخدمها للتدفئة والانارة ثم طبخ بها طعامه واقدم انواع الطبخ الشواء بان تلقى قطع اللحم او السمك على النار مباشرة او على احجار محماة او ان توضع في جلد وتطمر في تراب محمى او غير ذلك من اساليب الطبخ وعلى هذا المبدإ اخترعوا الافران واهتدوا الى طرق السلق والشيّ . وكأن الانسان لم يكتف بتقليد الحيوانات الكاسرة في قتل الاحياء واكل لحومها وشرب دمائها حتى زاد عليها ان يقليها على النار أو يشويها

ومن اهم الادوار التي مرّ بها الطعام في تاريخه اختراع الخبز وهو ايضاً قديم جداً لا يدرك اوله والانسان لم يهتد الى طحن القمح وعجنه وتخميره وخبزه مرة واحدة او في وقت واحد والغالب انه اكتشف اولاً ان القمح اذا بلّ في الماء ثم عولج بالنار صار لدناً لذيذاً سهل التناول كثير الغذاء فاستخدمه على هذه الكيفية اجيالاً ثم تدرّج الى طحن الحنطة بين حجرين حتى اتصل الى عجنه وخبزه ارغفة واخيراً اهتدى الى تخميره على ما هو عليه الآن . على انه لم يصطنع الخبز من الحنطة فقط بل اصطنعه من الشعير والكرسنة والذرة وحبوب اخرى . اما كيفية اهتدائه الى كل من هذه الدرجات بالتفصيل والاسباب التي حملته على اكتشافها كل ذلك من الامور الغامضة التي لا يرجى الاهتداء اليها

فأهمّ الدرجات التي تدرّج فيها الانسان بطعامه من اوّل ازمانه الى الآن خمس

سكة حديد الحجاز

✻ طراوي · اوستراليا ✻ عدينان افندي بشير رشيد

كم هو طول الخط الحديدي الحجازي بالاميال الانكليزية

✻ الهلال ✻ ان المسافة من دمشق الشام الى مكة تقدَّر بنحو ١,٠٥٠ ميلاً انكليزيًّا او ١,٧٠٠ كيلومتر

العقدة والميل في قياس المسافات البحرية

✻ ومنه ✻

نسمعهم يقدرون المسافات البحرية بالعقد دون الاميال فيقولون مثلاً تسير الباخرة الفلانية عشرين عقدة في الساعة او ١٥ عقدة فما هي قيمة هذا القياس ولماذا لا يقدرونه بالميل او الكيلو متر

✻ الهلال ✻ العقدة اصطلاح بحريٌّ تطرَّق اليه رجال البحرية اعتباطًا كما يتطرق الناس عادة الى وضع الفاظ اصطلاحية بدون قصد منهم · اما العقدة فاصلها ان البحرية كانوا اذا ارادوا ان يقيسوا المسافات التي تقطعها السفينة في الساعة استخدموا بكرة كبيرة لفُّوا عليها حبلاً طويلاً كما تلف الخيطان الاعتيادية على بكرة الخياطة وجعلوا للبكرة محورًا تدور عليه بسهولة وقسموا الحبل الى اقسام طول كل منها ٦,٠٨٠ قدمًا اعتبروها ميلاً بحريًّا وقد استخرجوها بالاصل من معدل طول درجات نصف النهار · وجعلوا الفاصل بين ميل وآخر عقدة يعقدونها في الحبل · فكانوا يضعون هذه البكرة في السفينة وبجانبها الساعة فاذا عمدوا الى قياس المسافة بين شاطئين ربطوا طرف الحبل باحدها واطلقوا السفينة تجري والبكر تكر والساعة تدور حتى يصلوا الى الشاطئ الآخر او مكان يعينونه فينظرون الى عدد العقد التي مرّت والساعة تعين المسافة · فكانوا يقولون بين الشاطئ الفلاني والشاطئ الفلاني كذا وكذا عقدة اي ميل بحري ثم تفننوا فيها على طرق أُخرى وظلت العقدة اسماً للميل البحري وطوله ٦,٠٨٠ قدمًا والميل البري وهو الاعتيادي طوله ٥,٢٨٠ قدمًا

ولكنهم كانوا يزيدون على المصريين انهم يجففون السمك جيداً و يدقونه بالهاون ثم ينخلونه بقماش ناعم و يصنعونه اقراصاً ويخبزونه كالخبز و يتناولونه

والفرس كانوا يا كلون قليلاً من اللحم و يتناولون الاثمار كميات قليلة على دفعات متعددة وكان من امثالهم « ان الاغريقي (اليوناني) يا كل ليسد جوعه لانه لو قدم له ما طاب اكله بعد الطعام وقد انقطع عن الا كل لا كله » وكانوا يكثرون من شرب الخمر

وكان اليونان في اقدم ازمانهم يقتاتون على ثمر الارض و يشربون الماء القراح ولم يعتادوا تناول اللحوم الاّ في اوائل تمدنهم ثم اخذوا يتوسعون في الترف والتأنق بتوسع سلطانهم وانتشار نفوذهم . على ان كثيرين من فقرائهم كانوا يقتاتون على الجنادب والفراش واطراف اوراق الشجر . اما اغنياؤهم فكانوا منغمسين في الترف مكثرين من تناول اللحوم

وهكذا كان الرومانيون في اول ايامهم فانهم كانوا يقتاتون على ألبان الماشية والبقول ونوع من الحلوى يصنعونه من الدقيق والماء ثمّا قامت دولتهم واتسعت سطوتهم تأنقوا في الما كل والمشارب وا كثروا من اكل اللحوم وانواع المطبوخات والمعجونات وبالغوا في ايام جمهوريتهم في الا كثار من اكل الطيور وكان بعض اغنيائهم وولاة امورهم لا يرضون بالمائدة الاّ اذا كان عليها كثير من رؤوس الببغاء وادمغة بعض الطيور الصغيرة النادرة الوجود

وكان العرب في جاهليتهم على جانب من شظف العيش لمحولة بلادهم وقد ذكر ابن خلدون ان مضر كانوا يا كلون العقارب والخنافس و يفاخرون با كل العلهز وهو و بر الابل كانوا يموهونه بالحجارة و يطبخونه في الدم اما طعامهم الاعتيادي بالاجمال فهو اللبن والتمر و بعض انواع الحبوب وكثيرًا ما كانوا يطبخون دقيق الحنطة او الذرة باللبن أو اللحم او ما شاكل فيصطنعون من ذلك انواعاً من الاطعمه تعد عندهم بالعشرات وأنواع الحلوى تصنع عادة من الدقيق والعسل أو السمن والعسل أو الحليب والسمن والعسل او ما شاكل ذلك (راجع الجزء الخامس من تاريخ التمدن الاسلامي)

على قوانين الكنيسة وقوة حجته في المناظرة مما يدلُّ عليه برسائله الى جريدة الهدية وهو شماس بعد . ولهُ المام حسن باللغة اليونانية وغيرها فضلاً عن سهره على مصلحة رعاياه ورغبته في رفع شأنهم مذ كان اسقفاً على طرابلس فانهُ انشأ مدرسة داخلية كبرى في كفتين تخرج فيها كثيرون وكان يتعهدها بنفسهِ

فالطائفة عالقة الآمال بغبطته بما ترجوه من الخير على يده . وقد توفرت فيها عوامل التقدم ونبغ فيها الادباء والاغنياء والوجهاء واهل الغيرة والاريحية ورجال العمل وانما كان يعوزها زعيم عاقل نشيط عامل فتوفقت الى ذلك بهذا الانتخاب فعسى ان تحقق آمالها بهِ — وقد ان لها ان تباري سائر الطوائف في اسباب الارتقاء

بحيرة جنيف

وصف شعري

لم الق فيما لقيت عمري	أجمل من هذا المرائي
بحيرة ماؤها نميرٌ	كمقلة الديك في الصفاء
لولا جواري السفين فيها	لاشتبه الماء بالسماء
لا يغرب النور عن فناها	ما بين شمس وكهرباء
تريك أمواجها أصيلاً	رقصاً على صفقة الهواء
وفوق حافاتها قصور	محكمة الوضع والبناء
وجنة دبجت رباها	بالزهر كالبسط في الرواء
ترى بها ان مررت فيها	وقوف طير وجري ماء
تقذف منها العيون ماء	كاسهم النار في الفضاء
مفوقات الى عمود	رافع رأس الى العلاء
كخائف احدق الاعادي	به فلا باب للنجاء
فكلما امطروا نصالا	امطر من ادمع البكاء
وتحت افنانها غوان	تسرح في الروض كالظباء



غريغوريوس الرابع

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس

توفقت الطائفة الارثوذكسية في سوريا بعد وفاة بطريركها المثلث الرحمة ملاتيوس دوماني الى انتخاب غبطة البطريرك الحالي غريغوريوس الرابع وكان اسقفاً على ابرشية طرابلس الشام . وقع الانتخاب على غبطته في ١٨ يونيو الماضي وصادق جلالة السلطان على الانتخاب في ١٨ اوغسطس . وقد لقينا جماعة من وجهاء سوريا وكتب الينا كثيرون من اهل الغيرة على مصلحة هذه الطائفة بشأن انتخاب غبطته فوجدناهم قد اجمعوا بقلب واحد وصوت واحد على استحسان هذا الانتخاب و يندر ان يجمع قوم على الترحاب برئيس مثل ترحاب الطائفة الارثوذكسية ببطريركها الجديد حفظه الله

وهو مشهور بالعفاف والنزاهة والانصاف واسع العلم ضليع في اللغة العربية وآدابها وفي الرياضات والمنطق والعلوم الشرعية بفروعها غير تضلعه في فهم كتاب الله وسعة اطلاعه

ضعيف الصبر عنك وان تقاوي | وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكر صحاة | كاحداق المها مرض صحاحا

فلما سمع ابو العلاء هذه الابيات قال « ومن بالعراق » عطفاً على قوله الاول « انت اشعر من بالشام » فانظر الى نور بصيرة هذا الاعمى كيف عرف هذا الشاعر وصوته من غير ان يرى شخصه ولا سمى له نفسه

الصحافة الهندية والصحافة العربية

المشهور ان مصر وسوريا اسبق سائر البلاد الشرقية الى الاشتغال بالصحافة ولكن يؤخذ مما كتبته مجلة البيان التي تصدر في لكناو الهند باللغتين العربية والهندية ان الصحافة ظهرت في الهند في اواسط القرن الثامن عشر واقدم ماظهر منها عندنا لا يتجاوز اوائل القرن التاسع عشر واليك قولها :

« ان اول جريدة اسلامية صدرت في الهند هي الجريدة التي اصدرها احد اكابر المسلمين بمدينة دهلي باللغة الاوردية في عهد السلطان ابي الظفر سراج الدين بهادر شاه خاتم الملوك الاسلامية في الهند ثم لما جاءت الدولة الانكليزية وساد النظام الافرنجي في البلاد وارتقت الافكار وعرف الناس ما هم فيه من التقهقر في العلم والهبوط في واجبات الانسانية والخمول في المدنية والجمود على التقاليد القديمة نهضوا الى ازالة هذه الطوارىء وملافاتها وسد خللها وخطلها فكثرت الجرائد بينهم الى ان بلغت عدتها في سنة ١٣١٣ للهجرة نحو ٦١٣ جريدة و٤٦٣ مجلة اما في السنة الماضية فمجموع الجرائد والمجلات التي كانت تصدر في انحاء الهند بلغ عددها نحو ٧١٣ جريدة و٧٤٢ مجلة منها ٣٦ صحيفة في بلاد بورما و١٠٢ في اسام و١٣٤ في بنغال و٩٩ في بلادنا المتحدة (اود واكره) و١٣٦ في بنجاب و١٥٨ في بومباي و١٥ في البلاد الوسطى و١١٦ في ايالة مدراس » اهـ

فترى من ذلك ان الصحف التي صدرت في الهند حتى الآن تناهز ١٥٠٠ صحيفة بين جرائد ومجلات فاذا قابلنا بينها وبين الصحف العربية رأيناها لأول وهلة تفوقها بأضعاف اضعافها لان الجرائد التي صدرت في العربية من اول عهد الصحافة الى الآن في اربعة اقطار العالم لا يزيد عددها على ٢٥٠ صحيفة لم يبق منها في قيد الحياة الآ حوالي

يا مولعاً بالقدود منها   حذار من اسهم القضاء
ويا مريد اللحاظ باعد   فاللحظ كالسيف في المضاء
ان ترسل الطرف في خدود   وقعت في النار والشقاء
ويا محب الخصور حاذر   لا تسقِ النفس للفناء
وان نظرت اضطراب ردف   تلقى ثقيلاً من العناء
معرض الطرف للغواني   معرض النفس للبلاء
ما بعد ذا الحسن في جنيف   حسنٌ وما سامع كرائي

(الاكسبرس)   حنفي ناصف

ذكاء المعري وذاكرته

وفد أبو نصر المازني على ابي العلاء المعري بالشام صحبة جماعة من اهل الادب فانشد كل واحد منهم ما تيسر وانشد المازني هذه الابيات :

وقانا لفحة الرمضاء واد   سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا   حنوّ المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمإ زلالا   ألذ من المدامة للنديم
يصدُّ الشمس أنى واجهتنا   فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى   فتلمس جانب العقد النظيم

وابو العلاء ضرير لا يعرف أحداً منهم . فقال المازني « انت اشعر من بالشام » ثم رحل ابو العلاء الى بغداد فاتفق ان المازني دخل عليه أيضاً مع جماعة من من الادباء فانشد كل واحد من شعره ما تيسر وأنشد المازني لنفسه :

لقد عرض الحمام لنا بسجع   اذا أصغى له ركبٌ تلاحا
شجا قلب الخلي فقيل غنىّ   وبرَّح بالشجي فقيل ناحا
وكم للشوق في احشاء صب   اذا اندملت أجدَّ له جراحا

صحة العائلة

قتل الاطفال

بالجهل والاهمال

يهتم الانكليز اهتماماً عظيماً بامر الاطفال الآن لما وجدوه من تكاثر الوفيات منهم كل سنة رغم ما يبذلونه من الوسائل في وقايتهم من الامراض فبلغ عدد الذين ماتوا في العام الماضي ١٢٠,٠٠٠ قبل ان يتجاوزوا السنة الاولى من عمرهم . و بعبارة اخرى انه يولد في كل سنة نحو مليون طفل يموت اكثر من نصفهم ومن هذه الوفيات نحو الربع يموتون في السنة الاولى من الحياة مع ان معدل الوفيات العمومي يتناقص تناقصاً مستمرًّا في انكلترا وغيرها من الممالك التمدنة واما الاطفال على الخصوص فلم يكن لهذا التحسين تأثير في وفياتهم فان الذين يموتون منهم في السنة الاولى لا يزال عددهم كما كان منذ سبعين سنة بل هو قد زاد ولاسيما اذا اعتبرنا من يموت منهم في الايام الاولى من الولادة . فان الوفيات تزيد كلما اقتربت من يوم الولادة و يختلف هذا في المدن الكبرى عما في الارياف على ما تراه في الجدول الآتي وفيه عدد من يبقى حياً من الاطفال في الاشهر الاول الى انقضاء السنة الاولى في ١٠٠,٠٠٠ طفل

	في الارياف	في المدن
عدد الاطفال عند الولادة	١٠٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠
« « بعد ثلاثة اشهر	٩٤,٨٢٠	٩٠,٨٧٤
« « « ستة اشهر	٩٣,٠٦٨	٨٥,٥٧٤
« « « ١٢ شهراً	٩٠,٢٨٣	٧٨,١٩٤

ونظروا في اسباب الوفيات فتبين لهم ان السبب الاول نقص الخلقة عند الولادة . تليه الامراض الصدرية ثم العصبية ومن جملتها التشنج فالاسهال وسائر الامراض المعوية وعلل الاطفال اشد في المدن مما في القرى . واذا اعتبرنا تأثير الاكتشافات الصحية في منع بعض الامراض الوافدة زاد استغرابنا كثرة الوفيات . فقد كان معدل الوفيات بالجدري من سنة ١٨٣٨ — ١٨٤٢ نحو ٥٧٦ في المليون فاصبح سنة ١٩٠٠ اقل من ١٢ في المليون .

مئة صحيفة معظمها في مصر واذا اضفنا اليها الجرائد الاجنبية التي تصدر في الشرق العربي لا يزيد المجموع على ٢٠٠ صحيفة — ولكننا اذا نظرنا الى الصحف باعتبار عدد السكان في البلدين رأينا انفسنا اسبق في ميدان الصحافة لأن اهل الهند يزيدون اهل مصر والشام وسائر القائمين بالصحافة العربية نحو عشرين ضعفاً واما صحفهم فلا تزيد على ستة اضعاف صحفنا



مظفر الدين شاه

الذي منح الحكومة الشوروية لدولته في اثناء هذا الصيف — وقد قال الدكتور مهدي خان التبريزي مؤرخاً ذلك :

هو الامر شورى بيننا جاءنا بها محمد المختار من خير معشرِ
محا آيها استبدادنا فاعادها وزان بهـا التاريخ عدل مظفرِ
١٣٢٤

باب الاخبار العلمية

﴿ الفوضوية جنون ﴾ من الحكم المأثورة ان الجنون فنون · ونرى الاختبار يؤيد هذا القول من كل وجه اذ لكل انسان تعلق بامرٍ يرى الآخرون تعلقه فيه خارجاً عن حده فيكون شاذاً — فيه والشذوذ ضرب من الجنون · وعند التوسع نرانا جميعاً مصابين بهذا الداء وهل يخلو احدنا من ولع في شيءٍ من الاشياء ؟ وان تفاوت ذلك الولع درجةً وجهةً · فالتاجر الذي يضحي صحته في سبيل المكاسب المالية والعالم الذي يسهر الليالي في البحث عن حقيقة لا تشبع جائعاً ولا تكسو عارياً وانما هو يجد لذة في اكتشافها و يضحي راحته في سبيلها — أليس ذلك ضرباً من الجنون وقس عليه المتطرفين في آرائهم وفي مقدمتهم رجال الفوضوية ولذلك عدَّهم بعض العلماء من المجانين

﴿ كل موجود حيٌّ ﴾ لا يخفى ان الموجودات طبقتان جامد وحيٌّ والحي نبات او حيوان ولكن بعض الباحثين يذهبون ان كل موجود حيٌّ وانما تتفاوت حياة الموجودات بالكمية وليس بالكيفية · وقد كتب الدكتور صاليبي نزيل لندن مقالة في مجلة هاربر موضوعها « ما هي الحياة » ذكر فيها آراء سبنسر و باستور في الحياة وحدودها وعمد الى تطبيق هذا الرأي الجديد عليها · وهو يرى ان الراديوم وسط بين الموجودات التي يسمونها حية والتي يسمونها جامدة وان وجود ما يشبه خصائص الحياة فيه يدل على وجودها في غيره من الجوامد فعنده ان الحياة موجودة في المخلوقات كلها ولكنها تظهر في بعضها قوية وفي البعض الآخر ضعيفة وفي الآخر لا تظهر لعجزنا عن ادراكها

﴿ الصواعق والاشجار ﴾ وجد بعض الباحثين في الصواعق وطبائعها ان التجاذب بينها وبين الاشجار يختلف باختلاف نوع الشجر · وبما ان الناس في البلاد التي تقع فيها الصواعق اذا خاف احدهم وقوع الصاعقة لجأ الى بعض الاشجار يحتمي تحتها فيهمُّ هؤلاء معرفة اقل هذا الشجر جذباً للصواعق · وهذا جدول فيه عدد الصواعق التي وقعت على الاشجار في المدة بين ١٨٨٥ و١٩٠٢ نقلاً عن مجمع الظواهر الجوية الهولندي :

والحمى القرمزية كانت وفياتها ٩٧١ في المليون سنة ١٨٦٥ فاصبحت ١٥٨ سنة ١٩٠٠ والسعال الديكي كانت وفياته ٥٣٠ في المليون سنة ١٨٦٥ فصارت ٢٨٥ سنة ١٩٠ وقس على ذلك كثيرًا من الامراض كالدفثيريا وغيرها وهذا جدول عن عدد الوفيات في الاطفال باختلاف الامراض مما هو واقع في لندن :

اسم المرض	عدد الوفيات	اسم المرض	عدد الوفيات
الوفيات قبل الولادة	٢٣,٨٨٦	الامراض التدرنية على الاجمال	٥,٧٠
الاسهال والتهاب الامعاء	١٧,٣٨٧	السعال الديكي	٤,٧٧٣
الضعف العام	١٦,٥٨٨	الحصبة	٢,١٤١
التشنج	١٣,٢٨٣	التهاب اغشية الدماغ	٢,٠٢٢
ذات الرئة	١٠,٨٤١	الاختناق	١,٩٧٣
النزلات الشعبية	١٠,٧٩٢	الكساح	٦٢٤

وقد ذعر الاطباء لنتيجة هذا الاحصاء وهمهم على الخصوص تزايد الوفيات من نقص الخلقة عند الولادة أو قبلها فان عددها اصبح عظيماً جدًّا . فنظر في ذلك الدكتور نيومان صاحب هذا البحث وتتبع الاسباب وقابل بينها فظهر لهُ ان المشروبات الروحية من اعظم تلك الاسباب لانها تؤثر في الوالدين حتى لا يأتي نتاجهم سليماً ولا سيما المرأة اذا كانت سكيرة فان أولادها يولدون امواتًا أو معرضين للموت القريب . وقد درس الدكتور نيومان ذلك في ٦٠٠ طفل امهاتهم سكيرات فوجد ٣٣٥ طفلاً ولدوا امواتًا أو ماتوا قبل انقضاء السنة الثانية من اعمارهم ! ووجدوا من اسباب وفيات الاطفال قبل الولادة قلة غذاء الامهات في اثناء الحمل أو بعيده . و يرى الدكتور نيومان للاسهال تاثيرًا كبيرًا في اماتة الاطفال

وهناك سببان يعدُّها بعضهم اعظم تلك الاسباب او هما ابواها كلها نعني بهما «الجهل والاهمال» فان المرأة الجاهلة أو المهملة في تغذية اطفالها أو تربيتهم أحرِ بها ان تجرَّ اليهم الامراض اما من القذارة أو من التلبك أو البرد . والازدحام في اواسط المدن دخل كبير في اماتة الاطفال وا كثر ما يكون ذلك في عائلات الصناع الفقراء فان مصائب المدن تقع على هذه الطبقة من الناس لانهم يتحملون سيئات الاجتماع ولا يجتنون حسناته لضيق ذات يدهم

(٤) احترس من المشروبات فان الاكثار منها مضرّ . والقياس لما يجوز تناوله منها ان تتناول ما يرويك لو كان ماءً قراحاً

(٥) ان عصارة الاثمار وانواع التوابل (الصلطة) افضل المذوبات لرواسب الشيخوخة

(٦) الدهن هو الغذاء الجوهري للاعصاب فعليك بالزيوت النباتية على اختلاف انواعها وتناول منها ما شئت

(الزواج في لندن) بلغ عدد الزيجات في لندن لسنة ١٩٠٤ نحو ٤٠,٠٠٠ زيجة وذلك نحو ١٧ في الالف من السكان

روايات الهلال وترجماتها الفارسية

واغفال اسم المؤلف

ذكرنا في غير هذا المكان ما نقله أدباء الفرس من رواياتنا الى لسانهم ونشروه بين قرائهم وشكرنا حسن ظنهم ولكن ساءنا ان بعضهم اغفل اسم المؤلف على الاطلاق فلم يذكره في صدر الكتاب ولا في مقدمته كما فعل مترجم « فتح الاندلس » وهو ميرزا ابراهيم خان منشيء سفارة فرنسا في طهران وكنا قد كتبنا الى حضرة ميرزا جعفر بن الحاج علي اكبر خامنه وهو الذي انبأنا بهذه الترجمة وبعث الينا نسخة منها وكلفناه ان يبلغ عتبنا الى حضرة المترجم فجاءنا جوابه بالامس ان ميرزا ابراهيم خان المذكور اعتذر عن اغفاله ذكر اسم المؤلف بانه سهو وقع اثناء غيابه عن المطبعة وانه سيصلح ذلك

وذكر حضرة ميرزا جعفر في كتابه المشار اليه انه أخذ في ترجمة « العباسة أخت الرشيد » الى الفارسية ونشر ما ترجم منها في جريدة « الحبل المتين » التي تصدر في كلكتة واطلعنا على بعضه فيها ولم يغفل فيها اسم المؤلف . ثم جاءنا من حضرته كتاب الحقه بذلك ارسله من مشهد في خراسان وهذا نصه :

« اما بعد فقد نسيت ان اذكر في الكتاب الذي ارسلته قبل امس مجملاً عن طبع ترجمات رواياتكم فمنها « ابو مسلم الخراساني » تطبع وتنشر في مجلة (ادب) اسبوعاً فاسبوعاً ولكن تلك المجلة تعطلت منذ ارسلت الدولة الايرانية مديرها مجد الاسلام الى كلات في مقدمة هذه الثورة الواقعة في طهران — ومنها « الحجاج بن يوسف » شرعوا في طبعها

نوع الشجر	عدد الصواعق	نوع الشجر	عدد الصواعق
الحور	٢٣٢	الكمثرى	٢٥
السنديان	١٣٠	الجوز	٨
الصفصاف	٧٠	الكستنا و التفاح	٥
السرو	٥٠	الكرز	٤
الشربين	٢٧	شجرة البتولا	٣

وسائل النقل لا يزال كثيرون حتى في ارقى عواصم اوربا يذكرون يوم لم يكن في العالم قطر يسير في البر ولا باخرة تجري في البحر . ومع ذلك فقد بلغ طول الخطوط الحديدية في العالم اليوم نحو ٥٥٠,٠٠٠ ميل وفي البحور من السفن البخارية ما يبلغ مجموع محموله ١٨,٠٠٠,٠٠٠ طن

البحر يغمر شواطئ بريطانيا لاحظ بعض النقادين ان شواطئ انكلترا آخذة في الهبوط والماء يعلوها كل عام فابلغوا ذلك الى الحكومة فالفت لجنة للنظر في امرها وقد عادت اللجنة وظهرت نتيجة ابحاثها في الكتاب الازرق وخلاصتها ان شواطئ بريطانيا يهبط منها في البحر كل سنة ما يساوي بقعة طولها ثلاثة اميال وعرضها ميل اي نحو مساحة جبل طارق والخسارة في الشواطئ الشرقية اكثر مما في سواها . وان بعض الاماكن الوارد ذكر مساحتها في السجلات الرسمية منذ بضعة قرون لم يبق منها الاَّ بقاع صغيرة جدًّا و بعضها ضاع كله فاهتم الانكليز لهذا التقرير ولم يبق احد ممن طالعه وكان قريبًا من الشاطئ الاَّ اسرع اليه وتفرس في صخوره

الطعام وطول الحياة كتب الدكتور اولدفيلد مقالة ضافية في هذا الموضوع فافاض في تقبيح اللحوم وغيرها من الماكولات الشائعة في العالم المتمدن وانتقد اساليب المعيشة الاعتيادية واشار بالتعويل على الاثمار وختم كلامه بقواعد صحية اذا اتبعها الناس طالت حياتهم وعاشوا في راحة وصحة وهي :

(١) اجعل معظم طعامك من الاثمار واختر منها ما يلائم مزاجك بعد الاختبار

(٢) كل ما شئت في صباك (بين الثانية عشرة والخامسة والعشرين) وكما تشاء اما بعد هذا السن فتعفف واعتدل وانظر في ما تتناوله من جهة المائدة وليس اللذة

(٣) الصوم يوماً في الاسبوع نافعٌ في كل حال وكلما شعرت بذهاب القابلية فعليك بالصوم حتى تعود

﴿ بحر الآداب ﴾ صدرت الطبعة الرابعة من الجزء الثالث من هذا الكتاب المفيد لمؤلفه الاخ بلاج مفتش اللغة العربية في مدارس الفرير بمصر وهو كتاب مدرسي نفيس . ويقسم هذا الجزء الى خمسة ابواب وخاتمة الباب الاول في الدين والزهد والثاني في مواضيع تهذيبية فكاهية كالشعر والادب ونحوها والثالث في آداب السلوك وشروطها من حيث التعارف والنظافة واللباس والزيارة وغيرها . والرابع في الرسائل والمخابرات على اختلاف مواضيعها وأساليبها والخامس في الحكايات المثلية ولا سيما ما أخذ عن كليلة ودمنة وقد جعل في ذيول الصفحات شروحاً وتعاليق تسهل على التلامذة فهمها . وللاخ بلاج عناية كبرى في تأليف الكتب المدرسية على اسلوب سهل المأخذ جزيل الفائدة . وفي طبع هذا الكتاب اربع مرات متوالية شاهدٌ كاف على انه من خيرة الكتب التعليمية جزاه الله خيراً

﴿ سقوط نابوليون الثالث ﴾ اهدانا حضرة رصيفنا خليل بك صادق صاحب مجلة مسامرات الشعب نسخة من رواية سقوط نابوليون الثالث في ثلاثة مجلدات . وهي تأليف أميل جابوريو الكاتب الفرنساوي وقد نقلها الى العربية نقولا افندي رزق الله مدير ادارة جريدتي الاهرام والبراميد . والرواية تاريخية اجتماعية تشرح سقوط نابوليون الثالث بعد الحرب السبعينية المشهورة على اسلوب كثير التشويق حتى لا يستطيع المطالع اطباق الكتاب ما لم يأتِ على آخره الا اذا كلَّ بصرهُ من المطالعة فيضع الكتاب من يده ونفسهُ تشتاق الى اتمامه . ومما لاحظناه في تعريب هذه الرواية ان عبارتها رشيقة واضحة خالصة من شوائب العجمة مع انطباقها على الاصل المنقولة عنه — وهذا نادر في ما يترجمهُ ادباؤنا . ولا غرو فان معرّبها من نخبة ارباب الاقلام نظماً ونثراً . ونثني على رصيفنا صادق بك لما يبذله في خدمة الادب بما ينشره في مجلته مسامرات الشعب من الروايات الادبية التهذيبية الخالية مما يخجل العذراء فضلاً عما ينشره منها على حدة مثل الرواية التي نحن في صددها وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن الثلاثة الاجزاء معاً ثلاثون غرشاً واجرة البريد خمسة غروش

بطهران . وكذلك « فتاة غسان » فانها فضلاً عن الترجمة المنتشرة في (جريدة الحديد ، قد ترجمت ايضاً ترجمة أخرى وهي تطبع بالحروف في طهران ورأيت بعض اجزائها المطبوعة ايام اقامتي هناك واظنها قد تمّ طبعها حتى الآن . هذا ما وصل اليّ خبره فبعد وصولي الى تبريز ارسل اليكم من الترجمات المذكورة . وفي طيه ملزمة واحدة من ترجمة ابي مسلم الخراساني . اما مترجمو هذه الكتب فلم أعلم من هم بعد فاذا وصل اليّ خبر من ذلك اكتب به اليكم » اه

وقد اطلعنا على الملزمة التي أشار اليها طي كتابه وهي الاولى من ترجمة « ابي مسلم الخراساني » فاذا هي غفل من اسم المؤلف واسم المترجم جميعاً . وقد تُرجم من روايات تاريخ الاسلام الى الفارسية حتى الآن سبع روايات او ٨ فالتي لم يذكر عليها اسم المؤلف ولا المترجم مما وقع تحت نظرنا منها ارمانوسة المصرية وفتح الاندلس وابو مسلم الخراساني . ولا ندري الباعث على ذلك الاغفال مع ان ذكر اسم المؤلف حقٌ لا نزاع فيه بوجه من اوجه الشرع ولا يترتب من ذكره ضررٌ فالامل ممن يقدمون على ترجمة غيرها من كتبنا ان يلاحظوا ذلك ويعملوا به

مطبوعات جديدة

﴿ دليل لبنان ﴾ هو كتاب كبير في ٨٠٠ صفحة وزهاء ٢٠,٠٠٠ فائدة في الادب والتاريخ والادارة والسياسة والصحة والطب والتجارة والصناعة والحساب وغير ذلك مما يفتقر الى معرفته التاجر والصانع والغني والفقير والعالم والاديب والرجل والمرأة . وفي جملتهِ نظام جبل لبنان واسماء متصرفيه وسائر موظفيه الملكيين والعسكريين في كل جهاته . وجرائد لبنان ومطابعه ومدارسه ومستشفياته وكهنته واعيانه على اختلاف طبقاتهم وأدياره وسهوله وتربته ومعادنه وحيواناته وصنائعه بالتفصيل . وفيه فوائد منزلية ومطبخية وكل شيء مما يفوق الحصر وبينها فوائد ثمينة لا يعرف قيمتها الا من احتاج الى مثلها ولم يجد مايسد حاجته . والكتاب تأليف رصيفنا ابراهيم بك الاسود صاحب جريدة لبنان فنثني على ما بذله في سبيل هذه الخدمة . وهو يطلب من حضرة المؤلف وثمن النسخة خمسة فرنكات غير اجرة البريد



مدرسة مار يوسف المارونية بمصر

اتتنا لائحة هـذه المدرسة وفيها بيان الغاية والخطة والقوانين المتبعة فيها مدبجة بيراع حضرة مديرها الخوري بولس قرألي . ويؤخذ من مطالعة هذه اللائحة ان مدة التعليم في المدرسة المذكورة خمس سنوات فقط تعـلم فيها اللغات العربيـة والفرنساوية والانكليزية والحساب والتاريخ والجغرافيا والخطوط العربية والافرنجية والآداب الاجتماعية . وتمتاز عن سواها من المدارس المصرية في امور هامة كشرح قواعد اللغات الاجنبية باللغـة العربية والعناية على الخصوص بتعليم الترجمة من الانكليزية والفرنساوية الى العربية وبالعكس مع ما يقتضيه ذلك من معرفة المصطلحات التجارية والادارية وغيرها . وتمرين التلامذة على الانشاء العربي وتعليمهم تاريخ اللغة وآدابها وكتابها . وتمرنهم في السنة الاخيرة من المدة المدرسية على اشغال التجارة والزراعة والدواوين والبنوك والمحاكم وتعلمهم المصطلحات اللازمة فيها . وقد فتحت ابوابها للطلبة في اول سبتمبر الماضي فكان الاقبال عليها عظيماً . ونظراً لما نعهده في مديرها من النشاط والمهارة في ادارة التعليم فاننا نرجو لها مستقبلاً مجيداً

رواية الامين والمأمون

هذا هو اسم الرواية التي سننشرها تباعا مع اهلة هـذه السنة وموضوعها الاختلافات السياسية بين الامين والمامون بعد موت ابيهما الرشيد اوهو نزاع بين العرب والفرس أو السنة والشيعة وله اهمية كبرى في تاريخ الاسلام مع وصف عادات ذلك العصر واخلاق أهله حتى ينقضى ذلك النزاع بقتل الامين وتولي المأمون

السنة الخامسة عشرة

دخل الهلال في سنته الخامسة عشرة وهو دائب في خدمة مشتركيه وقرائه بما يبلغ اليه الامكان من اختيار المواضيع الجامعة بين اللذة والفائدة في الادب والتاريخ والاجتماع والعمران والصحة مما نرى منه فائدة مع ملاحظة ماجريات الاحوال . فنحمد الله على ذلك ونرجو ان يأخذ بيدنا للقيام بما نتوخاه من الخدمة العامة . ونظراً لانتهاء تاريخ التمدن الاسلامي في السنة الماضية فسننظر في كتاب نجعله ملحقاً لهذه السنة ونعلن عنه في حينه

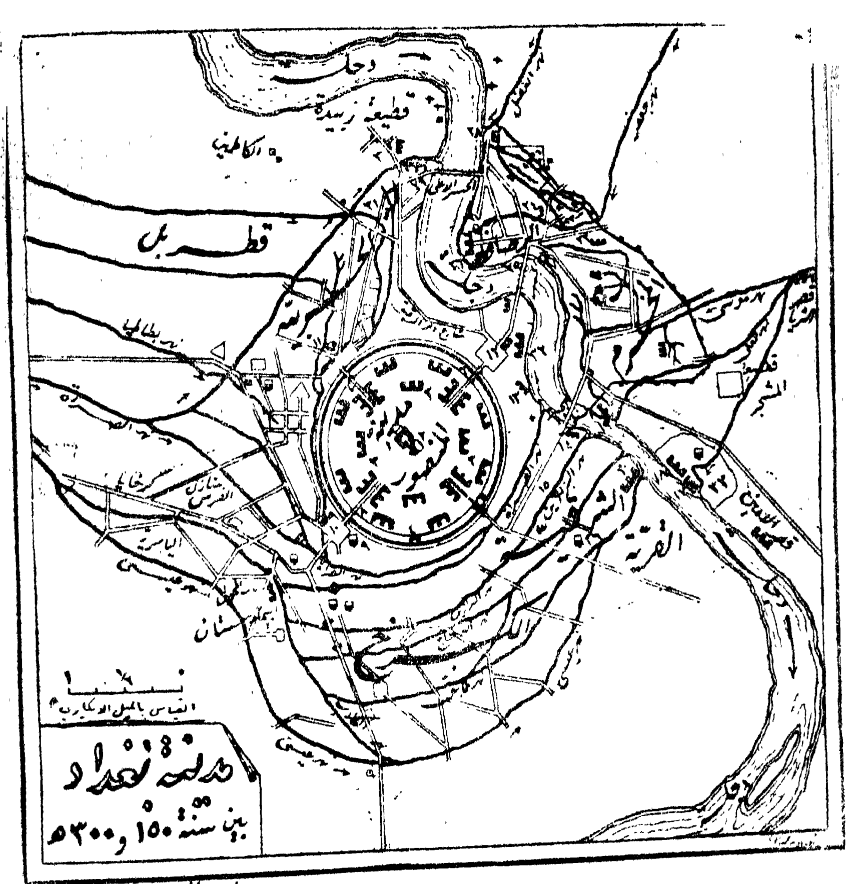
الفصل الاول

خان سمعان

بنى المنصور مدينته المستديرة سنة ١٤٥ ﻫ جعلها معقلاً له ولجنده ورجال دولته و بنى في وسطها قصراً له سماه قصر الذهب واقام بجانبه جامعاً عرف باسمه وشاد الابنية في ما بقي من المدينة لرجال خاصته ومصالح حكومته واحاط المدينة بسور مثلث الجدران فتح فيه اربعة ابواب سماها باسماء الجهات التي تؤدي اليها : فسمى الشرقي الشمالي باب خراسان والشمالي الغربي باب الشام والشرقي الجنوبي باب البصرة والغربي الجنوبي باب الكوفة واقطع رجاله ما يحيط بالمدينة من الارباض فابتنوا فيها القصور وعرفت تلك الارباض باسمائهم . ولم يمض زمن حتى تالف حول المدينة احياء عرفت باسماء خاصة بها اشهرها الحربية في الشمال والكرخ في الجنوب . وقامت الابنية في شرقي دجلة ونشات هناك احياء الشماسية والرصافة والمخرّم وغيرها . وبنى خارج باب خراسان قصراً كبيراً عرف بقصر الخلد وجعل بينه وبين ذلك الباب ميداناً كبيراً ينشأ من بين يديه طريق متجه نحو الشمال الشرقي الى الجسر الاوسط القائم على دجلة ويمتد ذلك الطريق شمالاً ثم شرقاً حتى يمرّ بين الرصافة والمخرّم ويعرف بطريق خراسان ويتخلل تلك الاحياء كثير من القصور والحدائق والانهر (او الترع) المنشقة من دجلة الى كل الجهات

وكان في جملة هذه الانهر نهرٌ يسير من دجلة شرقاً حتى يخترق الرصافة والشماسية يعرف بنهر جعفر . وكان على جانبي هذا النهر او الترعة وراء الرصافة بساتين فيها الاغراس والاشجار وبعض الابنية في جملتها بستان واقع على طريق خراسان من جهة وعلى ذلك النهر من جهة اخرى اتخذهُ بعض الخمارين من انباط السواد خاناً ينزل فيه القادمون على بغداد من الغرباء . وجعل في البستان مما يلي الطريق بيتاً يبيع فيه الخمور والانبذة ويصنع فيه الاطعمة لمن شاء من الغرباء او البغداديين . ونظراً لموقعه على قارعة الطريق وبعده عن العمارة كان يقصده الراغبون في ترويح النفس او طلاب المسكر من طبقات العامة لرخص الاثمان وقرب التناول . واذا اراد بعض الخاصة شرب الخمر سرًّا خوفاً من رقيب او فراراً من العار رأى في ذلك البستان مستتراً

وكان صاحب الخمارة كهلاً في حدود الستين من عمره قد عركه الدهر ولانت نفسه



تاريخ التمدن الاسلامي

١ قصر الذهب او القبة الخضراء
٣ جامع المنصور
٣ ابنية الحكومة لمصالح الدولة
٤ المطبق
٥ باب البصرة
٦ باب خراسان
٧ باب الشام
٨ باب الكوفة
٩ جامع المسيب
١٠ ديوان الصدقة
١١ سجن باب الشام

١٢ الميدان وبجانبه الاصطبل
١٣ دار القرار
١٤ دار حميد بن عبد الحميد وباب الشعير
١٥ جامع معروف الكرخي
١٦ مشهد علي
١٧ القصر الجعفري ثم صار القصر المأموني
١٨ قصر التاج
١٩ قصر الفردوس
٢٠ دار عيسى
٢١ قصر ابن الخصيب

٢٢ قصر المعتصم
٢٣ دار الروم (البطركخانة)
٢٤ دار البرامكة
٢٥ باب الطاق
٢٦ قشر المهدي
٢٧ جامع الرصافة
٢٨ باب الشماسية وقصر موسى
٢٩ قصر الحريم الطاهري
٣٠ قصر زبيده
٣١ دار الرقيق
٣٢ قصر الخلد
٣٣ حدائق القصور او البساتين

لعشائه · وفيما هو ينفخ في الوقود والدخان يتصاعد على وجهه حتى يتخلل لحيته و يغشى عمته وقد استوفز وشمر قفطانه وشكه من اطرافه بزناره اذا هو يسمع جلبة وصوتاً من باب الخان يناديه « يا معلم سمعان » فخفق قلبه سروراً واسرع فرأى رجلاً من العيارين وهم كثيرون يومئذ في بغداد ومعظمهم من اهل البطالة الذين يعيشون بالدعارة والنهب ومعه رفيق · فلما رأى العيار تراجع واستعاذ بالله ولكنه تعود الكظم في مثل هذا الموقف وعلم انه لا مفرّ له من المسايرة او يصيبه شرٌّ فتجلد وتقدّم باسماً مرحّباً

وكان العيار لابساً خوذة من الخوص وعلى صدره دراعة من الجلد المدبوغ عليها نقوش ملونة وهو عاري الذراعين وقد علق بكتفه الايمن بانحراف نحو خاصرته اليسرى مخلاة فيها حصى وعلى حقويه سراويل من الخيش الثخين تكسوه الى الركبتين والمقلاع معلق بكوعه وهو سلاح العيارين · وكان مكشوف الساقين حافي القدمين و بيده الواحدة عصا قصيرة غليظة و بالاخرى رغيف قد اكل بعضه وفي فمه لقمة يمضغها وهو يقول « اسقنا يا معلم · · »

فرحب به الخمار وعمد الى رطل صبّ فيه نبيذاً وناوله ونظر الى رفيقه فاذا هو بلباس الجند وهي الدراعة على ظهرها طراز الدولة « فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم » وعلى رأسه قلنسوة مستطيلة مدعمة بالعيدان وقد علق السيف بمنطقته فوق قباء اسود · فتوسم الخمار بذلك الجندي خيراً لعلمه ان الجنود قد يدفعون ثمن ما ياخذونه اذا قبضوا رواتبهم · فاذا هو يشير اليه ان يعطيه رطلاً · فبادر اليه وناوله ورحب به فشرب الجندي وهو واقف · ثم تجشأ وتمشى متبختراً · واما العيار فتناول القدح وادناه من فيه وهو يقول « بورك فيك يا معلم سمعان والله اني متى صرت عريفاً او مقدماً جعلتك عياراً عندي »

فقهقه الجندي وتقدم الى سمعان فوضع يده على كتفه وقال وفي لهجته عجمة لانه فرغاني الاصل من ابناء الجنود الذين استقدمهم المنصور في ايامه « وانا اعاهدك متى حدث الانقلاب القريب وقبضنا الرواتب المعلومة اعطيك ثمن هذه الارطال وزيادة واظنني مديوناً لك بشيء من قبل · · · ولكن ما العمل لا بد من الصبر · · · »

فقطع العيار كلامه قائلاً « وانتم ايضاً تشكون القلة والفقر ولكم رواتب تقبضونها ؟ · »

قال « صدقت يا صاحب اننا نقبض رواتبنا ولكنها لا تفي بالمطلوب للمرأة والاولاد وهل يقوم بالجندي غير الغنائم في الحرب او ؟ · » وتوقف وهو يحاول التكلم همساً خوفاً ممن يسمعه فسبقه العيار وقال « او عند حصول التغيير والتبديل في قصر الخلافة فتقبضون

حتى كادت تسيل رقة وعاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس المهدي والهادي والرشيد وشهد كثيراً من الاهوال آخرها نكبة البرامكة منذ سنة اعوام وظل ثلاثة منها يشاهد جثة جعفر منصوبة على جسر بغداد — والخمارون يتعودون دماثة الخلق بما يعرض لهم من مخالطة الناس في احوال سكرهم وعربدتهم فيضطرون لمسايرتهم ومجاراتهم على طباعهم فيهون عليهم احتمال الضيم والصبر على السب والشتم لمرضاة «زبائنهم» ولذلك كان الخمارون من ألين الناس عريكة واطولهم بالاً واكثرهم اطلاعاً على نقائص البشر واكتمهم لاسرارهم بما يظهر لهم من عيوبهم في اثناء سكرهم. ولهذا السبب كانت هذه الحرفة خاصة باهل الذمة ممن ضربت عليهم الذلة والمسكنة من اليهود او الانباط سكان البلاد الاصليين فضلاً عن امتناع هذه التجارة على المسلمين لتحريم الخمر عليهم

وكانت حانة ذلك النبطي عبارة عن غرفة من ذلك البيت في ارضها حصير عليه وسائد من الخيش محشوة بالقش وفي جدران الغرفة كوى كالجيوب فيها ادنان الانبذة والخمور مما صنع من العنب او التمر او التفاح او غيرها من الاثمار وفوق الكوى رفوف عليها زجاجات او اباريق واقداح من الزجاج او الخشب يكيل بها الخمر او النبيذ تسع الواحدة رطلاً او نصف رطل او ربعه. وقد علق بصدر الغرفة بربطاً وعوداً ودفاً ترغيباً للمترددين عليه في اسباب السرور. ويغلب ان يكون الخمار رخيم الصوت يحسن الضرب على بعض هذه الآلات او كلها. وكان بعض الخمارين في بغداد يجعلون في حانتهم قينة رخيمة الصوت حسنة الصنعة جميلة الطلعة يشرب الطلاب على صوتها ارطالاً

الفصل الثاني

العيار والجندي

في يوم من ايام سنة ١٩٣ هـ مضى على ذلك الخمار نهاره ولم يأته زبون لبعده عن مركز المدينة. وكان اكثر ارتزاقه على المارة وهو طبعاً يفضل الغرباء على اهل المدينة لما يرجوه من بيعهم بالاثمان الغالية لانهم يجهلون الاسعار ولان الغريب ابعد عن السوم من البلدي فلا يبالي ان يدفع ثمن الرطل من النبيذ خمسة دراهم على حين ان ذاك لا يدفع غير درهمين — فلما انقضى النهار ولم يأته احد اوقد في بعض جوانب البستان ناراً ليشوي عليها سمكة اعدها

على الجندية ... » ثم حوّل وجهه فجأة نحو البستان وصاح « اني اشم سمكاً يشوى »

وكان الخمار في اثناء هذا الحديث لا يزال مشتغلاً باصلاح البربط والليل قد سدل نقابه فظهرت النار الموقدة هناك والدخان يتصاعد عنها

فوضع الخمار البربط من يده وصاح « نسيت السمكة على النار » ولم يكن له بدٌّ من انارة السراج .. فتقدم الى سراج من الخزف موضوع على مسرجة مسمرة بالحائط فاصلح فتيلتها بسبابته واخذ في انارتها فأتى بالقداحة والصوانة والعطبة او الصوفانة فوضع الصوفانة على طرف الصوانة وضرب عليها بالقداحة (الفولاذ) فخرجت شرارة اشعلت الصوفانة فأتى بعود رأسه مغموس في الكبريت وأدنى الرأس من الصوفانة فاشتعل الكبريت واشعل العود فقربهُ من الفتيلة فأوقدها فأضاء السراج . واغتنم العيار اشتغال الخمار بهذه العملية واسرع الى السمكة فتناولها عن النار بيده وهو لا يبالي بحرارتها وهرول الى الجندي فوضعها على رغيف بين يديه وصاح بالخمار « اليَّ بقدحين من النبيذ القطربلّي »

فقال « ليس عندي من نبيذ قطربل ولكنني اسقيكما نبيذاً مصنوعاً من الدوشاب البستاني مع العسل » وجاءهما بخمر قوية وناولهما وهو يظهر الترحيب و يسايرهما و يستعيذ بالله منهما وهما يضحكان ولا يباليان وهو يشاركهما بالضحك

الفصل الثالث

الملفان سعدون والهرش

و بينما هم في ضحكهم وهرجهم سمعوا رجلاً ينادي « السمك الطري اربعة ارطال عند بطارحيان » وهي مناداتهم على السمك في ذلك العهد . فوثب العيار وهو يقول « لقد سنحت لنا فرصة نكافئك فيها يا معلم سمعان » وتناول حصاة من المخلاة وضعها في المقلاع وخرج من باب الخمارة وقال « اسرع والتقط السمك عن الارض » فعلم سمعان ان العيار سيرمي ذلك المسكين بالمقلاع فاشفق عليه وامسك العيار بيده فاوقفهُ عن الرمي ونظر الى البائع في الطريق وهو لا يكاد يميزه من العتمة فاذا هو فقير عاري الساقين والذراعين لا يستره الّا ثوب خلق وعلى رأسه فوق العمامة طبق من القش والسمك ظاهر فوقهُ .

فانتتر العيار من يد الخمار وقال « دعني اعوض عليك السمكة سمكتين »

الرواتب واضعاف اضعافها غير حق البيعة ٠٠ ولكن طب نفساً فان ذلك قريب ٠٠٠ »

فوضع الجندي يده على فم صاحبه يريد اسكاته حذرًا من الفضيحة ٠ وكان سمعان يسمع جدالهما ولا يهمه مما يسمعه الاَّ ما يتوسم من ورائه قبض دينه ٠ فلما رآهما يحاذران الكلام وهما بالباب تقدم اليهما وقال « تفضلوا وادخلوا » واشار الى الحصير كانه يدعوهما للجلوس ٠ فدخلا ومدَّ العيار يده الى البربط المعلق على الحائط فتناوله ودفعه الى الخمار وقعد وهو يقول « بلغني انك تحسن الغناء والضرب على البربط لقرابة بينك وبين برصوما الزمار ٠٠٠ فاسمعنا »

فتناول سمعان البربط وهمَّ باصلاحه وهو يتمتم « يا ليتني كنت من اقارب برصوما فانه من المقربين عند مولانا امير المؤمنين يقبض الجوائز والرواتب ٠٠٠ »

فقال الجندي « لو كنت تحسن النفخ بالمزمار لكنت اصبت مثل حظه او حظ ابراهيم الموصلي المغني او ٠٠٠ ولكن اشكر الله على حالك فان التقرب من ذلك القصر لا يخلو من الخطر على الحياة ومهما يكن من حسن حظك فهل يكون احسن من حظ البرامكة ؟ وانت تعلم مصيرهم ٠٠٠ »

فقطع العيار كلامه قائلاً « أراك يا صاحبي من الفلاسفة ورجال الزهد ٠٠٠ اما انا فادخلني قصر الخلد واجعلني مغني الخليفة او زامره او شاعره ولما يأْتي الخطر يفرجها الله ٠٠ او اجعلني على الاقل جندياً مثلك ٠٠ تتناول الراتب وانت قاعد واذا ذهبت الى الحرب عدت بالغنائم والاسلاب ومعك السبايا من النساء الجميلات » وتنحنح مبتسماً

فابتدره قائلاً وهو يهز رأْسه « اذا عدتُ حيا ٠٠ »

فاتمَّ العيار كلامه « لماذا لم تذهب في الحملة التي سار فيها امير المؤمنين الى سمرقند منذ بضعة اشهر لمحاربة رافع بن الليث ٠ الا تتوقع منها فوزًا ؟ »

قال « لا يعلم المستقبل الاَّ الله ٠٠ واما ذهابنا فلا يتعلق برأْينا وانما هو يرجع الى ارادة قوادنا ٠٠ وزد على ذلك ان الرشيد خرج في هذه الحملة وهو مريض واناب ابنه محمدًا الامين في بغداد والامين كما تعلم كريم الخلق جوادًا لا يُخشى بأْسه مثل ابيه ٠٠٠ واظن هذا من حسن حظكم ايضاً لاني أرى كبيركم الحسن الهرش مقربًا من البلاط كانه صار من رجال الدولة »

فقال العيار « يظهر كذلك ٠٠٠ ولكن لا يتم حظنا الاَّ ٠٠٠ (وتلفت يميناً وشمالاً وخفض صوته) الاَّ متى صار الامين خليفة وربما حسدتني على العيارة كما احسدك الآن

المقدم الهرش الليلة عن الملفان سعدون قل لهُ اني في انتظاره هنا » والملفان رتبة علمية عند السريان تقابل « دكتور او علاّمة » اليوم

وكان العيار والجندي واقفين ينظران الى الرجل فتذكر العيار انهُ رآه قبل هذه المرة لما سمعه يذكر الهرش مقدم العيارين اجفل وتذكر انهُ شاهده مع الهرش غير مرة فرأى حينئذ من الحكمة ان يخرج من ذلك المكان قبل مجيء مقدّمه . فتحوّل وخرج واما الجندي فاحب البقاء ليطلع على ما عساهُ ان يكون من هذا الاجتماع وهو يندر في مثل هذا المكان خارج المدينة فجلس على وسادة فوق الحصير بقرب الحائط وجعل سيفه في حجره والحائط بينه وبين البستان

اما الخمار فسرّه قدوم ذلك الصابي وما يتوقعه من قدوم الهرش فربما تعشيا هناك او شربا فيقبض منهما ما يعوض خسارته في ذلك المساء . فاسرع بين يدي الرجل وكان هذا لطول قامته يخاف ان تعلق عمامته ببعض الاغصان فمشى مطاطئ الرأس حتى وصل الى مصطبة مطلة على نهر جعفر تظللها شجرة كبيرة وفوق المصطبة حصير عليه وسادتان فاجلسه الخمار هناك وهرول راجعاً حتى اتى بالسراج الذي كان في الحانة فوضعه على ارومة شجرة بجانب المصطبة كان قد قطعها منذ ايام . وسأل سعدون هل يحتاج الى شيء من طعام او شراب فقال « كلاّ . » واتكأ على احدى الوسادتين ووضع العصا بجانبه واستخرج من كمّهِ جراباً صغيراً وضعهُ بين يديه . فتركه الخمار وعاد ومكث الرجل جالساً يتشاغل بتمشيط لحيتهِ بانامله ويستأنس بعنين ساقية تدور في بستان قريب

ولما رجع الخمار الى الحانة اتى بسراج آخر اضاءهُ فرأى الجندي وحده هناك فسأله عن رفيقه فقال « انه فرّ خوفاً من اميره الهرش ... وما رأيك بهذا الصابي اظنهُ سيعوض عليك ما خسرتهُ علينا .. »

قال « ان شاءَ الله »

فقال الجندي « لا بد من سبب هام لالتقاء هذا والهرش هنا .. »

قال سمعان « اني ارجو ذلك وهؤلاءِ الصابئة اهل سحر ونجامة لا تخفى عليهم خافية ولعل الهرش بما اشتهر بهِ من كشف المخبآت انما يستعين على كشفها بسحر هذا الصابي »

فهز الجندي رأسهُ واومأ بعينيهِ ان « نعم » واصبح خائفاً من ان يطلع سعدون بسحره على اقوالهِ فيؤذيه فسكت . واشتغل الخمار عنهُ بالتقاط ما وقع في ارض الحانة من آثار الاكل والشرب استعداداً لمجيء الهرش

فقال « اخاف ان تقتل الرجل .. لا حاجة لي بالسمك »

فضحك العيار وقال « لا تخف اني ارمي السمك فقط ولا امس الرجل ولا طبقه وسترى » قال ذلك واطلق الحجر من المقلاع فلم تصب الا على السمك فسقط بعضه والرجل ماش لم يشعر . وكان للعيارين مهارة عظيمة برمي الحجارة . وكان بيد السمّاك رغيف فقال العيار للخمار « وارمي لك الرغيف من يده اذا شئت » فوقعت هذه الالفاظ في اذني الرجل فالتفت ولما رأى العيار ذُعر ورمى الرغيف الى الارض وصاح « هذا الرغيف خذه ودعني » وولى هاربًا . فاسرع العيار وعاد ومعه السمكتان والرغيف وهو يضحك فتناولهما الخمار وهو يعجب من تلك الخفة ودخل ليشويهما وهو يتوسل الى الله في باطن سرّه ان ينقذهُ من تلك الورطة بالتي هي احسن

وكان الله استجاب طلبته فانهُ ما عتم ان سمع وقع حوافر وصلصلة لجام انتهت عند باب بستانه وآنس سكوتًا بعد تلك الضوضاء وكأن الرفيقين اصيبا بالجمود . فالتفت نحو الباب وعيناه تدمعان من الدخان ويكاد الدخان يحجب بصره فرأى رجلاً طويل القامة مع انحناء قليل تدلُّ هيأته على السكينة والوقار وعلى رأسه عمامة سوداء اللون كبيرة الحجم وقد اكتسى جبة طويلة تحتها ثوب عسلي اللون حوله زنارٌ مشدود وهو لباس اهل الذمة في ذلك العصر وقد شك في الزنار دواة من الفضة . وكان وجهه صبوحًا مع رقة ونحافة حتى يكاد يلتصق الجلد بالعظم مع بروز الوجنتين . وعيناه سوداوان براقتان تدلان على الذكاء وانفهُ كبيرٌ منحنٍ قليلا ولهُ لحية كثيفة مسترسلة قد دبّ فيها الشيب تتصل من الجانبين بسالفين كثيفين . دخل الرجل وهو يتوكأ على عكازٍ بيمينهِ وقد تأبط بالذراع الأخرى شيئًا تحت الجبة

فلما رآه الخمار علم انهُ من وجهاء الصابئة او عالمًا من علمائهم فاستغرب مجيئه اليه لان الحانات لا نصيب لها من امثال هـذه الطبقة من الناس فتنحى العيار والجندي وتقدم الخمار وانحنى كأنه يستفهم القادم عما يأمر بهِ

فقال الرجل بصوت خشن هادىء « أليس هذا خان المعلم سمعان ؟ »

ففرح الخمار باشتهار اسمهِ على السنة كرام القوم وقال « نعم ياسيدي .. »

قال « وهل في بستانك مكان للاستراحة »

قال « نعم يا مولاي .. تفضل »

فدخل الخمـار مهرولاً نحو البستان ودخل الرجل في اثره وهو يقول له « اذا سألك

الفصل الرابع

الكيمياء

اما الهرش فدخل البستان ووقف غلامه بالفرس في منعطف من الطريق . واسرع الخمار في اثر الهرش حتى اوصله الى المصطبة فوقف له الملفان ورحب به والهرش يهش له ويبش حتى جلس الى جانبه واشار الى الخمار انهما لا يحتاجان الى شيء . ففهم انهما يريدان الخلوة فرجع حالاً واشار الى الجندي ان ينصرف لئلا يكون وجوده باعثاً على شك فانصرف آسفاً

اما الهرش فنظر الى رفيقه وتبسم قائلاً « اظنني ابطأت عليك »

قال « لم يطل انتظاري الاّ قليلاً »

قال « اني في شوق الى رؤيتك ولولا ذاك لم استطع المجيء اليك ولا سيما اليوم لغياب امير المؤمنين الرشيد عن بغداد »

فقال « أليس ابنه الامين مكانه فيها ؟ »

قال « بلى . ولكن هذا الغلام — وانت اعلم مني طبعاً — لا يستطيع ضبط الامور كما يضبطها ابوه فضلاً عن اشتغاله بالجواري والغلمان والكأس والطاس . . . فتراني لا اخرج من منزلي الاّ قليلاً وترى رسول صاحب الشرطة ذاهباً جائياً يحمل اليّ الاسئلة عن بعض الغوامض كأني الملفان سعدون الصابي الحراني اضرب المندل واستطلع الغيب بالنجوم . . » قال ذلك وضحك وهو انما اسرع الى ذكر اسم الرجل لينتقل الى الغرض الذي جاء من اجله . فادرك سعدون غرضه وتجاهل قائلاً « العفو ايها الامير ان ما يستطيعه مقدم العيارين يعجز عنه مثلي وانا اذا عرفت شيئاً فيدلني عليه الكتاب والحساب واما انت فتعرفه بفراستك وشجاعتك »

فاعجبه ذلك الاطراء فقال « هب اني اعرف كل شيء فيكفيني عجزي عن معرفة مقرّك لاني قلما ابحث عنك واجدك الاّ اذا كنا على موعد »

قال « ذلك لا يدلُّ على عجزك بل هو من سوء حظي لان اشتغالي بالكيمياء فضلاً عن المندل والنجامة يقضي عليّ بالانزواء معظم الايام ولذلك رأيتني تركت اهلي وهجرت حران لئلاّ يشغلوني عن عملي . وقد طال بعدي عنهم حتى اصبحوا لا يعرفونني ولا يدرون

ثم مالبثا ان سمعا فرس الصابي يصهل صهيلاً قويًّا وكان مربوطًا بجانب الطريق يحرسهُ غلام وأجابهُ صهيل مثله عن بعد فاستبشر الخمار ان اناساً من اهل الوجاهة قادمين اليه ثم اقتربت الاصوات واتضح وقع الحوافر واذا بفارس وقف بالباب وبين يديه غلام بلباس العيارين الذي ذكرناه وهو ينادي « يامعلم سمعان ... »

فاسرع الخمار وقال « نعم » ونظر الى الفارس فرأى لباسهُ فاخرًا وعلى رأسه قلنسوة قصيرة حولها عمامة وسراويله قصيرة وقد نعلد السيف وحول ساقيه لفائف من الجلد (طماقات) الى الكعب فوق النعال فقال الغلام « هل جاءك الملفان سعدون ؟ »

قال « نعم هو في هذا البستان » وعلم للحال ان الفارس هو الهرش مقدم العيارين فتقدم وامسك بلجام الفرس والركاب حتى ترجل الهرش ومشى وكان قصير القامة ممتلىء الجسم ومع ما يظهر من كهولته لا يزال سريع الحركة قوي البدن اذا مشى تبختر تيها وخيلاء وكان غليظ الشفتين خفيف اللحية والشاربين اشيبهما وعلى جبهته ندبة غائرة من اثر جرح اصابه في صباه في بعض المعارك كاد يقضي عليه وهو يفاخر اقرانه بهذا الاثر . وكان كبير العينين لا يبرح الاحمرار ظاهرًا فيهما كأن صاحبهما ناهض من رقاد عميق . واذا علمت ان الرجل امير العيارين هان عليك الحكم على اخلاقه والعيارون يرتزقون بالسرقة او التعدي ونحو ذلك والحكومة ساكتة عنهم لانها كثيرا ما كانت تستعين بهم في بعض الاحوال واذا اعانوها واخلصوا لها نفعوها لانهم اقدر الناس على كشف اخبار الدعار وتتبع اللصوص . وكانت الحكومة يومئذ تستعين بهؤلاء وامثالهم حتى باللصوص انفسهم وكان عندها طائفة منهم تابوا عن اللصوصية ففرضت لهم الرواتب وسمتهم التوابين تزعم انها تستخدمهم في كشف السرقات[1] ويندر ان يخلصوا لها الخدمة والغالب ان يشتركوا مع اللصوص عليها — وتكثر امثال هذه المفاسد في الحكومات الاستبدادية اذا ضعف صاحبها وطمع رجالهُ بالاموال وفسدت النيات واصبح الناس عيونًا بعضهم على بعض

---

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ٤٦ ج ٥

اما الهرش فادرك انه يمازحه فقال « اذا كان الصابئة كلهم مثل الملفان سعدون فانهم اخوتي جميعاً واكرم بها من طائفة عندها علم النجوم . . و . . » ثم سكت وهو يصغي كانه يسمع صوتاً ثم قال « كانني اسمع قرقعة لجم البريد »

وكان الصابي قد ربط الجراب فوضعه تحت ابطه وتحفز للنهوض وهو يقول « انه بريد خراسان ومعه خبر هام . . . الا تراني اتهيأ للنهوض من قبل ؟ . . »

فازداد الهرش اعجاباً بمقدرة سعدون وهمه قوله ان البريد قادم من خراسان بخبر هام فنهض وهو يصلح قلنسوته و يحمل سيفه بمنطقته و يقول « صدق من قال — ان لقرقعة لجم البريد رهبة — دعني اذهب لملاقاة صاحب البريد لعلي استطلع منه خبراً . . . اني اسمع قرقعة اللجام تقترب من هذا المكان »

ومشى مسرعاً وسعدون يمشي في اثره على مهل وقبل ان يصل الهرش الى باب الخان رأى بغل البريد وقف بالباب وراكبه ملثم وقد شدّ وسطه بهميان عريض والبغل يلهث من التعب وقد تصبب العرق عن صدره وارغى بعضه تحت اللجام وصاح الفارس بالخمار « اسقني يا سمعان »

الفصل الخامس

الخبر الهام

فاسرع الرجل الى كوبة ملأها ماء ودفعها اليه وكان الهرش قد وصل فلما وقعت عينا حامل البريد عليه ترجل قبل ان يشرب وهم بتقبيل يده فاومأ اليه ان يشرب ففعل ودفع الكوبة الى الخمار واقترب من الهرش فاسرَّ اليه كلمة وجعلا يتهامسان وسعدون واقف على عتبة الحانة مما يلي البستان لا يسمع شيئاً ولكنه لحظ من بغتة الهرش عند سماع كلام الرجل ان الخبر الذي يحمله من خراسان عظيم الاهمية ولم يطل تهامسهما فاعتذر البريدي وركب البغل واطلق له العنان . فتحقق سعدون من هذه السرعة عظم اهمية الخبر والاَّ لتمنى حامله ان يقف هنيهة مع مقدم العيارين . فدخل سعدون الحانة فرأى الهرش مقبلاً عليه والبغتة ظاهرة في وجهه يمازجها ارتياح . وآنس مع انقباض اسرته ابتسامة حول فمه فادرك

مقري ولوسالتهم عني لانكروا امري »

ففرح الهرش بتطرق الرجل الى ذكر الكيمياء ليسأله عما فعله بقطعة من النحاس دفعها اليه منذ ايام ليطبخها له و يحولها الى ذهب فقال له « اظنك طبعاً نسيت صديقك الهرش ولم . . . »

فقطع سعدون كلامه قائلاً « كلاَّ اني لا أنسى مولاي المقدم وابشره ان حظه في اسمى الطوالع لاني توفقت في طبخ نحاسه توفقاً غريباً يندر مثله . . »

فاستبشر الهرش بالغنى القريب لانه كان قد دفع اليه قطعة كبيرة من النحاس فاذا صارت ذهباً اعطاه غيرها حتى يصير غنيًّا فلم يتمالك عن القول « هل صحت الطبخة ؟ »

فتبسم سعدون ومد يده الى ذلك الجراب وحلّهُ واستخرج منهُ سبيكة من الذهب الابريز وهو يقول « نعم يا سيدي وهذه هي القطعة التي جربتها ومتى انضج الباقي دفعته اليك » ثم قال همساً وهو يناوله السبيكة « واظنني لا احتاج الى تنبيهك ان تكتم ذلك عن سائر الناس فاني لا احب ان . . وانت تعلم السبب »

فتناول الهرش السبيكة وادناها من لهيب السراج وتفرس فيها فاذا هي ذهب لا ريب فيه . على انه خاف ان يكون في الامر خداع لانه تعوَّد المخادعة والمداجاة وكانتا رائجتين في ذلك العصر لفساد النيات وتجسس الناس بعضهم على بعض . وهو اكثر اهل بغداد اطلاعا على ذلك لان منصبه يسهل عليه كشف الاسرار فجعل يروز تلك السبيكة بيده ليمتحن وزنها . فلما رأى سعدون شكه قال بهدو ورزانة وفي صوته لهجة العتاب « لا تشك ياسيدي . . . فاذا بعتها في سوق الصياغ غداً تعلم صدق قولي . . . ولا ألومك على الشك لان الناس لم يتعوَّدوا الصدق ولا تحققوا نجاح الكيمياء الاَّ قليلاً و يغلب في من يصح طبخه ان يستأثر بالذهب لنفسه . . . »

فخجل الهرش لهذا التوبيخ اللطيف وزاد احتراماً للملفان سعدون وثقة بهِ واسرع للاعتذار فاكر ارتيابه وقال « حاشا لي ان ارتاب بصدقك ولست حديث العهد بمعرفتك فكم كشفت لي من المخبئات واطلعتني عليه من الاسرار حتى صرت اعدك اخي بل اعز من اخي »

فقال « كيف تكون مسلماً و يكون اخوك صابياً ؟ هل ترضى ذلك لنفسك ؟ . »

وضحك وهو يلفّ درجاً كان بقلبهِ في اثناء الحديث وجعله في الجراب الذي استخرج السبيكة منه

حسن صنيعك ٠٠ »

فاطرق سعدون هنيهة وهو ينتف عثنونه وينكت الارض بعكازه ثم قال « دعني اذهب واعود اليك بالخبر الليلة اذا شئت ٠ »

قال « اذا كنت تقدر على الرجوع الليلة فلا بأس من ذهابك ولو جئت في منتصف الليل فانك تجدني في قاعة العيارين بالحربية وانت تعرفها ٠ ومتى جئتني اسير معك الى منزل صاحب الشرطة وسيكون ساهرا ٠٠٠ ولا اظنهم ينامون الليلة اذا بلغهم ما بلغنا من امر الرشيد لان موته سيحدث تغييراً مهماً ارجو ان يكون لي منه نفع ٠٠ ولك ايضاً ٠٠ »

قال ذلك وضحك ومد يده الى يد سعدون كأنه يحييه ثم نادى غلامه فجاء وهو يحمل صندوقاً صغيراً وعصا وملاءة مما قد يحتاج اليه الهرش في اثناء الطريق فاشار اليه ان يدفع للخمار فدفع اليه صرة صغيرة فيها دراهم فاتى الخمار وهرول واكبّ على يد الهرش ليقبلها فمنعه فالتفت سعدون اليه وقال « هل جاء الامير الهرش اليك الليلة ؟ »

فادرك الخمار انه يعرض برغبته في كتمان ذلك فاجابه « كلاّ يا مولاي ولا الملفان سعدون ٠ كن مطمئناً »

فالتفت الهرش الى سعدون وهو يضحك فقال سعدون « اركب انت امامي ثم اركب انا حتى لا نترك اثراً لاجتماعنا »

فقال الهرش « اراك تبالغ في الكتمان ياصديقي وليس في ما فعلناه ما يوجب هذا التستر ٠٠٠ ولا كان ثمت باعث لخروجنا الى طرف المدينة لهذا الاجتماع ٠٠٠ »

فقال وهو يخفض صوته « يهمني التكتم بامر الكيمياء فقط ٠٠ واني ارى للجدران آذاناً وللشوارع ألسنة فاعذرني ٠٠ »

فقال « حسناً » وركب الهرش ومشى الغلام بركابه في شارع خراسان غرباً نحو الجسر ومنه غرباً جنوبياً الى الحربية

فلما تحقق سعدون ذهابه ركب وادار شكيمة جواده جنوباً شرقياً نحو المخرّم يلتمس القصر المأموني

بفراسته ان الخبر يتعلق بالرشيد لانه في خراسان وقد ذهب اليها مريضاً وكان قد علم من اخبار خصوصية ان المرض اشتد عليه ولا يرجى شفاؤه . ولذلك لما سمع قرقعة لجم البريد قال انه من خراسان يحمل خبراً مهمًّا فترجح عنده ان البريد انما يحمل موت الرشيد فلما رأى الهرش قادماً اليه تبسم وهز رأسه وقال « ولكل اجل كتاب . . »

فبغت الهرش لقوله وعده نبوة وامسك بيده ونحيا على انفراد وخاطبه همساً « هل علمت بموته . . . وكيف عرفت ذلك . . »

قال « رحم الله الرشيد انه مات غريباً وقد كنت اتوقع موته منذ خرج في هذه الحملة عرفت ذلك من طالعه . . واراك سررت بموته . . ويحق لك السرور كما يحق لسائر الامراء والاجناد لانكم ستقبضون رواتب جديدة — وخصوصاً انت فانك اوفر حظاً من سائر الامراء في هذا الشأن لان الامين اذا تولى الخلافة زاد في تقريبك . . . » وتنحنح وتظاهر ان السعال شغله عن اتمام كلامه

فتناول الهرش الحديث عنه وقال « ولكن حامل البريد مع ثقته بي ورغبته في ارضائي كتم عني خبراً آخر قال انه في غاية الاهمية واعتذر انه لا يقدر ان يقوله لي الآن وانني ساعرفه قريباً . . . »

فقطع سعدون كلامه وقال « لا شك انك ستعرفه لانه سينتشر على رؤوس الملأ ولو كان كتاب المندل معي لاستطلعته في هذه الدقيقة ولكن . . » وتحفز للخروج كانه يستعجل في الذهاب لعمل المندل ونادى غلامه ان يأتيه بالفرس فاستوقفه الهرش قائلاً « أراك مسرعا وانا في حاجة اليك . . »

قال « اني رهين ما تريد ولكنني احب الاطلاع على بقية الخبر . . »

فقال « حسناً ولكننا تواعدنا على الاجتماع هنا لنتكلم فلم يطل مقامنا وزد على ذلك ان اخانا علي بن عيسى بن ماهان صاحب الشرطة يحب ان يراك لانني كثيراً ما ذكرتك بين يديه واحكيت له عن معجزاتك . . . »

فقطع كلامه قائلاً « اخاف انك ذكرت له الكيمياء . . »

فضحك الهرش وهو يتشاغل برفع حمائل سيفه وقال الكيمياء ؟ . . كلاَّ ولكني قصصت ما انت عليه من المهارة في النجامة والمندل فرأيت فيه ميلاً لرؤيتك واوصاني ان آتيه بك واظنه يفيدك لانه صاحب شرطة بغداد وله شان كبير ولا سيما بعد هذا الخبر فان مولانا الامين يعوّل عليه ويحبه . . وهذه فرصة لي ايضاً لأُ كافئك على

الفصل السادس

القصر المأموني

كان هـذا القصر على عهد قصتنا هذه في جنوبي القسم الشرقي من بغداد فوق قصر الامين وكلاهما ظاهر في الخارطة . وكان يسمى قبلاً القصر الجعفري نسبة الى جعفر البرمكي وزير الرشيد . والسبب في بنائه ان جعفر كان شديد الشغف بالشرب والغناء كما يتضح من مطالعة رواية « العباسة اخت الرشيد او نكبة البرامكة » وكان ابوه يحيي رجلاً جليلاً ذا رأي وعقل وكان يخاف على ابنه عاقبة هذا التهتك فنهاه فلم ينتهِ فاوصاه ان يتستر عملاً بالحديث المأثور فابى . فلما اعيته الحيلة في ردّه قال لهُ ان كنت لا تستطيع الاستتار فاتخذ لنفسك قصرًا بالجانب الشرقي من بغداد (وكان لا يزال ذلك الجانب قليل العمارة) واجمع فيهِ ندماءك وقيانك وقضِّ فيهِ معهم زمانك وابعد عن عين من يكره ذلك منك »

فقبل جعفر هذه النصيحة وامر ببناء قصره بالجانب الشرقي كما تقدم وبذل في بنائه مالاً كثيرًا . فلما تمّ بناؤُهُ سار اليهِ في جماعة من اصحابه فيهم صديقٌ نخاس لهُ اسمهُ مؤنس بن عمران وكان عاقلاً فطافوا القصر كلهم واستحسنوه ولم يبقَ منهم احد لم يقرظهُ ويمدحهُ بما يبلغ اليهِ امكانه الاّ مؤنسًا فانهُ ظلّ ساكتًا فقال لهُ جعفر « مالك ساكتًا لا تتكلم وتدخل معنا في حديثنا ؟ »

فقال « حسبي ما قالوا »

فادرك جعفر ان تحت قوله شيئًا يكتمهُ فقال « لقد اقسمتُ لتقولنّ شيئًا »

فقال « اما اذا ابيت الاّ ان اقول فلك عليّ ذلك »

قال « نعم واختصر »

فقال اسألك بالله ان مررتَ الساعة بدار بعض اصحابك ورأيتها خيرًا من دارك هذه ما كنت صانعًا ؟ » يشير الى ما كان في نفس الرشيد على جعفر من إكبار ما بلغ اليهِ من الثروة والنفوذ دونه

ففهم جعفر مراده فقال « حسبك قد فهمت فما الرأي ؟ »

قال « الرأي اذا صرت الى امير المؤمنين وسألك عن تأخرك فقل انك كنت في القصر الذي بنيته لمولانا المأمون واجعل انك بنيتهُ لهُ »

الهلال

مجلة علمية تاريخية صحية ادبية

سنتها عشرة اشهر

وعوض من الشهرين الباقيين بكتاب تذكاري للمشتركين في آخر السنة

تصدر مرة في الشهر

لمنشئها

جرجي زيدان

قيمة الاشتراك [illegible] قرشاً بالقطر المصري و ٢٠ فرنكاً في الخارج تدفع مقدماً

AL-HILAL

Scientific & Literary Arabic Review

Edit[illegible]

[illegible]

[illegible]

بشارع قصر النيل تجاه البنك الاهلي

ماكينة الكتابة العربية

(ادريس وحداد)

المستعملة في القصر الخديوي الفخيم وفي جميع دوائر الحكومة المصرية وبعض البنوكة والتجار والمحامين وفي الممالك العثمانية ومراكش وبلاد العجم



ومكاتب وكراسي اميركانية من الخرطرز وكل لوازم المكاتب

تطلب من المصور سليم حداد . بمصر (١ — ١٥ — ١٠)

مسامرات الشعب

هي المجلة العربية الروائية الوحيدة تصدر في السنة ٢٠ مرة . ويظهر العدد الاول للسنة الثالثة في أول نوفمبر وهو جزء من رواية كبيرة سلسلتها عشرة اجزاء أو تزيد وعنوانها (الطفل [illegible] المفقود) تعريب حضرة [illegible]

(جريدة الحقوق) مكتبة قضائية مفيدة جداً تباع ... متداولة في مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

النتيجة السورية

لسنة ١٩٠٧

وردت الى مكتبة الهلال بشارع الفجالة بمصر الروزنامات السورية مطبوعة طبعة جميلة وعلى ظهر كل من اوراقها مفكرة يومية للطعام وثمنها ٤ غروش صاغ واجرة البوسطة غرش ونصف

The Gresham Life
Assurance Society Limited

شركة جريشام ليمتد

لضمانة الحياة

تأسست في لندره عام ١٨٤٨

حالة الشركة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٤

راس مالها الاحتياطي	٣٢٣,٩٧٣,٥٨٤	فرنك
مدخولها السنوي	٣٤,٠١٣,٩٢٣	«
المدفوع للمؤمنين	٥٢٦,١٦٥,٨٧٥	«

مجلس الادارة في القطر المصري

رئيس . السيرجون روجرس ك . س . م . ج .

ف . ه . رسل من محل الخواجات رسل وكر وڤيات

الدكتور هربرت ملتن . ج هيوم . نائب حاكم البنك الاهلي المصري

اذا دفعت مبلغاً جزئياً كل سنة لهذه الشركة فهي تضمن لك ذخيرة لشيخوختك أو مهراً لابنتك او رأس مال لابنك .

وهي تعطي أيضاً سلفيات على رهن عقارات بفوائد متهاودة جداً .

وجميع الاستعلامات تطلب من فرع الشركة للقطر المصري وفلسطين والشام الكائن بشارع قصر النيل بالقاهرة

٧ — ١٤ — ١٠

الهلال

الجزء الثالث من السنة الخامسة عشرة

١ دسمبر (ك ١) سنة ١٩٠٦ و ١٥ شوال سنة ١٣٢٤

تاريخ التعليم في مصر

من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن

نظرًا لاشتغال الصحف واهتمام الناس بامر المكاتب المصرية والبحث في طرق التعليم في المدارس الاميرية وانتقادها رأينا ان نأتي بخلاصة تاريخ التعليم في وادي النيل من اقدم ازمنة التاريخ الى الآن اذ لا يخلو ذلك من عبرة او فائدة .

اولا التعليم قبل الاسلام

١ العصر الفرعوني

كانت مصر في التاريخ القديم مهد العلم ومنشأ التمدن يأتيها طلاب المعرفة من الامم المعاصرة في فينيقية واليونان والرومان يتلقون العلم فيها ومدارسها يومئذ في الهياكل والمعابد تلقى فيها العلوم سرًّا على المختارين شأن التعليم في عهد التمدن القديم . فانه كان محظورًا على العامة لا يناله غير طائفة من الخاصة بعد الاقرار على قبولهم في سلك التلامذة

وكانوا يشترطون في القبول شروطًا تشبه ما تشترطه جمعية الماسون في قبول الطالبين ويتدرجون في تلقين العلوم مثل تدرج هؤلاء في تلقين اسرارهم

واشهر « مدارس » وادي النيل في العصر الفرعوني جمعية كانوا يسمونها جمعية ايزيس السرية ذاع صيتها في اقطار العالم يومئذٍ وأمَّها الطالبون من شبان الامم المجاورة لم يكن

محمد على باشا

مؤسس النهضة التعليمية الحديثة



سنة الله في خلقه — وذلك ان تلك العلوم نضجت في اذهانهم ووضعوا فلسفتهم وآدابهم وعلمهم نحو القرن الرابع قبل الميلاد رغم ما انتابهم في اثناء ذلك من الحروب الاهلية . لكنهم لم يكادوا يتخلصون من تلك الحروب حتى جاءهم الرجل المكدوني العظيم (الاسكندر) فغلبهم على ما في ايديهم ثم حمل بهم على العالم المتمدن في ذلك العهد ففتح مصر وبنى فيها الاسكندرية واكتسح الشام والعراق وفارس الى بلاد الهند . فاصاب العالم بتلك الحروب هزة انتفضت لها اعصابه واختلطت عناصره فالتقى اليوناني بالفينيقي والمصري والفارسي والكلداني والهندي وتحاكت الافكار وتلامست المطامع وتقاطعت المصالح وكان من اول نتائجها : اولاً نشر علوم اليونان وآدابهم وتمدنهم في امم الارض . ثانياً نقل علوم الفرس والكلدان وغيرهم الى بلاد اليونان او مصر . فقد ذكروا ان الاسكندر لما فتح اصطخر عاصمة الفرس اخرب ابنيتها وشوه نقوشها ونسخ ما كان مجموعاً من ذلك في الدواوين والخزائن هناك ونقله الى اللسان اليوناني والقبطي . وبعد فراغه من نسخ حاجته منه احرق ما كان مكتوباً بالفارسية . واخذ ما كان يحتاج اليه من علم النجوم والطب والطبائع وبعث به وبسائر ما اصاب من العلوم والاموال والخزائن والعلماء الى بلاد مصر

ولما مات الاسكندر سنة ۳۲۳ ق م انقسمت مملكته بين قواده فانتقل علماء اليونان من بلادهم الاقامة في مستعمراتهم الجديدة في مصر والشام والعراق فابتنوا المدارس في الاسكندرية وانطاكية وبيروت وغيرها وكان حظ البطالسة في الاسكندرية اوفر من حظوظ سائر الدول اليونانية الشرقية في ترقية شؤون العلم والفلسفة . وكان سوتر اول البطالسة عادلاً محباً للعلم (حكم من سنة ۳۰٦ — ۲۸٥ ق م) فتقاطر اليه العلماء والفلاسفة من بلاد اليونان على اختلاف القبائل والاماكن فاكرم وفادتهم ونشطهم في مواصلة البحث والدرس واطلق لهم الاموال فزادوا احتراماً له ورغبة في العلم

وكان في جملة المقربين اليه خطيب اثيني اسمه ديمتريوس فاليروس اشار عليه بانشاء مكتبة يجمع اليها الكتب من انحاء العالم فاجابه الى ذلك وهي مكتبة الاسكندرية الشهيرة التي بحثنا عن اسباب حريقها في تاريخ التمدن الاسلامي ج ۳ . والظاهر ان الكتب التي بعثها الاسكندر من اصطخر وغيرها وضعوها في هذه المكتبة . وديمتريوس هذا هو الذي سماه ابن القفطي « زميرة » وسبب الفرق تصحيف في النسخ . وباشارته ايضاً انشأ سوتر المتحف او النادي (Museum) على شكل مدارس اوربا الجامعة يجتمع فيه العلماء والادباء والفلاسفة للدرس والبحث وهو مدرسة الاسكندرية الشهيرة

يقبل فيها غير الذين تثبت اهليتهم لاحراز تلك الاسرار . واذا اقروا على قبول طالب جربوه تجارب مخيفة اذا جازها بثبات و بسالة لقنوه الاسرار . وقس على ذلك سائر المدارس القديمة في الهياكل الكبرى كهيكل عين شمس والكرنك والقصر ونحوها

واشتغال المصريين بالعلوم قديم وقد وضعوا بعضها قبل عهد مينا اول ملوكهم اي منذ سبعة آلاف سنة . فلما ازهر تمدنهم في عهد الدولتين القديمة والوسطى درسوا تلك العلوم ووسعوها والفوا الكتب في بعضها ونقشوا كثيراً منها على ابنيتهم مما لا يزال باقياً الى الآن . ورصدوا الافلاك وعرفوا حركات الكواكب واتقنوا الهندسة ولا سيما هندسة البناء وآثارهم شاهدة على ذلك . وفاقوا معاصريهم بالميكانيكيات والكيمياء والتعدين ناهيك بالطب والجراحة والصناعة والزراعة والموسيقى غير ما وضعوه من الشرائع والآداب والتعاليم الدينية مما يضيق المكان عنه

فكانت مصر في ذلك العهد مورداً لطلاب المعرفة من اهل التمدن القديم لا سيما اليونان فانهم نشأوا والمصريون في ابان تمدنهم فلجأوا اليهم في اقتباس اسباب التمدن فكان اكثر ما بنوا عليه فلسفتهم وعلمهم مأخوذاً من وادي النيل . ولم ينبغ فيهم فيلسوف او شاعر الا وفد على مصر وتلقن علومها بلسان اهلها « وتخرج في مدارسها » — كذلك فعل فيثاغورس وافلاطون حتى هوميروس وغيره فقد أموا مصر وتتلمذوا لكهنتها وتلقوا الطبيعيات والرياضيات والزراعة والنجوم والطب والموسيقى فيها . غير النابغين من ابنائها في الشرائع والآداب الدينية فان اكثر الهة اليونان القدماء وكثيراً من عباداتهم منقولة عن مصر ومعظم الطقوس الدينية المتبعة في العالم المتمدنة اليوم اصلها من مصر واشهر الاديان الالهية التوحيدية الشائعة في العالم المتمدن اليوم مؤسسة على كتاب لشارع تلقن العلم في مصر

٢ — العصر اليوناني — مدرسة الاسكندرية

اخذ اليونان العلم عن مصر وهم في طفوليتهم فلما شبوا كانت مصر قد شاخت وتضعضعت فعادوا به اليها وقد نما وارتقى وتبدّل وتغير بما أضيف اليه من مقتبسات الامم الاخرى في اشور وفينيقية وبما وضعه اليونان من عند انفسهم في اثناء الاجيال المتوالية — نقلوا ذلك كلهُ الى مصر وانشأوا له مدرسة جامعة ذاعت شهرتها في الخافقين ولا يزال صداها يرنّ في الآذان الى اليوم — نعني مدرسة الاسكندرية

على ان اليونان لم يحملوا علمهم الى الاسكندرية الا مضطرين بطبيعة العمران —

نطاقها وكانت المرجع العلمي الوحيد في تلك العلوم الى اواخر القرن الثاني للميلاد فاخذت تتقهقر لاسباب كثيرة اهمها فساد الحكومة واعوجاج الاحكام وظهور مدارس اخرى من نوعها في سوريا ورودس وغيرها . فتحولت همم رجال العلم الى بلاد العدل والحرية . فلما دخلت الاسكندرية في حوزة الرومان اتسعت شهرتها باتساع دولتهم ولكن رغبة رجال العلم تحولت عنها الى رومية . واتفق ظهور الديانة المسيحية واشتغال ذوي القرائح في اثباتها او نفيها . ونظراً لتوسط الاسكندرية وقربها من ميدان الجدال اتخذت مدرستها خطة فلسفية دينية — فلمدرسة الاسكندرية بهذا الاعتبار عصران الاول يوناني علمي ادبي والثاني روماني فلسفي ديني

واكثر النابغين من العلماء والفلاسفة في عصر البطالسة انما كانوا من تلامذة هذه المدرسة او اساتذتها . فمن مشاهير الرياضيين واصحاب النجوم اقليدس وارخميدس وابولونيوس وهيبارخيوس وكان في الاسكندرية مرصد لرصد الافلاك واستخراج الازياج وما زال مرصدها وحيداً في العالم الى ظهور الاسلام واشتهر من علماء الجغرافية اراتستين وبطليموس القلوذي . واما الطب فقد كان له فيها شأن كبير واشتهر من اطبائها هيروفيلوس وارانسستراتس ولكل منهما رأي الطب عرف باسمه واجتمع حوله حزب كبير ثم ظهر جالينوس وغيره من مشاهير الاطباء والفلاسفة . واختصت هذه المدرسة بترقية الطب على الخصوص ولا سيما التشريح وعلم الكيمياء وظلت مركز التدريس في الشرق الى اول القرن الاول للهجرة اذ نقله الخليفة عمر بن عبد العزيز الى مدرسة انطاكية فمدرسة حران وغيرها

ثانياً — التعليم بعد الاسلام

بينا في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي ان القرآن اساس العلوم الاسلامية فتعليمه اساس التعليم الاسلامي واول دروس القرآن قراءته فاول المعلمين في الاسلام النبي علّمه الصحابة وهم علّموه الناس مع ما ترتب عليه او تفرّع عنه من العلوم . ولهذا السبب كانت مدارس المسلمين في جوامعهم كما كانت مدارس النصارى في اديرتهم وكنائسهم وكانوا يسمون التلامذة المجتمعين حول استاذ يتلقون علماً من العلوم « حلقة » . وتفرعت العلوم بتوالي الاعوام واتسعت دوائرها حتى اصبح للعلم الواحد عدة حلقات والغالب ان تنسب الحلقة الى استاذها فيقولون مثلاً حلقة ابي اسحق الشيرازي في جامع المنصور ونحو ذلك .



فلكي يوناني يرصد الكواكب في المرصد الاسكندري

وكان البطالسة خلفاء سوتر يقتفون اثره في تنشيط العلم واكرام العلماء وخصوصا بطليموس فيلاذلفوس (من سنة ٢٨٥ — ٢٤٧ ق م) فانه اضاف الى المكتبة مالم يكن فيها من كتب العلم اليونانية وغير اليونانية فابتاع كتبا كانت عند ارسطو وجمع كثيراً من مؤلفات اليهود والمصريين القدماء حتى لا ينقص هذه المكتبة علم ولا خبر · وخلفه بطليموس اورجينس (سنة ٢٤٧ — ٢٢٢ ق م) فاضاف الى المكتبة كثيرًا من كتب الادب والشعر والتمثيل مما وجدوه في خزائن اثينا وفرض على كل من يقيم في الاسكندرية او يمرّ بها من رجال العلم ان يقدم للمكتبة نسخة من كل ما يملكه من الكتب · فزهت الاسكندرية بالعلم ونبغ فيها العلماء في كل موضوع حتى فاقت ما تقدمها او عاصرها من مدن العالم القديم · وما زالت رافلة بالعلم والعلماء الى ظهور الاسلام اي عبارة عن نيف وتسعمائة سنة تنقسم الى مدتين الاولى يونانية تبتدىء بولاية سوتر وتنتهي بدخول مصر في حوزة الرومان سنة ٣٠ قبل الميلاد والثانية رومانية تبتدىء من هذه السنة وتنتهي سنة ٦٤٠ م لما فتحها ابن العاص وكان غرضها في المدة الاولى علميًّا ادبيًّا وغايتها ترقية العلوم اليونانية وتوسيع

وكان عددها يوم بني ٧٦ اسطوانة فاصبحت ٣٧٥ اسطوانة متفرقة في اجزائه . وصارت أبوابه تسعة

وكانت اعطية الخلفاء للفقهاء في اول الامر على غير قياس او ميقات فلما افضت الخلافة الى العزيز بالله ثاني الخلفاء الفاطميين سنة ٣٦٥ ﻫ امر وزيره يعقوب بن كاس ان يرتب للفقهاء ارزاقاً معينة وان يبنى لهم منازل يقيمون فيها بجانب الجامع . وكانوا ياتون المسجد في بادىء الرأي لصلاة الجمعة وقراءة الفقه على رأي الشيعة والوعظ والمباحثة فتدرجوا من القراءة الى التعليم حتى اصبح الجامع مدرسة كبرى اكثر دخلها مما وقفه لها الخلفاء والامراء ويقدر دخله السنوي اليوم بعشرين الف جنيه

٢ — علوم الازهر

ظل الازهر مدرسة شيعية طول خلافة الفاطميين (نحو مئتي سنة) حتى غلبهم صلاح الدين الايوبي على مصر سنة ٥٦٧ ﻫ وكان سني المذهب وليس له بدٌّ من مبايعة خليفة يثبته في منصبه فبايع الخليفة العباسي في بغداد وخطب له في الجامع الازهر . وكان صلاح الدين على مذهب الامام الشافعي فلم يضطر لتبديل كثير من طرق التعليم وقبل الناس سلطته على اهون سبيل . على انه لم ير له مندوحة عن مراعاة مذهب الخلفاء العباسيين وهو مذهب ابي حنيفة ورأى بحكمته وسداد رأيه ان يكتسب ولاء سائر المسلمين فاجاز تعليم المذاهب الاربعة كل مذهب يحضره اهله . فآل ذلك الى اتساع شهرة هذه المدرسة وتقاطر اليها الطلاب من اربعة اقطار المسكونة . ولم يبق التعليم قاصراً فيها على الفقه وعلوم الدين واللغة ولكنه تناول شيئاً من الرياضيات والنجوم وبعض العلوم الطبيعية

وما زال ذلك شأنها في ايام السلاطين الايوبيين ومماليكهم حتى جاء السلطان سليم العثماني وفتح مصر في اوائل القرن العاشر للهجرة ثم استبد الامراء المماليك في الحكومة فاشتغل الناس عن العلم . وكان العنصر العربي قد ضعف شأنه في سائر المملكة الاسلامية الاَّ في مصر لان مدرسة الازهر كانت اكبر وسيلة لاستبقاء اللغه العربية حيةً بتعليم العلوم الدينية واللسانية لكنها اقتصرت يومئذ على هذه العلوم واهملت سواها من الطبيعيات والرياضيات

على ان فضل الازهر في احياء اللغة العربية لم يكن قاصراً على نشرها في الديار المصرية او ما جاورها من البلاد العربية لكنه شمل سائر البلاد الاسلامية فقد كانوا يفدون على مدرسته من بلاد الترك والمغرب والشركس واليمن وزنجبار والهند وافغانستان وغيرها . وقد رغب الناس فيه لانهُ كان يعلم الطلبة مجاناً ويقوم بنفقاتهم من الطعام واللباس والمأوى

وكانوا يجعلون في كل جامع خزانة كتب للمطالعة او الاستنساخ

على ان التعليم لم يكن خاصاً بالمساجد فكثيرًا ما كانوا ينشئون حلقات التدريس في المارستانات او الربط او المنازل او غيرها . وكان الاغنياء اذا ارادوا تعليم اولادهم احضروا المعلمين الى منازلهم كذلك كان يفعل الخلفاء والامراء ولا يزال اهل الوجاهة يفعلون ذلك الى اليوم

وكانت مصر في القرن الأول للهجرة ولاية من الولايات المملكة الاسلامية تابعة للمدينة او دمشق أو بغداد فكان التعليم فيها ثانوياً ودخل القرن الرابع للهجرة وليس في عاصمتها الا جامعان جامع عمرو وجامع ابن طولون تلقى فيهما العلوم الاسلامية على مذهب اهل السنَّة لانها كانت تابعة للدولة العباسية . فلما تغلب الفاطميون على مصر في اواسط ذلك القرن وانتقلوا اليها بنوا مدينة القاهرة وأنشأوا فيها مسجداً يعلمون فيه مذهبهم « الشيعة » وللازهر تاريخ طويل هاك خلاصته :

١ ــ الازهر ومدرسته

بنى الازهر القائد جوهر فاتح مصر للخلفاء الفاطميين في أواسط القرن الرابع للهجرة وكان الغرض الاول من بنائه اقامة الشعائر الدينية وتأييد مذهب الشيعة العلوية لاختلاط السياسة بالدين في الدولة الاسلامية من ذلك العهد (١) وكانت هذه الشيعة قد قاست الامرَّين تحت سلطة العباسيين من قتل ونفي فلما تأتى لها ان تغلبها على مصر جعلتها عاصمة دولتها وانشأت القاهرة معقلاً لجندها والجامع الازهر لتأييد مذهبها لان العامة لا تحكم بمثل الدين . وكان المصريون يومئذ على مذهب الامام الشافعي لان هذا الامام قضى أخريات ايامه بمصر ومات فيها وقبره مشهور في ضواحي القاهرة . وكان الفاطميون يعترفون بهذا المذهب أيضاً واما العباسيون فكانوا على مذهب ابي حنيفة . فتوافق الفاطميون والمصريون في المذهب فهان على الفاتحين تأييد سلطانهم وتوسيع دائرة نفوذهم فقربوا الفقهاء والعلماء واستقدموهم من سائر اقطار العالم الاسلامي واجروا عليهم الارزاق وفرقوا فيهم الاموال . وكانت أكثر مجالسهم تعقد في الازهر على عادة الفقهاء في ذلك العهد فتزاحمت فيه الاقدام وكانوا كلما ضاق بهم وسعوه بابنية ينشئونها بجانبه و يوسعون دوره حتى اصبحت سعته الآن نحو ١٢,٠٠٠ متر مربع وكانت اقل من نصف ذلك . وتضاعفت اساطينه مرار

(١) تاريخ التمدن الاسلامي ١٧٩ ج ٤

صناعة الانشاء	الجغرافيا
اللغة متنًا وأدبًا	علوم عقلية
مبادىء الهندسة	الخط

ولو راجعت اسماء الكتب التى تعلم هـذه العلوم بها لرأيت اكثرها قديمًا يحتاج الى تعديل حتى يوافق روح العصر

على ان ما بذله المرحوم الشيخ محمد عبده في سبيل ترقية الازهر وان لم يأت بالثمر المطلوب فانه قد نبّه اذهان الطلبة لمطالعة كتب التاريخ والطبيعيات وغيرها من العلوم الحديثة . فالعقلاء منهم يطالعون تلك العلوم بانفسهم أو يقرأونها على اهلها . ونشأ في تلامذة الازهر حرية البحث وحب الاطلاع والتمييز بين النافع وغير النافع من العلوم . فكأن الشيخ رحمه الله هذب نفوسهم ورقى اخلاقهم وعلمهم كيف يتعلمون ريثما يتم هـذا الاصلاح رسميًا في قوانين هذه المدرسة

٣ — طلبة الازهر ورواقاته

وتلامذة الازهر الآن يزيدون على عشرة آلاف تلميذ يقسمون الى فرق باعتبار المواطن وتقيم كل فرقة بمسكن مؤلف من غرف يعبرون عنه بالرواق . والاروقة في الازهر ٢٧ رواقًا منها ١١ لاهل القطر المصري تقسم باعتبار البلاد أو المذاهب على هذه الصورة :

(١)	رواق الصعايدة	يسكنه اهل الصعيد
(٢)	« البحيرة	
(٣)	« الفيومية	
(٤)	« الطيبرسية	كان يسكنه بعض اهل مديرية الغربية
(٥)	« الاقبغاوية	يسكنه اهل الغربية والمنوفية
(٦)	« الحنفية	« الاحناف من اهل مصر
(٧)	« الفشنية	« الفشن
(٨)	« ابن معمر	« من لم يكن له جهة مخصوصة
(٩)	« الشراقوة	لاهل الشرقية
(١١)	« الحنابلة	« الحنابلة من اهل مصر
(١١)	« العباسي	هو مؤلف من عدة اروقة

فضلاً عن امتيازه بمهارة الاساتذة . فكان اعظم العلماء المسلمين في الاجيال الاسلامية الوسطى انما ينبغون من مدرسة الازهر . وكان لمتخرج من هذه المدرسة مزية وفضل على المتخرجين من سائر المدارس الاسلامية

وما زالت علوم الازهر قاصرة على الدين واللغة الى الوثبة الثانية من هذه النهضة بعد الحوادث العرابية اذ اهتم العقلاء من ولاة الامور بادخال بعض العلوم الحديثة ونحوها مما لا غنى عنه في مجاراة تيار التمدن في هذا العصر . ولكنهم خافوا ان يفاجئوا الناس بهذا الاصلاح لما رسخ في اذهانهم من آثار العصور المظلمة من تقبيح العلوم الطبيعية وما يبنى عليها واتهام اصحابها بالكفر . فرأت الحكومة ان تمهد ذلك بفتوى من كبار الفقهاء فاستفتت المرحومين الشيخ محمد الانبابي شيخ جامع الازهر والشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في « هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف » فاجاب الشيخ الامبابي جواباً مؤرخاً في اول الحجة سنة ١٣٠٥ هـ خلاصته جواز تعليم تلك العلوم مع بيان النفع من تعلمها وصادق الشيخ البنا على هذه الفتوى بتاريخ ٧ منه

ثم نهض المرحوم الشيخ محمد عبده لاصلاح الازهر في هذا السبيل كما هو مشهور . ومع هذا وذاك لم يدخل من هذه العلوم الاّ بعضها ومن عهدٍ غير بعيد . واليك جدول العلوم التي تعلم في الازهر الآن وهي تقسم الى وسائل ومقاصد . اما الوسائل فهي :

النحو	مصطلح الحديث
الصرف	الحساب
المعاني	الجبر
البيان	العروض
البديع	القافية
المنطق	

والمقاصد يراد بها العلوم التي يرجى الوصول اليها بعد التمكن من الوسائل وهي :

علم الكلام	اصول الفقه
علم الاخلاق الدينية	تفسير القرآن
الفقه على المذاهب الاربعة	الحديث

كل هذه العلوم كانت تعلم في الازهر قبل هذه النهضة فاضافوا اليها العلوم الآتية

واكثر هؤلاء الطلبة من المصريين لان الغرباء لا يزيدون على $\frac{1}{17}$ من مجموعهم على هذه الكيفية :

عدد	
٩,٧٥٨	الطلبة المصريون
٢٦٤	« الشوام
١٢٠	« المغاربة
١٠٤	« الاتراك
٥٧	« السودانيون على الاجمال
٤٥	« البرابرة
٩	« الاكراد
٧	« الحجازيون
٧	« الجاويون
٦	« الاحباش
٥	« الافغانيون
٣	« الهنود
٢	« البغداديون
١٠,٤٠٣	المجموع

ويقسم التعليم في الازهر الى ثلاث درجات ابتدائية وثانوية وانتهائية كما يستدل من الشهادات التي ينالها الطلبة وهي ثلاث : الاولى شهادة المعافاة ينالها من اقام في الازهر ثلاث سنوات وقدم الامتحان اللازم ٠ والثانية الشهادة الاهلية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ثماني سنوات على الاقل ويقدم الامتحان وهي الشهادة الاصلية التي كانوا يعطونها قبل ادخال النظام الجديد والغرض منها ايجاد ائمة للجوامع وخطباء لهم اطلاع على احكام الدين ويجوز تعيين اصحاب هذه الشهادة في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة وليس لهم حق التدريس في الازهر ٠ والثالثة شهادة العالمية ينالها الطالب بعد ان يقضي في الازهر ١٢ سنة ويجوز لحاملها التعليم في الازهر

ومع كثرة طلبة الازهر لا ينال شهاداته في العام الا نفر قليلون لان اكثر الطلبة

وما بقي من الاروقة يقيم فيها الطلبة الوافدون على القطر المصري من الخارج ويعرف كل منها باسم اصحابه وهي :

(١)	رواق الحرمين الشريفين	لاهل الحجاز
(٢)	« دكارنة دارفور	« دارفور من السودان
(٣)	« الشوام	« الشام
(٤)	« جاوى	« جاوى وما جاورها
(٥)	« السليمانية	« لاهل افغانستان
(٦)	« المغاربة	« المغرب
(٧)	« السنارية	« سنار بالسودان
(٨)	« الاتراك	الاتراك
(٩)	« الدكارنة البرناوية	لاهل بورنو في السودان
(١٠)	« الجبرت	الاحباش المسلمين
(١١)	« اليمن	لاهل اليمن وحضرموت
(١٢)	« الاكراد	للاكراد
(١٣)	« الهنود	لاهل الهند
(١٤)	« البغدادية	« العراق
(١٥)	« دكارنة صليح	« صليح بالسودان
(١٦)	« البرابرة	« النوبة

وتختلف هذه الاروقة سعة باختلاف اهلها على ان اكبرها رواق الاتراك ورواق الشوام ورواق المغاربة والصعايدة ٠ واكثر الطلبة على مذهب الامام الشافعي ٠ ويؤخذ من خطاب تلاه مصطفى بك بيرم في مؤتمر اللغات الشرقية المنعقد في همبورغ سنة ١٩٠٢ عن مدرسة الازهر ان عدد الطلبة فيها لذلك العام بلغ ١٠,٤٠٣ تلامذة ينقسمون على المذاهب كما يأتي :

٤,٥٦٩	شافعية
٢,٩٥١	حنفية
٢,٦٥٤	مالكية
٢٩	حنابلة

في اوربا . فلاقى من جنده الالباني مقاومة شديدة لان ذلك النظام يذهب باهميتهم ويضعف نفوذهم . فرأى ان ينفذ مشروعه بعيداً عنهم فانتخب اكبر اولئك المماليك وارسلهم الى الصعيد يتعلمون النظام العسكري الحديث على اساتذة من الافرنج . وعلم ان هؤلاء التلامذة لا يلبثون ان يصيروا جنداً فتفرغ اماكنهم في تلك المدرسة فانشأ في قصر العيني بمصر القديمة سنة ١٨٢٥ مدرسة اعدادية سماها المدرسة التجهيزية الحربية ادخل فيها نحو ٥٠٠ غلام بعضهم من صغار المماليك والبعض الآخر من ابناء الاتراك والاكراد والالبانيين والارمن واليونان وغيرهم ممن كانوا في خدمته وليس فيهم وطني واحد . فكانوا يعلمونهم القرآن والنحو وآداب اللغة التركية والفارسية والعربية واما لغة التعليم فهي التركية . ونظراً لانهم ينوون ادخالهم المدرسة الحربية فكانوا يعلمونهم مبادئ الحساب والهندسة والجبر والرسم واللغة الايطالية لان اكثر اساتذة المدرسة الحربية كانوا يومئذ من الايطاليان

واستبطأ محمد علي ثمار هذه المدرسة لرغبته في سرعة تنظيم الجند فاوفد جماعة من اولئك المماليك الى ليفورن وميلان وفلورنسا ورومية لدرس الحركات العسكرية وبناء السفن والطباعة والهندسة وغيرها من الفنون الحربية — اشار عليه بذلك الاساتذة الايطاليان . ثم ارسل غلماناً آخرين الى انكلترا لدرس الميكانيكيات وسلك الابحر ونواميس السائلات . ولما تحقق فوزه بتنظيم الجند احسَّ بحاجته الى مدرسة طبية تخرج الاطباء لمعالجة الجند فانشأها سنة ١٨٢٥ واختار تلامذتها من الوطنيين ابناء الارياف أو تلامذة الازهر خلافاً للمدرستين التجهيزية والحربية

وتعجيلاً لثمار سعيه في اعداد الجند المنظم واطبائه أوفد سنة ١٨٢٦ اربعين من تلامذة المدرستين التجهيزية والطبية الى فرنسا لاتقان الفنون الحربية والطب والادارة الملكية والعسكرية وغير ذلك مما يحتاج اليهِ في ادارة حكومته ويفتقر فيهِ الى استخدام الافرنج لاقتصار الوطنيين الى ذلك الحين على درس العلوم الازهرية وهي يومئذٍ قاصرة على العلوم الدينية واللسانية كما تقدم . وارسل ارساليات أخرى فأفلحت ونبغ منها جماعة من العلماء والاطباء اشتهروا في تاريخ مصر الحديث وتولى بعضهم المناصب التي كان يتولاها الافرنج

هذه اول خطوة خطاها محمد علي في سبيل هذه النهضة وغرضه في الاصل عسكري سياسي مرجعه الى تربية ضباط وصف ضابطان يحسنون الفنون العسكرية على النظام

يخرجون منه قبل اوان الامتحانات ولا يتقدم للامتحان غالباً الا الراغبون في خدمة الحكومة بالقضاء الشرعي او التدريس · على ان عدد المتقدمين للامتحان يزداد كل عام

والمدرسون في الازهر ثلاث درجات عددهم جميعاً ۲٥٥ مدرساً ولكل درجة علوم يدرسونها · ويقسم المدرسون بالنظر الى المذاهب على هذه الصورة :

۱۰۰ من الشافعية
۷۷ « المالكية
۷٦ « الحنفية
۲ « الحنابلة

وكان مشائخ الازهر يتصرفون في شؤونه من تلقاء انفسهم الى عهد غير بعيد فشكلت الحكومة سنة ۱۳۱۲ هـ مجلساً سمته مجلس ادارة الازهر مؤلفاً من خمسة اعضاء تنتخبهم من كبار العلماء ويكون شيخ الازهر رئيساً عليهم عند الاجتماع للمداولة · ولهذا المجلس النظر في ادارة شؤون الازهر علمياً وادبياً ومالياً · وفي الازهر مكتبة فيها ۲۰,۰۰۰ مجلد

ثالثاً النهضة الحديثة

ان مؤسس هذه النهضة محمد علي باشا الكبير وقد سيق الى ذلك باسباب طبيعية اجتماعية اقتضتها احواله السياسية على ما نبينه :

۱ ـــ المدرسة الحربية

تولى محمد علي ولاية مصر سنة ۱۸۰٥ هـ وصادق الباب العالي على ولايته وظل مع ذلك خائفاً من المماليك لئلا تسنح لهم فرصة يثبون بها عليه كما كانوا يفعلون مع سواه من قبل فسبقهم وفتك بهم بقلعة القاهرة سنة ۱۸۱۱ وقبض اموالهم واملاكهم واباح نساءهم وبيوتهم كما هو مشهور · وكان في جملة ما قبضه من اموالهم عدد كبير من صغار المماليك الشراكسة فانتقى اكبرهم سناً جعلهم في جملة الجند المولج بحراسته في قصره واستبقى صغارهم في القلعة يتربون فيها على جاري العادة في تربية الغلمان المماليك عند الامراء في ذلك العهد استعداداً للخدمة العسكرية او غيرها · فكانوا يحفظونهم القرآن ويعلمونهم الخط واللغة التركية والرياضة البدنية والحركات العسكرية وركوب الخيل

وكان محمد علي كبير المطامع لا يقنع بالولاية فحدثته نفسه يوماً بتوسيع دائرة سلطانه وعلم ان ذلك لا يتأتى له الا بجند منظم فعزم سنة ۱۸۱٦ ان يؤلف جنداً على النظام المتبع

مدرسة باريس والبعض الآخر من الفرنساويين فلا غرو اذا ساروا في التعليم على طرق فرنساوية ونشطوا اللغة الفرنساوية وكان من جملة ما حملوه معهم من اوربا او تولد فيهم بعد الاطلاع على تواريخ الامم ان ينشئوا في مصر دولة اسلامية عربية تقابل الدولة الاسلامية التركية وكانت الحرب قائمة بينهما في الشام وما وراءها

فلما تألف ديوان المدارس وتحقق اعضاؤه حاجة الجيش الى ضباط لم يروا مندوحة عن الاستعانة بالوطنيين فاستأذنوا محمد علي في الاكثار من المصريين في المدارس وكانوا الى ذلك الحين لم يدخلوا منهم الا عدداً قليلاً فاذن لهم . فانشأوا مدارس ابتدائية وثانوية في انحاء القطر المصري على نمط المدارس الفرنساوية وهذه العلوم التي كانوا يعلمونها فيها :

القرآن	مبادىء الحساب
الخط	« التاريخ
اللغة العربية	« الجغرافيا
« التركية	الرسم
« الفرنساوية	

ونظراً لتغلب العنصر العربي في هذه المدارس جعلوا التعليم كله في اللغة العربية واستقدموا لها الاساتذة في بادىء الرأي من تلامذة الازهر لتعليم القرآن واللغة واستعانوا بالمتقاعدين من ضباط الجيش القديم المتخرجين في اوربا لتعليم مبادىء العلوم . ثم نشأت طائفة من الاساتذة المبرزين في العلم — على ان روح الازهر ظلت سائدة عليها كلها مدة طويلة

ولم تمض بضع سنوات حتى اصبحت المدارس التابعة للديوان المذكور سبعين مدرسة منها ١٦ مدرسة كبرى وهي :

مدرسة الموسيقى العسكرية	تأسست	سنة	١٨٢٤
المدرسة الحربية في قصر العيني	»	»	١٨٢٥
مدرسة الطب والصيدلة	»	»	١٨٢٧
« الكيمياء العملية	»	»	١٨٢٩
« المشاة	»	»	١٨٣١
« الفرسان	»	»	١٨٣١

الحديث وتخريج الاطباء يعالجون الجنود و يديرون المستشفيات العسكرية في الحرب وتدريب آخرين على ادارة سائر الشؤون العسكرية . وكان من أقوى رغائبه ان يجعل مصالح الدولة وسائر اعمالها في ايدي ابنائها و يستغني عن الافرنج — و يدلك على شدة رغبته في ذلك انه لما عادت ارسالية الاربعين سنة ١٨٣٤ وقد اتموا دروسهم استقبلهم استقبالاً خصوصياً اقترح فيه على كلٍّ منهم ان يترجم كتاباً في الفن الذي تعلمه وسلم اليهم الكتب اللازمة باللغة الفرنساوية وامرهم ان يقيموا في القلعة حتى يفرغوا من العمل . فمكثوا هناك ثلاثة اشهر ولم يخرجوا حتى اتموا الترجمات فامر محمد علي بطبعها في مطبعة بولاق وكان قد انشأها منذ بضع عشرة سنة فطبعوها وفرقوها في اساتذة المدارس وتلامذتها

٢ — ديوان المدارس

ورأى محمد علي جنده يزداد يوماً عن يوم بما أعوزه من التجنيد لحروبه في المورة والشام مع قلة الضباط المدربين ولم يعد يستطيع الحصول على ما يكفيه من الشبان الشراكسة لما يحتاج اليه من الضباط ولا هو واثق بابناء المولدين من الاوروبيين ونحوهم ففكر في توسيع دائرة التعليم للاستعانة على التجنيد بتلامذة المدارس . وكانت المدارس لا تزال تابعة للعسكرية فاغتنم رجوع جماعة من طلبة احدى الارساليات من أوربا سنة ١٨٣٦ وانشأ مجلساً خاصاً بالمدارس سماه ديوان المدارس برئاسة مختار بك أحد الطلبة القادمين من اوربا وهاك اسماء اعضاء ذلك المجلس :

كلوت بك

كياني بك

ارتين بك (والد يعقوب باشا ارتين)

هكيكيان بك

وارين بك

رفاعه بك

بيومي افندي

لامبر

هامون

دوزول (سكرتير)

فترى ان بعض هؤلاء الاعضاء من ابناء المصريين والارمن ممن تخرجوا في

٣ ــ المدرسة المصرية في باريس

ولما افضت ولاية مصر الى ابنه ابراهيم توقع الناس تغييراً في التعليم لانه كان قد اعدّ اصلاحاً مهماً على اثر رحلته في اوربا • ولكن الاجل عاجله قبل مباشرة العمل • وكان ديوان المدارس قد نظر منذ تأسيسه سنة ١٨٣٦ في التعليم العالي وقرر عجز مصر عن القيام به لسببين : الاول خلوها من اساتذة قادرين على تدريس العلوم العالية والثاني خلو اللغة العربية من الكتب اللازمة لهذه العلوم ــ وهي العقبة التي ستعترض اللجنة التحضيرية للمدرسة الكلية المصرية متى اقرّت على تعليم العلوم باللغة العربية — ولهذين السببين قررت الحكومة الاستمرار على ارسال التلامذة الى اوربا للتخرج بالعلوم العالية • ولكنها اصبحت لا ترسل غير النجباء المتخرجين من المدارس الكبرى • ولم يكن بدٌّ للتلامذة المشار اليهم من معرفة لغة البلاد التي سيتمون علمهم في مدرستها فانشأوا لهذه الغاية مدرسة مصرية في باريس يديرها رجل مصري اسمه اسطفان بك معه وكيل ارمني اسمه خليل افندي حراكيان • واما الاساتذة فعينتهم نظارة الحربية الفرنساوية من ضباط جندها

فارسلت الحكومة المصرية الى هذه المدرسة نحو اربعين طالباً فيهم جماعة من امراء العائلة الخديوية وفي جملتهم البرنسان حليم وحسين ابنا محمد علي والبرنسان احمد واسماعيل (الخديوي) ابنا ابراهيم • واتفق ان ابراهيم باشا مرّ بتلك المدرسة في اثناء سياحته باوربا ومعه سكرتيره نوبار باشا فاعجب بنجاحها من حيث التعليم ولكنه انتقد تقصيرها في التربية لان التلامذة كانوا يرسلون اليها وهم في حدود الشباب فارتأى ان يأتوها وهم صغار بين الثامنة والتاسعة من العمر ليتعلموا ويتثقفوا معاً • وعزم انه حالما يرجع الى مصر يأمر رجاله جميعاً بارسال اولادهم الى هذه المدرسة وهم احداث • ولكن المنية عاجلته والثورة الفرنساوية آلت الى اقفال المدرسة سنة ١٨٤٨ ثم امر اسماعيل باشا بعد عودته من اوربا سنة ١٨٦٧ باعادتها وارسل اليها نحو اربعين تلميذاً لكنها اقفلت سنة ١٨٧٠ بسبب الحرب بين فرنسا و بروسيا • ولم تعد الحكومة المصرية الى مثل هذا المشروع • على انها ما زالت ترسل التلامذة لاتمام علومهم في مدارس فرنسا وغيرها ولا سيما على عهد الخديوي السابق فانه ارسل نجليه الاميرين عباس (الخديوي الحالي) ومحمد علي الى احدى مدارس سويسرا سنة ١٨٨٤ ثم انتقلا الى فينا فاقتدى الناس باميرهم وساروا في ذلك على رأي ابراهيم باشا

اما التعليم بمصر على العموم فاصابه بعد وفاة ابراهيم وولاية عباس الاول صدمة قوية

مدرسة الطبجية	تأسست	سنة	١٨٣١
« البحرية	»	»	١٨٣١
« طب الحيوان	»	»	١٨٣١
« التعدين	»	»	١٨٣٤
« الهندسة	»	»	١٨٣٤
« الزراعة	»	»	١٨٣٧
« الولادة	»	»	١٨٣٧
« الادارة الملكية والحسابات	»	»	١٨٣٧
« الالسن والترجمة	»	»	١٨٣٧
« الصنائع والفنون	»	»	١٨٣٩



رفاعة بك اول ناظر لمدرسة الالسن

وبلغ عدد التلامذة في المدارس كلها نحو ٩,٠٠٠ تلميذ تنفق الحكومة على تعليمهم ولبسهم وطعامهم وسكنهم • والسبب في مكابدتها الانفاق عليهم ان معظمهم في الاصل من غلمان المماليك فهم ملك الحكومة وهي بالطبع مكلفة باعالتهم فلما استكثرت الحكومة من التلامذة الوطنيين عاملتهم تلك المعاملة فجعلت تعليمهم مجاناً • ولم يكن لها بدٌّ من ذلك لانهم كانوا يدخلون تلك المدارس رغم ارادتهم وهم يكرهون التعليم فيها كما كانوا يكرهون الجندية • وظلّ ذلك شأن التعليم بمصر الى آخر ايام محمد علي سنة ١٨٤٨

فترى مما تقدم ان الغرض الاصلي الذي كان يقصده محمد علي باشا من التعليم انما هو اخراج رجال يقودون الجند ويديرون شؤونه وموظفين يتولون ادارة الحكومة وحساباتها • ثم اتسعت الغاية وشملت ترقية شؤون البلاد بالعلم والصناعة بما انشأه من المدارس والمعامل وغيرها • فلما افضت الامور الى عباس باشا الاول وسعيد باشا تعطلت المدارس والمعامل فيجدر بنا ان نقتطع ايام هذين الامرين (من سنة ١٨٤٨ — ١٨٦٣) من تاريخ هذه النهضة • وما زالت المدارس معطلة الى ولاية اسماعيل

٤ — توسيع التعليم في ايام اسماعيل

تولى اسماعيل باشا سنة ١٨٦٣ وليس في مصر الا مدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية ومدرسة حربية ومدرسة طبية صيدلية وكانت هذه المدارس في حالة يرثى لها من الاختلال والتضعضع فامر بتنظيمها وعهد بذلك الى ادهم باشا وكان قد تولى ديوان المدارس بعد مختار بك سنة ١٨٣٩ الى سنة ١٨٤٩ ففوض اليه احياء التعليم مهما كلفه احياؤه • فانشأ في ناحية العباسية مدرسة ابتدائية ومدرسة تجهيزية ومدرسة حربية للفرسان والمشاة ومدرسة هندسية ومدرسة للطب • واستقدم للمدرسة الحربية مديراً واساتذة من اوربا وعهد بالمدارس الاخرى الى اساتذة من الوطنيين المتخرجين في فرنسا • ولو امعنت النظر في الاحوال السياسية التي كانت محيطة باسماعيل لرأيته أنشأ هذه المدارس لمثل الغرض الذي انشأها لهُ جدهُ محمد علي منذ اربعين سنة • لان عنايته الكبرى كانت متجهة على الخصوص الى المدارس الحربية والى ما يهيء رجالاً يخدمون حكومته • واقتدى بجده ايضاً في ارسال الشبان الى اوربا لاتمام علومهم

وسهل اسماعيل قدوم الاجانب الى مصر ورغبهم فيها فانشأوا المدارس على ما يلائم اغراضهم ولكنها عادت بالنفع على الشبيبة المصرية • وكثيراً ما كانت الحكومة تنشط هذه المدارس بالرواتب السنوية • وحدث في ايام اسماعيل نهضة ادبية بمن وفد على مصر من رجال الادب من كل الطوائف وانشئت الصحف وتألفت الجمعيات • فرأى الحال ماسة الى زيادة العناية في التعليم فأنشأ نظارة المعارف العمومية وعهد اليها بتنظيم المدارس على نمط جديد • فالحقوا المدرسة الحربية بنظارة الحربية وسموا ما بقي من المدارس « المدارس الملكية » تحت نظارة المعارف العمومية وقسموها الى ثلاث طبقات باعتبار درجة التعليم : ابتدائية وثانوية وعليا وأنشأوا مدارس لم تكن من قبل كمدرسة الادارة ثم صارت مدرسة الحقوق ومدرسة دار العلوم ومدرسة الصنائع والفنون في بولاق

ارجعته القهقرى . لأن هذا الامير اقفل المدارس كلها الا واحدة سماها المدرسة المفروزة لتخريج الضباط البرية والبحرية — حتى مدرسة الطب فانه استبدلها بمدرسة بسيطة لاخراج الاطباء للجيش فقط . وكان يختار من تلامذة هاتين المدرستين جماعة يرسلهم الى اروبا لاتمام دروسهم كما كان يفعل جده محمد علي

وجاء بعده سعيد باشا ولم يكن اكثر رغبة من سلفه في التعليم وكان مع ذلك متقلباً ينشيء المدرسة ثم يامر باقفالها ثم يفتحها و يقفلها على ما يبدو له او تمس الحاجة اليه او تبعث الحالة عليه . وكان عباس الأول لما اقفل المدارس استبقى ديوانها فاجهز سعيد باشا على ما بقي وحلّ ذلك الديوان وما زال محلولاً حتى اعاده اسماعيل



الدكتور كلوت بك مؤسس مدرسة الطب المصرية

يتغلب على سائر العناصر الاجنبية • وقد رأيت كيف تعاقب النفوذ الاجنبي على المعارف المصرية منذ تأسيسها الى الآن فقد كان النفوذ الغالب في اول انشائها للايطاليان ثم صار للفرنساويين وهو الآن للانكليز • وكان التعليم اولاً باللغة التركية ثم صار مشتركاً بينها وبين الايطالية ثم صار باللغة العربية بالاشتراك مع الفرنساوية وهو الآن باللغة الانكليزية

اما من حيث التعليم بالنظر الى النهضة العربية فقد بلغ ارقى حالاته في اوائل حكم المغفور له الخديوي السابق مع افتقاره يومئذ الى اصلاح وتعديل — كما يظهر ذلك من تقرير اللورد دفرين الذي كتبهُ عن مصر سنة ١٨٨٣ على اثر الحوادث العرابية فقد جاء في كلامه عن المعارف العمومية ما ترجمته :

« فالمدارس الموجودة الآن في الديار المصرية تنقسم الى ثلاثة انواع

« اولاً الجامع الازهر وهو يشتمل على ثمانية آلاف من الطلبة يقرا ون على ثلاثمائة استاذ تقريباً علم الكلام والفقه والنحو والمنطق وآداب اللغة العربية

« ثانياً المدارس التي انشأها الاجانب في مصر ومرسلوهم وعددها ١٥٢ مدرسة تشتمل على ١٢,٣٤٧ طالباً منهم ٦,٤١٩ او ٥٢ في المائة من المصريين وتستولي بعض هذه المدارس على اعانة مالية من خزينة الحكومة

« ثالثاً مدارس الحكومة وهي تنقسم الى اربع درجات كما يأتي :

« (١) المدارس الابتدائية وعددها ٥,٣٧ وتشتمل على ١٣٧,٥٥٣ طالباً وذلك عبارة عن واحد من اربعين من عدد سكان القطر . وهذه المدارس مبنية في جميع مدن القطر وقراه تعلم فيها القراءة واستظهار القرآن ويعلم في البعض منها شيء من الحساب والخط

« (٢) المدارس الثانوية وعددها ٢٧ مدرسة وتشتمل على ٤,٦٦٤ طالباً ومن هذه المدارس واحدة في القاهرة نفقاتها في ميزانية نظارة المعارف وعدد الطلبة فيها ٦٤٨ طالباً وهي انموذج سائر ما انشيء من المدارس وما في النية انشاؤُه في المدن والبنادر . ومدة التعليم فيها اربع سنين اذا انقضت اعتبر الطالب انه نال البغية من التمكن في قراءة القرآن والكتابة العربية والحساب وفي السنة الاخيرة يتلقى مبادىء التاريخ والجغرافية ومبادىء لغة اجنبية من اللغات الفرنسوية والانكليزية والالمانية حسب اختياره ويتعلم الخط الاوربي ايضاً . وتؤخذ الطلبة للمدرسة التجهيزية من تلك المدرسة . ثم تؤخذ الطلبة لمدارس الصنائع والفنون من المدرسة التجهيزية . واما بقية المدارس الثانوية فنفقاتها من ايرادات بعض اطيان في الوادي ومن نظارة الاوقاف والهبات الخصوصية

ومدرسة المعلمين واعادوا مدرسة الالسن لتخريج شبان يتولون الترجمة والتحرير في الدواوين . اما التعليم العالي فظل محصوراً في المدرسة التجهيزية



علي باشا مبارك وزير المعارف المصرية

ولم يمضِ عشر سنوات من حكم اسماعيل حتى كمل نظام هذه المدارس وعنيت الحكومة بانشاء الكتاتيب في سائر انحاء القطر فبلغ عددها بضعة آلاف وزاد عدد التلامذة على مئة الف وفي جملتها مدارس للبنات . غير ما أنشأه الاجانب من المدارس الخصوصية وأكثرها لجماعة المرسلين من الطوائف النصرانية

تلك كانت حال المعارف لما اقيل اسماعيل وتولى مصر المغفور له الخديوي السابق سنة ١٨٧٩ وظلت تلك النهضة سائرة رغم ما اعترضها من الحوادث العرابية وان كانت هذه الحوادث قد غيرت خطتها بتغيير جهة سياستها فاخذ العنصر الانكليزي بعد الاحتلال

الهند وسكانها

١ — تاريخ الهند القديم وسكانها الاولون

كانت الهند مهد الحضارة وحلبة لسباق اجيال البشر ومقرًّا للعلم والحكمة فكأن تاريخها موجز تاريخ البشرية · وقد وطئت الهند اقدام الفاتحين من كل الامم تقريباً الاَّ الروس وهم يهددونها كل حين ولا نعلم ما يصير اليهِ امرها وامرهم

واول من سكن بلاد الهند على ما يتبين من الآثار اهل العصر الحجري القديم وقد خلَّفوا ادوات غير متقنة من الصوان والعقيق وجدت مدفونة مع بقايا الافيال وخيول البحر البائدة · وجاء بعد هؤلاء اهل العصر الظرّي ولم يكونوا يعرفون شيئًا عن المعادن ثم عقبهم قبائل اخرى قبل زمن التاريخ بقليل ومن آثارهم دوائر من الحجر الخشن وانصاب من الحجارة وقبور وجدوا فيها ادوات من الحديد واواني من الخزف وحلى من النحاس والذهب ونقبوا في بعضها عن نقود رومانية ولم يخلّف هؤلاء الاقوام من الآثار غير ما ذكر فيستحيل تعيين جنسهم

وفي اول فجر التاريخ نزل الآريون الهند من الشمال الغربي فحاربوا السكان الاصليين وكانوا يترفعون عنهم لما آنسوه من افضليتهم في الجمال وحسن اللون فسموا الاصليين عبيداً لكن كثرة هؤلاء منعت الغزاة من اجتياحهم واستئصالهم فاختلط الفريقان ويقدَّر ان نحو خمسة اسداس سكان الهند خلاسيون من هذين الجيلين

وكان الآريون الغزاة اقوياء البنيـة اذكياء العقول أرقى من الهنود الاصليين فكانوا يقتنون المواشي ويزرعون الحبوب ويطبخون اطعمتهم ويخيطون اثوابهم وكانوا يستعملون اواني المعدن وهم اقارب سكان اوربا كما يتضح من المماثلة العظيمة بين لغتهم السنسكريتية ولغات هذه القارَّة

واخذ الآريون ينتشرون في الهند على تمادي الزمان فامتدوا الى البنجاب وسفح جبال حملايا ووادي الغنج ولهم كتاب اشعار يسمونهُ « فيدا » يتضمن وصف رحلاتهم وانتقالهم منذ احتلالهم الهند حتى وصولهم الى وادي الغنج · وفي القرن الثاني قبـل المسيح نزلوا في جنوبيّ البلاد

ولم يكونوا في تلك العصور يفرّقون بينهم في المراتب فكان رب كل بيت كاهنهُ وزعيم القبيلة كاهنها وكان الزواج بينهم مقدساً والنساء مكرمات ولم يعلم انهـم احرقوا الارامل

« (٣) المدرسة التجهيزية بالقاهرة وهي تشتمل على ٢٩٢ طالبًا وتؤخذ منها الطلبة لمدارس الصنائع والفنون ويمكث الطلبة في هاته المدرسة اربع سنين يتلقون لغة اجنبية واللغة العربية والرياضيات والطبيعة والكيميا والتاريخ الطبيعي والتاريخ العام والجغرافية والخط العربي والافرنجي والتصوير وقد جعل في ست من المدارس الابتدائية فرقة تتلقى فيها علوم المدرسة التجهيزية مدة سنتين

« (٤) مدارس الفنون والمهن العلمية وهي :

« (ا) مدرسة الطب وفيها ١٧٦ طالبًا ويتبعها مدرسة الصيدلة وطلبتها سبعة ومدرسة القوابل وطلبتها ٢٦ (مديرها فرنسوي)

« (ب) مدرسة الهندسة وطلبتها ٥٠

« (ج) مدرسة المساحة وطلبتها ٣٩

« (د) مدرسة العمليات وطلبتها ٥١ (مديرها فرنسوي)

« (ه) مدرسة الادارة وطلبتها ٣٧ « «

« (و) مدرسة المعلمين وطلبتها ٦٠ « «

« (ز) مدرسة الصناعة . وهي تابعة لمدرسة العمليات وطلبتها ٧٩ يؤخذون من طلبة المدارس الابتدائية الذين لم يظهر فيهم الاستعداد لتلقي الدروس العالية

« (ح) مدرسة العميان والخرس وطلبتها ٧٥ من الذكور والاناث

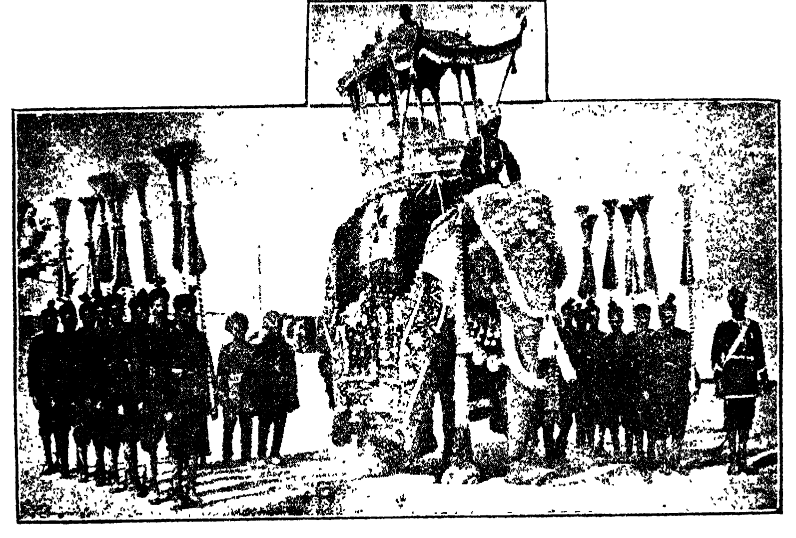
« (ط) مدرسة البنات وقد كان للبنات في ما مضى مدرستان احداها لبنات الاعيان والاخرى لبنات سائر العائلات وقد جعلت هاتان المدرستان مدرسة واحدة وهي تشتمل على ٣٠٠ طالبة

« (ي) المدرسة الحربية في القاهرة (مديرها فرنسوي)

« (ك) المدرسة البحرية في الاسكندرية » (انتهى)

وظل التعليم في هذه المدارس مجانًا الى سنة ١٨٧٤ فارادت الحكومة ان تجري على سنة سائر الامم فتفرض على التعليم جعلاً لان السبب الذي بعث محمد علي على جعله مجانًا قد انقضى بانقضاء عصر الرق وبعد ان كان تلامذة المدارس عند انشائها من غلمان المماليك اصبحوا من ابناء الاحرار وفيهم الوجهاء واهل الثروة . ففرضت الحكومة المصرية على التعليم اجرة طفيفة ولم يتم لها ما ارادته من هذا القبيل الا من عهد قريب اذ أصبح التعليم كله مأجورًا . وسنتكلم عن حال المدارس اليوم في فرصة أخرى

وسنّ الكهنة الشرائع والقوانين ودونوهـا نحو القرن الخامس قبل الميلاد وفيها يحضون البراهمة على متابعة الدرس والعلم و يوجبون على الناس احترام المتعلمين من الكهنة ووضعوا انواع العقاب والحقوق والواجبات وكيفية الحكم في القضايا المدنية وكيفية تمييز الطبقات فلم يؤذن لاحد ابناء الطبقة الواحدة بمخالطة أو موآكلة رجـلاً من طبقة دونه كأن يكون كاهناً فيؤاكل فلاحاً . وهكذا جرى القوم زمناً على ان استبداد البراهمة اشتد فضاق الناس بهم ذرعاً واخيراً وجدوا لهم منفذاً من ربقتهم في الديانة البوذية واليك البيان



احتفال الهنود بالفيل

ان واضع هذا المذهب ابن احد ملوكهم ولد سنة ٥٠٠ قبـل الميلاد وفي التاسعة والعشرين اعتزل في البراري والقفار و بقي هناك سبع سنوات قائماً بالتقشفات والصلوات ولما اكمل مدة احتجابه فرج وهو يرى في طهارة القلب وقمع النجاسة والحسد والبغض والبرّ الذاتي افضل الطرق للخلاص فتسمى بوذه اي المستنير واخذ يطوف البـلاد لينشر تعاليمه ولما كان القوم غير راضين عن مـذهب البراهمة وكان بوذه وقوراً مهيباً حسن الصوت اجتذب اليهِ جمهوراً غفيراً من الانصار والاشياع وفتح باب الرهبنة للنساء من الارامل ومنكودات الحظ . وبالايجاز فانهُ ظلّ يجاهد في مذهبه حتى توفي سنة ٤٨١ ق . م واهله اتباعه وثلث البشر اليوم يدينون بمذهبه

وفي القرن الرابع قبـل المسيح دخل الاسكندر المكدونى بلاد الهنـد غازياً فاخترق

على قبور ازواجهنّ وكانوا يعبدون آلهة تمثـل قوى الطبيعة ومظاهرها كاله السماء واله البحار واله النار واله الانواء وكانوا يحرقون موتاهم لكي يسرعوا في فصل النفس الخالدة عن الجسد والاعتقاد بخلود النفس قديم بينهم



الهنود يحرقون موتاهم

ويتبين من مجموعة اشعارهم المشار اليها (الفيدا) انهـم كانوا يتعاطون الزراعة والتجارة والحدادة والصياغة والنحاسة على ان معظم ثروتهم كانت في المواشي يشربون البانها ويأكلون لحومها ويقدمونها ضحايا للآلهة . وتألف من قبائلهم مدنًا عامرة وممالك لهـا ملوك وامراء وكهنة انقسموا من ذلك العهد الى طبقات

وذلك ان الكهنة كانوا يتولون تقديم الذبائح والضحايا للآلهة فاصابوا حظاً كبيرًا ومقاماً رفيعاً ثم قوي نفوذ الابطال والشجعان فتميزوا عن الفـلاحين واشتدّ النزاع بينهم وبين الكهنة (البراهمة) في اي الطبقتين ارفع مقاماً فكان الظفر لهؤلاء وهم علماء الهند وقادة الافكار فيها فبثوا آراءهم في الشعب فتلقاها بقبول . ومن افضل الادلة على مناسبة ديانتهم لحالة الشعب في الهند ثباتها ثلاثة آلاف سنة

الهند في ايدي البورتغاليين طول القرن السادس عشر وكان زعماؤهم فيها يتقربون الى امراء الهند لكن تهوسهم بالدين حملهم على ارتكاب كثير من الفظائع والمنكرات

وفي اوائل القرن السابع عشر اقتدى الهولانديون بالبورتغاليين واجلوهم عن جميع الهند ما خلا جاوى على ان الهولانديين لم يطيلوا المكث في الهند لما نشأ في قلوب الانكليز من حب الاتجار في تلك الاقطار وما عاينوه من ارباح الهولانديين الفاحشة في تجارة الطيوب والبهارات . ففي سنة ١٦٠٠ اباحت الملكة اليصابات للشركة الهندية الشرقية الاتجار في تلك البلاد فصادفوا مقاومة من البورتغاليين والهولانديين لكن الانكليز لم يبالوا بهم فاسسوا مصنعاً كبيراً في سورات ومنها انتقلوا الى بومباي ثم نالوا الرخصة بالاتجار في ولاية البنغال بعد طرد البورتغاليين منها . وتوفق اطباؤهم لشفاء السلطان شاه جهان من مرض ألمّ به فنالت الشركة حظوة في عينيه ومنحها امتيازات جمة واخذ نفوذ الانكليز ينتشر من مدينة الى مدينة ومن مقاطعة الى مقاطعة . وفي اواخر القرن السابع عشر نشبت الحرب بين امراء الهند فتعطلت متاجر الانكليز بسببها وقبض المسلمون في بعض الاقاليم على المعامل واخربوها وقتلوا الصناع

فلم ترَ الشركة بدًّا من بسط حمايتها على بعض اصقاع الهند وتنظيم الجنود صيانة لحقوقها فكان من ذلك ان شب النزاع بينها و بين تجار الشركة الفرنسوية في الهند التي تاسست سنة ١٦٠٤ وكانت الشركتان في غاية الوئام والاتفاق قبل ذلك ولما ثارت الحرب بين الامتين في اوربا سنة ١٧٤٥ طار شرارها الى الهند فكاد الفرنسويون يطردون الانكليز منها ولكن معاهدة اكس لاشابل سنة ١٧٤٨ اعادت المياه الى مجاريها . ثم قام القائد الانكليزي الشهير كليف فاغار على الفرنسويين والهنود واشتد به ساعد الانكليز فقهر الانكليز الفرنسويين فخرجوا من الهند ولم يبق لهم الاَّ بونديشري

وثابر الانكليز على نشر نفوذهم في الهند وامتدت صولتهم فيها وضخم سلطانهم حتى كانت الفتنة الشهيرة سنة ١٨٥٧ فاوقع الهنود بهم في مواطن كثيرة وثبت الانكليز في بعض المدن ككلكتا ولكناو وغيرها ثبات الابطال وقاوموا ألوف الثائرين ونقم عليهم بعض جنودهم من الوطنيين فشاركوا العصاة وانحاز الى الانكليز جنود السيخ ومدراس و بومباي لكنهم عادوا فانتصروا وعاقبوا من خانهم من الامراء والملوك عقاباً شديداً وارغموا غيرهم على الاعتراف بسلطتهم وخضعت لهيبتهم البلاد . وتبين لحكومة انكلترا ان الشركة لم تعد تستطيع ادارة احكام الهند فاستلمت مقاليدها ونودي بالملكة فيكتوريا امبراطورة

البنجاب وأسس فيها مدائن كثيرة ثم قفل راجعاً قبل ان يبلغ وادي الغنج لكنه عهد بالحكومة في البلاد التي افتتحها الى رجال من خواصه

وأثار السلوقيون خلفاء والاسكندر في سوريا الحروب على الهند فلم يفلحوا في فتحها ولكنهم فرضوا على بعض ملوكها الجزية وفي القرن الثاني قبل المسيح دخل المنغول والسكيثيون الى الهند ففتحوا البنجاب على ان قدمهم لم ترسخ في البلاد لكره الآريين والهنود الاصليين لهم فكان من ذلك ان هؤلاء اغتنموا فرصة الشقاق والتحزبات وانشأوا لهم ممالك وامارات كان الآريون قد استولوا عليها وفي سنة ٧١١ م تغلبت جيوش العرب الامويين على السند ثم طردهم الهنود منها سنة ٧٥٠

ولما تولى السلطان محمود الغزنوي امور خراسان وافغانستان سنة ٩٩٧ م هاجم الهند فاخترقها وتسلط على البنجاب وفي القرن الثاني عشر خلع علاء الدين السلطان واستولى على ملكه وخلفه ابن اخيه السلطان الغوري فملك البلاد من نهر الهند الى نهر برهمبوترا واستولى قائده على سلطنة دهلي وتعاقب الملوك المسلمون من الافغان على الهند الى أواخر القرن الثالث عشر وفيه جاء تيمورلنك غازياً فاكتسح البلاد لكنه لم يطل المكث فيها . وفي سنة ١٥٢٥ غزا بابر شاه الهند وأسس السلطنة المغولية التي ظلت سائدة الى سنة ١٨٥٧ ومن خلفائه حفيده اكبر شاه وهو من مشاهيرهم وشاه جهان حفيد اكبر شاه بنى مدينة دهلي الحديثة وشاد في اكرا صرحاً فخماً اسمه تاج محال صنعه مدفناً لزوجته لانه كان يحبها حباً شديداً . ومما صنعه أيضاً العرش الشهير على شكل الطاووس قيل انه أنفق عليه نحو ستة ملايين جنيه . ويضيق بنا المقام عن تعداد جميع سلاطين تلك الدولة وأفعالهم وغزواتهم وحروبهم

٢ ـ تاريخها الحديث بعد دخول الاوربيين اليها

دخل الاوربيون الهند بطريق البحر وكانوا يسمعون بوفرة غناها وثروتها وما فيها من المعادن والحجارة الكريمة فتاقت نفوسهم لدخولها . واول من طرقها منهم ڤاسكو دي غاما البرتوغالي . وكان الرحالة الشهير ابن بطوطة قد سبقه الى تلك البلاد في القرن الرابع عشر واقام في دهلي ثماني سنوات . على ان رحلات هذا الرحالة الشهير لم تطبع حتى القرن التاسع عشر . ولما عاد دي غاما الى بلاده طمع البرتوغاليون بغنى الهند فبعثوا اليها حملة غايتها الاولى التبشير فاذا لم يفلحوا فالسيف ـ فاقامت هذه الحملة المصانع في كاليكوت وكوشين ثم استولوا على جاوى وملقا وامتدت تجارتهم الى سيام وجزر الطيوب وظلت تجارة

وتدل هيئتهم على النباهة والعزم والفهم وهم يعشقون الحرية والاستقلال وقع منهم أسيرٌ في يد الانكليز اثناء الحرب فاقتلع لسانه ومات وآخر انقطع عنه الاكل فمات جوعاً وكان من عاداتهم تقديم الضحايا البشرية لآلهتهم فحظر الانكليز عليهم ذلك

ومن اشهر قبائلهم السندل في البنغال وهم اشبه بالاريين منهم بالزنوج اشداء البنية وعددهم نحو مليونين وهم في الغالب زراع يحبون الضيافة • وتحيتهم تقوم برفع اليدين الى الجبين بتأنٍّ ثم بسطهما نحو المحي حتى تلصق الكف الواحدة بالاخرى • وهم مشهورون بالصدق يحبون الملاهي والاعياد والصيد وديانتهم مبنية على التقرب من الآلهة الشريرة فلا يعرفون شيئاً عن الالوهية

ومنهم البهيل في غربي الهند ومن غرائب عاداتهم ان الامراء منهم عند جلوسهم على العرش يدعون احد الناس فيختم باصبعه الملوثة بالدم على جبين الامير

وقد بقي منهم قبائل أخرى متفرقة لا محل لذكرها هنا

٤ ــ سكان سيلان

دخلها البرتغاليون سنة ١٥٠٥ وأقاموا فيها طول القرن السادس عشر يتجرون ويبنون المصانع لكنهم عاملوا السكان بالغلظة فطردهم الهولانديون واثروا في التجارة لكن الانكليز طردوهم واستولوا على سيلان سنة ١٧٩٦ الا جزءا في الداخلية اخذوه في اوائل القرن التاسع عشر والجزيرة تقرب من ايرلاندا في الاتساع وسكانها اربعة ملايين

وسكان سيلان من الهنود يتكلمون البنجالية وفيهم لفيف من القبائل الاخرى كالملقيين وبينهم كثيرون من سلالة العرب ومذهب هؤلاء الاسلام أما البنجاليون فبوذيون يحافظون على الديانة البوذية دون بدعة فيها والزراعة شائعة في البلاد على النمط القديم ويكثر فيها الشاي والارز وكانوا يزرعون البن لكن زراعته تأخرت بسبب ضربة اصابته

وفي القرن السادس عشر دخلها دعاة المذهب الكاثوليكي فتنصر عدد غفير من الاهالي ويقال ان الكاثوليك فيها يبلغون ٢٢٠,٠٠٠

وفي سيلان قبيلة في غاية الانحطاط العقلي قيل انهم لا يستطيعون جمع اثنين واثنين وليس لهم آلهة ولا معبودات ويكفنون موتاهم بالجلود • ومن غريب اطوارهم انهم لا يعرفون الكذب والسرقة والضرب ولا يفقهون معنى هذه الالفاظ ويتخذون زوجة واحدة ويحللون تزوج الاخت والابنة وهم محبون لنسائهم واولادهم وليس لهم لغة مكتوبة والفاظهم قليلة جدًّا (لا تكاد تفي بالايضاح عن افكارهم على قلتها) ، خ ث)

عليها واصبح الحاكم الانكليزي العام شبه ملك · وزارها البرنس اوف واياس سنة ١٨٧٥ (هو الملك ادوارد الحالي) فلقي كل حفاوة وكرام · وحكومة الهند الآن اثنتا عشرة ولاية كبيرة يحكمها الانكليز مباشرة ومئة وخمسون مملكة وامارة يحكمها امراؤها وملوكها تحت سيطرة مراقبين انكليز وعدد الخاضعين لحكمهم فيها مئتان وخمسون مليونًا او يزيدون

وقد احسن الانكليز ادارة شؤون الهند فقلت الامراض والمجاعات فيها وابطلوا كثيرًا من عادات اهلها البربرية الفظيعة وحسنوا الري تحسينًا ظاهرًا على ان اتساع البلاد وكثرة سكانها واختلاف اجناسهم تجعل التقدم بطيئًا وتغلّ ايدي الحكومة عن القيام بالاصلاح العاجل

٣ — اصناف السكان وعاداتهم

سكان الهند اجيال متفرقة من البشر وقد قسمهم احد العلماء الآن الى غير الآريين والآريين والخلاسيين والمسلمين

فالقبائل غير الآرية نازلة جنوبي نهر الغنج وهي تنقسم الى قسمين الدرافيديين والكولاريين وفي ولاية مدراس في الجنوب قوم من هذه القبائل يشبهون الاوستراليين في ألوانهم وتقاطيعهم فهم ثخان الشفاه قصار القامات جعاد الشعور يضفرونها ضفيرة واحدة في مؤخر الرأس ويحددون ثناياهم ويعيشون من التقاط الفواكه والنباتات التي تنمو في الغابات ويستبدلونها بالرز والتبغ · والناير وهم سكان الجنوب الغربي من الهند ومن عاداتهم ان ورثاء الرجل اولاد اخته لا أولاده وعلة ذلك السفاح فانه شائع بينهم شيوعًا عظيمًا حتى يقال ان الاب لا يعرف ابنه ولا يعرف الولد والده وهم شديدو السمرة يحسنون العلم والحساب وقد استخدموا في وظائف الحكومة

وفي الاقاليم الوسطي قبائل الجوند وهم كثار وعظام الخد فيهم بارزة وانافهم مفطسة عريضة وشفاههم ثخينة وشعورهم طويلة خشنة ولحاهم خفيفة أو معدومة ولونهم اسود فهم اشبه شيء بالزنوج وهم يكثرون من السكر والتدخين واكثرهم في خدمة الاوربيين النازلين في تلك الاصقاع · ومن عاداتهم في الزواج ان يتزوج الواحد ابنة عمه ويكثر ان تفر البنت مع من تهوى انما يحق لابن عمها استرجاعها · وهم لا يتزوجون الاّ بعد البلوغ وفي بعض الاماكن يخدم الخطيب بيت خطيبته الى أجل مسمى

وهنا قبائل التودا والكوروميا والباداجا والكوتا والكند وهم اهل باس ونشاط ولونهم اسمر يضرب الى حمرة النحاس

لاستظهارها غيباً — والاستظهار يسهل اذا كان الكلام مقفى موزوناً كما يظهر ذلك في اشعار العامة وامثالهم وافوالهم المأثورة

وقد وجدنا الشعر يأتي على مقاطع موزونة فحسبنا ذلك ضرورياً له . ولكن الشاعر الاول استعمله ليلطف من خشونته وخشونة لفظه ويسهل حفظه واستظهاره . قاله وهو لا يميز بين الشعر والموسيقى بل كانا عنده كالشيء الواحد . ويظهر ذلك جلياً في بداءة الدراما عند اليونان حيث كانوا يتفننون به ويظهر ايضاً في الشعر الموسيقي المدعو « ليريك » حيث كان يصحب تلاوته قرع الطبل او ضرب الاقدام على الارض عند كل نبرة

وذلك الشعر على ما به من خشونة التعبير وسذاجة الالفاظ جاء مطابقاً للحقيقة خالياً من التصنع بعيداً عن التقليد فاعجب الذين جاؤا بعدئذ وزعموا ان حسنه ناشئ عن الوزن وان الوزن ضروري له . ثم سنّوا للاوزان شرائع دعوها ابحراً وقالوا ان الشعر لا يخرج عن تلك الاوزان وما خرج لا يحسب شعراً بل نثراً

ثم ارتقى فن الادب فتفنن الانسان بطرق الوزن وغيّر عدد المقاطع ولكنه لم يخرج نفسهُ من التقيد بالوزن دائماً وبالقافية احياناً — كما يظهر في شعر العرب والذين اخذوا عنهم . والقافية ضرب من الموسيقى اذ يشابه الصوت الذي يأتي آخر البيت الصوت الذي قبله

ورغم ذلك التقييد ظهر بين القدماء نوابغ أبدعوا وتوصلوا الى أعلى ما يمكن لفكر بشري ان يصل اليه — فكانوا جبابرة عظماء في افكارهم وتصوراتهم وتعبيراتهم — تقيدوا بالوزن ولكنهم استعبدوه فعاد القيد لهم حلية يتحلون بها . وظهر من اولئك النوابغ الشعراء الاولون في كل امة ولسان — فمنهم هوميروس صاحب الالياذة عند اليونان وفيرجيل وهوراس عند اللاتين وراسين وموليير عند الافرنسيس وشكسبير وملتون عند الانكليز ودانتي عند الايتاليان وسرفانتز عند الاسبان واصحاب المعلقات عند العرب وغيرهم

غير ان جبابرة العقول مثل جبابرة الاجسام لا يوجدون في كل آن . والذين جاؤا بعد اولئك النوابغ لم يستطيعوا ادراك مرتبتهم بل تأخروا عنهم درجات واصبح همهم الكلام وتنسيقه والعبارات وتزيينها بقطع النظر عن المعاني وصار المعنى الواحد عندهم يتكيف بهيئات مختلفة كما يشهد بذلك ابن خلدون حيث يقول في مقدمته « ان الشعر هو في الالفاظ لا في المعاني » وان الكلام انما يحسن او يسوء بحسب الصورة التي يأتي بها . وأورد لذلك شاهداً ماء البحر فقال انه يغترف باواني الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف والماء واحد في نفسه وتختلف الجودة في الاواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف

الشعر المنثور

الشعر لغة القلوب لا بل هو الوحي تهبطه الطبيعة على ابنائها بل هو مظهر من مظاهر الجمال معبرًا عنه بالكلام كما يعبر البعض عنه بالالوان وغيرهم بالحفر وغيرهم بالاصوات

والجمال صفة من صفات الخالق تكمل فيه وحده تظهر في الطبيعة و بالشرائع و بالنفوس في صور تقرب وتبعد على نسبة قربها و بعـدها من الجمال الاسمى الذي قلنا انه لا يكمل الاَّ به وحده جلّ وعـلا . فاصحاب الفنون الجميلة الخمسة وهي البناء والحفر والتصوير والموسيقى والادب المعبر عنه عند الافرنج بكلمة ليترا تشر لهم غاية واحـدة هي التعبير عن الجمال وانما يختلفون بالمواد التي يستعملونها — والشعر احد فنون الادب ومادته الكلام

وصف هيجو الشعر ونسبته للبيت او الوزن في البحر قال « هو كالعسل والبيت كبيت الشمع » فاذا جردنا العسل من بيت الشمع الذي يحتاطه فهل يبطل ان يكون عسلاً — والجواب كلاَّ — وسنبين ذلك بطريق العقل والقياس

قال الانسان الاول الشعر وهو لم يزل في طور الهمجية لم يلطف التمدن اخلاقه بعـد ولا ذهب بخشونة تصوره وسذاجة تعبيره كما نرى ذلك في القبائل الهمجية الآن . والجمال يتطلب لطف التصور والاسلوب ولطيف الكلام وسهله لتتم الموافقة بينه وبين الطريقة التي يعبر بها عنه . رأى الانسان الاول الجمال باديًا في الطبيعة : في الانهار والتلال والجبال والاودية والبحار وفي اخضرار النبات وتلون الازهار ونور الشمس وشعاع النجوم وفي الشفق والعاصفة واضطرابها والبرق ولمعانه والصاعقة وصوتها وفي خرير الماء وانسيابه بين الاعشاب وفي زقزقة العصافير وحفيف اوراق الغاب وعبير الازهار — ورآه في الانسان : في المرأة الاولى وفي حاجة القلب للحب وفي تعزية الزوجة والارتباط المقـدس ولعب الصغار ومحبة البنين — رآه في الشرائع : في نظام السيارات ونظام الفصول وتعاقب الايام وسواد الليل وضوء النهار — ونظر لذلك كلهِ فقال السموات تحدث بمجد الله والفلك يخبر بعمل يديه . رأى الجمال فسرَّت به نفسه واحب ان يعبر عما شعر به وهو حينئذٍ في طور الطفولية لم يكن مضى عليه زمن طويل من تقليده الاصوات الطبيعية وتقسيمها الى مقاطع وعمله منها الكلمات للتعبير عن حاجاته . تأثر و بلغ منه التأثر كل مبلغ فعبر عن ذلك الجمال بتعبيرات خشنة لطفها بطريقة اتخذها بين الكلام والغناء دعوناها شعرًا

وقد اختار هذه الطريقة منقادًا بغريزته لانه وجدها فضـلاً عن لطف اسلوبها اسهل

الانواع بواسطة التفرع والاختصاص

خذ لذلك مثلاً الاسماك واجناس الضفادع المعروفة بالامفيبيا · فان هذين النوعين يرجعان الى اصل واحد أحط منهما كليهما يعرف عند علماء الحيوان باسم « جانود » — Ganoid — فالجانود له خاصتان خاصة الاسماك وخاصة الضفادع لابل الاثنان يجتمعان به ويصير حيوانًا واحدا · فعند ترقيه انقسم الجانود الى حيوانين مختلفين تمام الاختلاف هما كما قلنا الاسماك والامفيبيا · وهذه الشريعة عامة كل شيء ونراها ظاهرة ايضًا في العلوم والفنون · فالحساب والعلوم الطبيعية مثلاً بقيت قرونًا برمتها تدرس مع الفلسفة حتى اذا ارتقت العقول فصلت بين هذه العلوم واخذت تدرس كل بمفرده فظهرت اثار الارتقاء بها

ونرى هذه الشريعة ايضًا في الشعر والموسيقى فان لهما غاية واحدة هي التعبير عن الجمال· واصل واحد هو التأثر الذي يحصل في المراكز الدماغية · فانه عند ما تعرض الصور الجميلة على العين والاذن او غيرهما من الحواس ينتقل ذلك الشعور على الاعصاب الى المراكز الدماغية ومن هناك ينتقل تأثيرها فيظهر خفيفًا او شديدًا حسب تلك الصور · والتأثر اذا اشتد احدث اهتزازًا في الصوت ثم يشتد فيظهر تأثيره بالجسم كله كما ترى ذلك في حالة الغضب الشديد او الخوف او الاعجاب وفضلاً عن ذلك كله نرى ان الموسيقى والشعر لهما ذات الواسطة للتعبير عن الشعور هو ذلك الصوت · الا انه عند ترقي التعبير نشأ فرعان مختلفان تمام الاختلاف احدهما الاصوات مطلقًا والاخر الكلام · والشعر النثري هو تتمة ذلك الفصل بين الموسيقى والكلام

ورب معترض يقول اذا فصلنا الشعر عن الوزن والقافية فما الفارق بينه وبين النثر والجواب ان الفروق تبقى كما هي · فالشعر كما بينا قائم بالافكار التي تعبر عن الجمال واستعمال الصور المناسبة لذلك الجمال من مجاز وتشبيه · وهو قائم بتهيج القريحة لدرجة يرى بها الشاعر التناسب بين الاشياء واضحًا جليًا فيترك الوصل والعلاقات البسيطة في الكلام فيصبح كلامه كثير الدلالة وان قلّ · وهو في كل مظاهره يضرب على اوتار القلب ويميل نحو النفس البشرية · والناثر بخلاف ذلك على خطٍّ مستقيم · فهو وان طلب الجمال وتهيج لا يزال يرمي نحو العقل ويتحدى المنطق اراد ام لم يرد

ولا يجب ان يؤخذ من كلامنا هذا اننا نحرم استعمال الموسيقى (الوزن والقافية) في التعبير عن المعاني الشعرية للشعر فقد تفعل المطرقان ما لا تفعله المطرقة الواحدة ·

الماء . . . . واصبح الشعر بين اولئك المستشعرين «كلاماً موزوناً» خالياً مما يمكننا ان ندعوه شعراً . والشعر هو غير الكلام وانواع المجاز هو ما وراء الكلام . هو ما يحرك العواطف و يسلط العقل على القلب — هو ترديد نغمات صادرة عن اوتار القلب كلما حركتها يد القدر هو الحقيقة اللابسة اثواب الكناية وانواع المجاز والكلام مطلقاً . هو العقل البشري في اسمى مظاهره . هو اقتراب الانسان من الله — هو ادراك النابغة ذلك السر وتصوير كل ذلك بصور تتناسب في الجمال

وقولنا هذا لا يوجب على كل شاعر ان يكون نابغة فان الناس كلهم شعراء ان ادركوا ولو قليلاً من ذلك الجمال وانما النابغة يفوقهم بالتعبير واختيار الصور . ويرى فوق ما يرون و يعبر عن افكارهم بما هم لا يعرفون كيف عنه يعبرون

وقد قلنا قبلاً ان الشعر والموسيقى كانا عند الشاعر الاول شيئاً واحداً . ثم ترقى الانسان ففصلهما الى فنين مختلفين . ابقى شيئاً من الموسيقى في الشعر وهو الوزن والقافية وابقى شيئاً من الشعر في الموسيقى وهو الكلام او الغناء . ثم احسَّ بتلك القيود فاخذ يتركها شيئاً فشيئاً ويفصل الواحد عن الاخر بالتدريج . ففي الشعر اخذ المتاخرون في اغفال الوزن والقافية فنتج ما ندعوه الشعر المنثور

والشعر المنثور ليس ابن اليوم بل هو يرجع قرناً او قرنين قبل الآن — فهذا لامارتين وهو من اشعر شعراء الفرنسيس كتب كثيراً في المنظوم وابدع وكتب ايضاً كتابته النثرية وهي وان لم تكن شعرية تماماً الا انها خطوة الى الامام نحو الشعر النثري — ومثله شاتو بريان كاتب افرنسي آخر نبغ في اوائل القرن التاسع عشر وجان جاك روسو — وقام واشنطون ارفنغ بين الاميركان فكتب كتابه «الشذرات» وهو على نسق كتابة شاتو بريان . وغير هؤلاء من الكتاب والمؤلفين . و بقي الناس بين مستحسن لهذه الطريقة — طريقة تقدم الشعر نحو النثر — و بين مستاء منها الى ان ظهر هيجو . فابدع بالشعر المنظوم وغير في اوزانه وتفنن بالتقفية واتقنها حتى عده بعضهم اعظم شعراء قومه الا انه في آخر ايامه عاد فعدل عن ذلك الى الشعر النثري لانه وجد بعد الاختبار الطويل ان الوزن على وسعه في اللغات الاوربية يعيق الشاعر عن بسط افكاره كلها و يؤخره عن الوصول لغايته و يربطه بهيئة التعبير فلا يعود يمكنه اطلاق الفكر الذي يتطلبه الجمال والشعر

على ان فصل الشعر والموسيقى لفنين مختلفين وفصل الشعر عن الوزن والقافية وردّ هذين الاخيرين للاصل المختصين به انما هو تقدم واضح يتبع الشريعة العامة شريعة ارتقاء

على اعتقاد الناس وثقتهم — والاَّ فهل هم يستحضرون الارواح حقيقة ؟

﴿ الهلال ﴾ كل ما يظهر من اعمال مستحضري الارواح انما هو من قبيل الشعوذة وقد سبق لنا كلام من هذا القبيل في اهلة السنين الماضية . وقلنا غير مرة ان الذين يدعون استحضار الارواح يوهمون الناس انهم يرونهم ارواح اسلافهم باستحضارات او حيل متى كشفت للانسان استغرب انخداعهُ بها . ولا غرابة في جواز ذلك عليكم فقد خدع قبلكم جماعة من كبار العلماء ولا يزال عامة الافرنج وكثيرون من خاصتهم يعتقدون صحة هذه الدعوى حتى الآن والعلماء واهل النقد لا ينفكون عن كشف سر تلك الحيل



(ش ١) روحٌ استحضرها شارلس الدريد وصوروها بالفوتوغراف

وآخر ما قرأناه من هذا القبيل ان مشعوذاً اسمه شارلس الدريد قضى عدة اعوام في انكلترا يجول من بلد الى آخر يستحضر ارواح الاموات واشخاصهم والناس يستغربون قدرته واستولى على عقول العامة حتى اعتقدوا صدق دعوته واصبح موضوع احاديثهم . وكانت اقامته اكثرها في نوتنهام وشهد ملعبهُ غير واحد من اهل النقد فلم يستطيعوا كشف حيلته . وحجَّة بعضهم بان ما يريه للناس من الاشباح انما هو خيالات او اظلال يتوهم المعتقد اذا رآها

ولكن المطرقة الواحدة قد تاتي بنتيجة احسن مما تاتيه المطرقتان اذا كانت بيد تحسن استعمالها وسوف تأتي تلك اليد وسوف يقوم جبابرة في الشعر المنثور فيبدعون كما ابدع نوابغ الشعراء قديماً . فان العقول قد استيقظت لهذه الحقائق واخذ الفكر يبحث . والفكر البشري كما قال لامارتين هو كالقدر يغير الاشياء ويكيف صورها على هيئته — والله يهدي من يشاء

(بيروت) توفيق الياس الجليل

باب السؤال والاقتراح

استحضار الارواح

الاسكندرية سليم افندي سعيد

قضيت هذا الصيف في اوربا ومن المدائن التي زرتها مدينة باريز جئتها للتمتع بما حوته من المشاهد الجميلة في الشوارع وعلى المراسح . ولم يدهشني شيء مما شاهدته فيها كما ادهشني رجل يزعمون انه يستحضر الارواح لمن شاء وانا لا اصدق اقتدار البشر على ذلك ولكن بعض الاصدقاء الحّ عليّ فصحبته الى ملعب تستحضر فيه الارواح . ومع ماسبق الى ذهني من تكذيب تلك الدعوى فقد خرجت من المكان وانا مضعضع من الدهشة والاستغراب لاني شاهدت روح والدي شهادة عين . وكنت قد انكرت على صاحبي استحضار الارواح وقلت انها شعوذة فقال جربه بنفسك فطلبت اليه ان يريني روح والدي المتوفى منذ عشرة اعوام فسألني عن مكان وفاته وادخلني غرفة مظلمة واراني شبحاً كأنهُ وجد من العدم لان الغرفة كانت خالية فاقشعر بدني وخلت والدي بنفسه نهض من ضريحه وقد التف برداء ابيض وعلى وجهه شحوب كما رأيتهُ في اواخر مرضه . فخرجت من القاعة لا اقول مقتنعاً بل مستغرباً لاني لا ازال انكر استطاعة البشر استحضار الارواح . وقد عولت من ذلك الحين ان استفتي الهلال لعله يوضح لنا الاساليب التي يستولي بها اولئك المشعوذون

حجاب • ثم يزاح الحجاب عن رأس شاحب اللون في قاع الخزانة ثم يبدو الجسم كاملاً يرى الحاضرون شبحاً حقيقياً يعرفه الطالب • وقد يكون المطلوب رجلاً شهيراً يعرفه كثيرون كما اتفق لشارل المذكور فانه احضر للناس روح الجنرال مكدونلد وغيره من كبار الرجال

واتفق بعد حين لاثنين من مريدي صاحبنا وكانا يلازمانه ويخدمانه اعجاباً به انهما ارتابا بصدق دعوته ولحظا شيئاً من خداعه فعزما على كشف حيلته فوجدا السر كله في الكرسي الذي كان يجلس عليه هو او الروح التي يستحضرها • وذلك ان ظهرها عبارة عن صندوق فيه ادوات كثيرة من الثياب والشعر والاوجه المستعارة ومعها مقص وابرة واسلاك وغير ذلك مما يستعان به في اصطناع الاثواب وتكييف اشكالها على ما يلائم الحال مما يبدو لصاحب الارواح انه يشبه الشخص المطلوب باعتبار العصر الذي كان فيه • ولما علم هذان بسر الامر كشفاه للناس واعترف الدريد بخداعه وصوروا الكرسي وعليها الادوات التي كانت فيها كما ترى في الشكل الثاني — وفي ذلك حجة دامغة على بطلان دعوى اولئك المشعوذين

كيف اكتسى الانسان

(القاهرة) محمد افندي ابو السعود بالسكة الحديدية

قرأت في الهلال الاول من هذه السنة كلامكم عن كيفية توصل الانسان الى اصطناع طعامه فشوقني ذلك الى معرفة السبيل الذي توصل به الى اصطناع كسائه فهل لكم ان ان تفيدونا عن ذلك

(الهلال) وجد الانسان عارياً رقيق البشرة يتأثر لعوامل الحرّ والبرد وكان في اقدم اطواره لا يعرف شيئاً من صناعة الحياكة ولا يستطيع القبض على الحيوان ليسلخ جلده ويكتسي به فالغالب انه لما شعر باحتياجه الى الكساء عمد الى ما تصل يده اليه من مواد الارض واقرب تلك المواد التراب فلعله جبل شيئاً من التراب بالماء ومسح به جلده ولا غرابة في ذلك فان بعض القبائل المتوحشة اليوم لا تعرف من انواع الكساء الا الطين تمزجه ببعض المواد الملوّنة او بالشحم وتكسي به جلودها فان سكان جزائر الاندامان يستخدمون هذا الكساء للوقاية من الحر ولسع البعوض (الناموس) وبعضهم يتفنن في توبه

انهُ يرى شخصاً حقيقياً — والمؤمن بالمعجزات يتوهم انهُ يرى شيئاً وان لم يكن بين يديه شبحٌ ولا ظلٌّ · فدفع الدريد دعواهم هذه بانهُ استحضر الارواح مجسمة نقل المنتقدون صورها بالفوتوغراف فازداد البسطاء اعتقاداً بهِ وتحقق العلماء شعوذتهُ وان كانوا لم يكشفوا سرَّها مع انهم فحصوا الغرفة التي كان الرجل يجري فيها الالاعيب فحصاً جيداً حتى المقاعد والكراسي وغيرها



(ش ٢) كرسي شارل الدريد وما فيها من الادوات

فظلَّ الرجل يزداد شهرة ويزداد به الناس اعتقاداً بما فطر عليه من الدهاء واغتنام الفرص فكان يهيج عواطف الحاضرين من الشبان الذين يعتقدون صدقه بخفته ورقة اسلوبه ثم يريهم ما يطلبون رؤيته من ارواح الآباء والاجداد · فالذي يرى اختلافاً بين ما يراه من سحنة جده وما يعرفه عنه من قبل ينتحل لذلك الاختلاف سبباً من عند نفسه او ربما كذب عينيه ولا يكذب صاحب الارواح · وكان هذا اذا طلب اليه احدٌ ان يريه روح ابيه مثلاً اجلسه في قاعة واضعف ضوءها حتى يقرب من الظلام ويصبر بضع دقائق والسكوت تام · ثم يبدو للناس ضوءٌ صغير يتحرك فوق خزانة استتر فيها المستحضر وراء

حكاية آدم مثال على ذلك

وبعض القبائل المتوحشة الآن يتخذون قشور الشجر كساء وفي البرازيل شجرة يقال لها (شجرة القميص) يتخذ منها بعض البرازيليين كساء كالقميص وكيفية ذلك انهم يقطعون من جزع تلك الشجرة او من بعض اغصانها الغليظة قطعة طولها اربع اقدام او خمس يجردون قشرها قطعة واحدة على شكل اسطوانة فيبلونها ويطرقونها حتى تلين وتتسع ثم يجعلون بها ثقبين على الجانبين العلويين لادخال الذراعين بهما • فاذا كان الثوب قصيراً لا يغطي الجسم كله جعلوه كساء سفلياً فيشدونه عند الخصر كما يفعلون بالتنورة (الجونيلا)

ومما يدل على ان ذلك الكساء النباتي كان مستخدماً عند اسلافنا الاقدمين ان التقاليد الدينية المدونة في شرائع مانو بالهند وهي كتب قديمة العهد تفرض على البرهمي اذا شاخ وأحب الاعتزال لقضاء بقية حياته في العبادة والتنسك ان يتخذ لباساً من الجلد أو قشر الشجر • وفي اقصى الشرق جزيرة يقال لها جزيرة برونيو واقعة بين بحر الصين وبحر جاوى اهلها يقلدون التمدن الافرنجي فيلبسون الاقمشة الافرنجية أما اذا فقدوا عزيزاً فعلامة الحداد عندهم العدول عن الاقمشة المنسوجة الى قشور الاشجار

على ان بعض الامم قد تفننت بهذا النوع من الكساء حتى جعلته قسماً من صناعتها وتجارتها فان في بولونيسيا معامل يقال لها معامل تابا يعالجون فيها قشر نوع من التوت يسمونهُ توت الورق وذلك ان نساءهم يطرقن القشر بنبابيت مخددة حتى يلين فيشبه بقوامه وشكله اللباد ثم يزينه ببعض الاصباغ الملونة • ومما حكي عن هؤلاء الاقوام أنهم رأوا الورق وكانوا لا يعرفونه فظنوه صنفاً من التابا فخاطوا منه اردية ولكنهم ما لبثوا ان عرفوا خطأهم لما أمطرت سماؤهم وابتلت ثيابهم فاذا هي تتساقط متهرئة قطعاً قطعاً • وفي بعض جهات الهند والسودان يحيكون أوارق النبات نسيجاً يتخذون منه بعض أنواع اللباس ولكن في مدراس جماعات يخلعون ثيابهم في يوم من أيام السنة معين ويستترون بالاغصان ولا ريب ان هذه العوائد تشف عن عادات اسلافنا الاقدمين في الارتداء بالاغصان او القشور

ثم ما لبث الانسان ان اخترع بعض الادوات الحادة وتغلب على الحيوان فافترسه وتناول لحمه طعاماً واتخذ جلده كساء • والارتداء بالجلود اسهل تناولاً وادفع للغوائل واقوى على الاحتمال ولذلك فانه شاع كثيراً في الامم القديمة وخصوصاً بين الذين لم

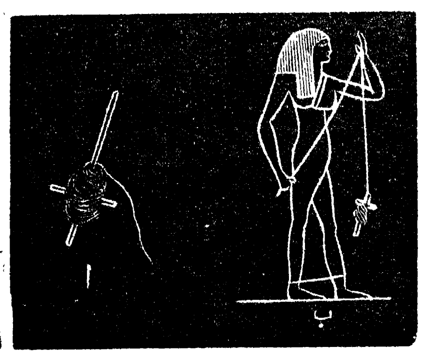
هذا فيزينه بخطوط طولية او عرضية يصطنعها (خياطهم) بجر اصابعه على الطين قبل ان يجف • واغرب من ذلك ان بعضهم اذا كسا وجهه طيناً صبغ نصفه باللون الاحمر والنصف الآخر باللون الاخضر وجعل بين اللونين خطاً طولياً يمتد على صدره الى اسفل بطنه • ومن آثار هذه العادة عند اسلافنا الاقدمين الوشم فانه يدل على ميل الانسان الى تغطية جسمه اما للكساء او للزينة وبعض القبائل تتخذ الوشم وحده كساء وفي بعض الكهوف باوربا حفرت استدلوا على انها كانت اجراناً يدقون بها المغرة وهي ضرب من الطين يمزجونه بالمواد الملونة • وقد يقال انهم انما يريدون بذلك مجرد الزينة ولكن الحقيقة انه يغنيهم عن الكساء • والوشم منتشر الآن في سائر اقطار الدنيا والناس بين مكتف منه برسم على زنده او خط على خده او علامة على صدره وبين متخذ الوشم لباساً فيرسم على جلده الخطوط والزوايا والاشكال والصور على طرق شتى



الوشم للزينة في اميركا

ويلي هذا الكساء الترابي الذي تخلف الوشم عنه كساء من النبات • وابسط انواع ذلك الكساء ان يقطع الرجل غصناً باوراقه فيغطي به عورته او يستظل به او اذا عثر على شجرة كبيرة الاوراق كالموز او ما شاكله اتخذ ورقة او بضع اوراق نخاطها بعضها ببعض بمسك نباتي او شدها بعضها الى بعض برباط من قشور الاغصان الدقيقة • ولنا في

كما قدمنا · ولكننا لا نزال في حاجة الى اختراع ذي شأن في صناعة الغزل وهو المغزل فهو على بساطة تركيبهِ وسهولة الحصول عليهِ يفضل في اهميتهِ الآلة البخارية التي لم يتم اختراعها الاَّ في عشرات من الاعوام · ولا نعرف مخترع المغزل ولكننا نعرف انه قديم جدًّا



المغزل المصري القديم

اما المواد المغزولة فاقدمها الشعر والصوف لاننا لا نحتاج في الحصول عليهما الاَّ الى الجز ويليهما الحرير فقد وجد منسوجًا قبل الميلاد باجيال ولكن القنب (الكتان) اقدم منهُ لانهُ نقل من مصر الى صور في القرن السادس قبل الميلاد وكان يصطنع في مصر قبل ذلك باجيال متطاولة لا نعرف حدها · ويليهما القطن ووطنهُ الهند وقد ذكره هيرودوتس في رحلتهِ بالقرن الخامس قبل الميلاد · وهناك مواد كثيرة يحيكون بها الاقمشة الآن غير التي ذكرناها ولكن هذه اشهرها

وامامنا درجة اخرى لابدَّ لنا من تخطيها حتى نصل الى اصطناع الانسجة وهي الحياكة والحياكة في الحقيقة لا تختلف عن صناعة الحصر والفرق بينهما متوقف على المواد المؤلف النسيج منها فيبين ان تكون المواد ذات قوام يمكن نسجها باليد بلا شد او ربط كالقش وسعف النخل والحلفاء او ان تكون لينة لا قوام لها كالخيطان الدقيقة فهذه لا يمكن نسجها الاَّ بمدها وشدها من اطرافها حتى يمكن ادخال اللحمة فيها على مثال الانوال التي يستخدمها الحاكة في سائر اقطار العالم والحياكة تكاد تكون عامة عند الامم من متمدنين وغير متمدنين

ولما حاك الانسان الانسجة اتخذها كساءً بدلاً من ورق الشجر وقشور الجلد على سبيل الالتحاف حتى توفق الى اختراع الخياطة فاصطنع الالبسة المختلفة واهم مخترعات الخياطة « الابرة » والابرة على دقتها وقلة نفقاتها وبساطة صنعها تضاهي المغزل في اهميته بالنظر الى صناعة اللباس فانها اساس الخياطة وبها تشد قطع الثوب بعضها الى بعض · والغرض

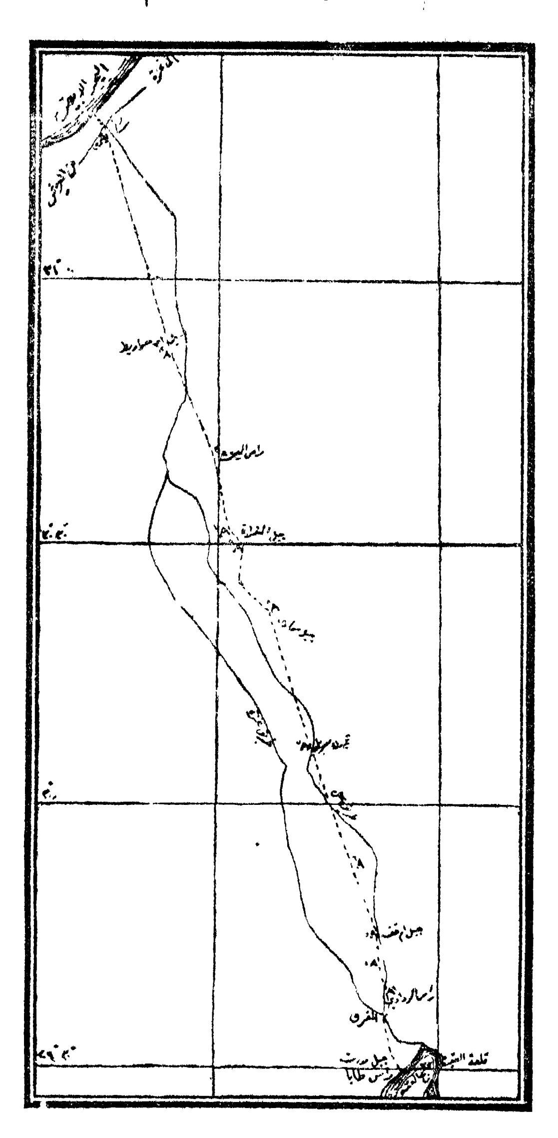
تظللهم الحضارة كاهل اثيوبيا واواسط افريقيا فانهم كانوا يأتزرون بالجلود حتى بعد اكتشاف النسج فان القماش المنسوج لم يكن يلبسه الا كبارهم وبقيت الجلود لباساً للعامة

وانتقل الانسان خطوة هامة في اتقان كسائه باختراع الحياكة ثم الخياطة . ولا نعلم مخترع هاتين الصناعتين واهم منهما اصطناع الخيوط او الغزل ومخترعها خدم الانسانية في حينه اكثر مما خدمها مكتشف البخار او مخترع التلغراف ومع ذلك فقد ضاع اسمهُ في ثنايا الزمان . وللحياكة دوران احدهما قبل اصطناع الخيطان والثاني بعده وكانت الحياكة قبل الخيطان قاصرة على اصطناع الحصر او بعض الابسطة من اوراق الشجر المستطيلة كسعف النخل يحيكونها طولاً وعرضاً كما يصنع اهل السودان الآن الابسطة ونوعاً من القبعات وكما يحيك المصريون والسوريون القفف (المقاطف) . ولسعف النخل في انحاء السودان فوائد لا تقدر فقد رأيناهم يصنعون منها ابسطة يفرشون بها الارض ويحيكون منها آنية كالصواني والقصع وانواعاً كثيرة من العراقيات والقبعات ويبنون بها الجدران والسقوف والخيام ويجدلون الياف النخيل حبالاً يحملون بها الاثقال . ويحيكون بها الاكياس لحمل التبن وغيره . ويصطنع بعض اهل الخرطوم من سعف النخل اقداحاً وفناجين بغاية الدقة والضبط والجمال لا يخرقها الماء ويحيكون من تلك الاوراق انواعاً من الاحذية والاجربة وغير ذلك مما يقوم عندهم مقام كثير من الانسجة عندنا

والتوصل الى الحياكة سهل ربما توفق اليهِ الانسان صدفة او اتخذه تقليداً لبعض انواع الحيوان كالعنكبوت او بعض الطيور التي تبني الاعشاش . اما اتخاذ تلك المنسوجات كساءً فبديهيٌ لا يحتاج الى تفكير فهي لا تزال قائمة مقام الاقمشة حتى الآن

اما صناعة الغزل او اصطناع الخيطان فهي اهم خطوة في تاريخ الكساء والتوصل اليها معقول بالنظر الى مبدأها فلو نظرت الى خيط بالميكروسكوب لرأيته مؤلفاً من الياف دقيقة ملتفة بعضها على بعض بالبرم والفتل ولو عكست فتلها لانحل الخيط الى اليافهِ الشعرية الدقيقة . ومثل هذا الخيط مثل الحبال التي تصنع من ورق النخيل او اليافهِ (السلبة) فهذه الحبال تظهر للعين المجردة مؤلفة من الياف ملتفة بعضها على بعض وهكذا في بعض انواع الحبال المصنوعة من الياف النبات او اوراق الشجر الدقيقة فاننا لا نحتاج في اصطناعها الى اكثر من ان نضم بعضاً منها ونفتلها بين كفينا ازواجاً فاذا انتهينا الى الطرف الآخر اعدنا الفتل بعد ان نضم الزوجين معاً كما يفعل صناع الاحذية في اصطناع خيطانهم الخصوصية قبل تشميعها . فاوَّل من اخترع الخيطان اصطنعها من الشعر او الصوف فتلاً بين كفيهِ

الحدود بين مصر والشام



خريطة الحدود بين مصر والشام

وقع خلاف بين مصر والباب العالي بشأن الحد الاداري لمصر من جهة الشام وبعد مداولات طويلة واخذ ورد اتفقتا على تعيين لجنة ينتدبها الباب العالي واخرى تنتدبها مصر

من استخدام الابرة قديمٌ فالانسان كان يشد قطع اثوابه بعضها الى بعض قبل زمن الحياكة بل وقبل التردي بالجلود لانهُ لما اتخذ ورق الشجر او قشره كساء كان يضطر في كثيرٍ من الاحوال الى شد بعض اجزاء ذلك الثوب بالبعض الآخر ولا غنى له في ذلك عن الابرة او الخيط اوما يقوم مقامهما · واستخدم بدل الابرة الشوك او الحسك يشد به قطع الثوب غرزًا بسيطًا بلا خيط او ربما ثقب حافتي الجزئين المراد خياطتهما من الثوب بشوكة من عظم وادخل في الثقبين قدة من جلد أو قطعة من معاء جافٍ يشد طرفيها بعقدة وهي ادنى درجات الخياطة · وهكذا يفعل الفوجيون الآن فانهم يثقبون الجلود بعظمة محددة ويدخلون في الثقب خيطًا يربطون طرفيه احدهما بالآخر · فالشوكة او الحسكة او العظمة اقدم انواع الابر ولعل الانسان قضى ازمنة متطاولة يخيط اثوابه بهذه الابرة فيثقب القماش او الجلد بها ثم يخرجها ويبعث الخيط او ما يقوم مقامه في ذلك الثقب كما يفعل صناع الاحذية اليوم فانهم يثقبون الجلد بالمخرز ثم يدخلون الخيطان في الخرز ويشدونها

ولكن الانسان ما لبث ان اهتدى الى اختراع الابرة ذات الثقب التي يدخل الخيط في ثقبها فاذا غرزت في الثوب خرجت من الجانب الآخر والخيط يجرورائها وهي الطريقة المشهورة في الخياطة في سائر اقطار العالم والظاهر انها قديمة العهد كثيرًا ولان اختراعها سهل لبساطتها وشدة احتياج الانسان اليها على ان الانسان قضى اعصرًا متوالية يخيط اثوابه بالابر من العظم والحسك حتى اهتدى الى معالجة المعادن فاصطنع الابر اولاً من البرنز وفي المتاحف الآثارية في اوربا امثلة من الابر عثروا عليها في اطلال بعض المدن القديمة · ثم اصطنعوا الابر من الحديد وغيره وما زالوا يتفننون في صنعها واتقانها حتى بلغت ما نعلمه عنها · فلما خرج اهل اوربا من الاجيال المظلمة ونهضوا لاحياء العلم والصناعة كان في جملة اختراعاتهم الصناعية آلة الخياطة (الماكنة) والفضل في هذا الاختراع العظيم للانكليز فانهم هم الذين وضعوا اساسه واقدم آلة صنعت لهذه الغاية صنعها رجل انكليزي يقال لهُ شارلس وسينتال سنة ١٧٥٥ ثم اخترع توماس سانت آلة لخياطة الاحذية سنة ١٧٩٠ واول ظهور هذه الآلات في اميركا سنة ١٨١٨ وفي فرنسا سنة ١٨٣٤ على ان الفضل في اتقانها راجع الى الاميركان فان اول آلة متقنة صنعها رجل اميركاني اسمهُ الياس هاو في ماساشوست سنة ١٨٤١ وقد ادخلت طريقته هذه الى انكلترا على يد رجل اسمه توماس سنة ١٨٤٦ ولا يزال هذا النوع من آلات الخياطة يعرف باسمهِ وتفننوا فيهِ كثيرًا

الى قمة التلة التي الى غرب الشمال الغربي من بئر المغارة (وهو بئر في الفرع الشمالي من وادي مابين بحيث يكون البئر شرقي الخط الفاصل) — ومن هناك الى A ٩ — ومنها الى A ١٠ غربي جبل المقراة — ومن هناك الى رأس العين المدلول عليه بـ A ١١ — ومن هناك الى نقطة على جبل ام حواو يط مدلول عليها بـ A ١٢ ومن هناك الى منتصف المسافة بين عامودين قائمين تحت شجرة على مسافة ثلثمائة وتسعين متراً الى الجنوب الغربي من بئر رفح والمدلول عليه بـ A ١٣ ومن هناك الى نقطة على التلال الرملية في اتجاه مائتين وثمانين درجة (٢٨٠) من الشمال المغناطيسي (اعني ٨٠ درجة الى الغرب) وعلى مسافة اربعمائة وعشرين متراً في خط مستقيم من العامودين المذكورين — ومن هذه النقطة يمتد الخط مستقيماً باتجاه ثلثمائة واربعة وثلاثين درجة (٣٣٤) من الشمال المغناطيسي (اعني ٢٦ درجة الى الغرب) الى شاطيء البحر الابيض المتوسط ماراً بتلة خرائب على ساحل البحر الاحمر

المادة الثانية — قد دل على الخط الفاصل المذكور بالمادة الاولى بخط اسود منقطع في نسختي الخريطة المرفوقه بهذه الاتفاقية والتي يوقع عليهما الفريقان ويتبادلاها بنفس الوقت الذي يوقعان فيه على الاتفاقية ويتبادلاها

المادة الثالثة — تقام اعمدة على طول الخط الفاصل من النقطة التي على ساحل البحر الابيض المتوسط الى النقط التي على ساحل خليج العقبة بحيث ان كل عامود منها يمكن رؤيته من العامود الذي يليه وذلك بحضور مندوبي الفريقين

المادة الرابعة — يحافظ على اعمدة الخط الفاصل هذه كل من الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية

المادة الخامسة — اذا اقتضى في المستقبل تجديد هذه الاعمدة او الزيادة عليهافكل من الطرفين يرسل مندوباً وتطبق موقع العمد التي تزاد على الخط المدلول عليه في الخريطة

المادة السادسة — جميع القبائل القاطنة في كلا الجانبين لها حق الانتفاع بالمياه حسب سابق عاداتها اي ان القديم يبقى على قدمه فيما يتعلق بذلك وتعطى التأمينات اللازمة بهذا الشأن الى العربان والعشائر وكذلك العساكر الشاهانية وافراد الاهالي والجندرمة ينتفعون من المياه التي بقيت غربي الخط الفاصل

المادة السابعة — لا يؤذن للعساكر الشاهانية والجندرمة بالمرور الى غربي الخط الفاصل وهم مسلحون

واللجنة المصرية مؤلفة من سعادة ابراهيم فتحي باشا وروجراوين بك عضوين ونعوم بك شقير سكرتيرًا فقضت اللجنتان في جهات العقبة بضعة اشهر في الدرس والمداولة واخيرًا اقرتا على الحدود باتفاقية رسمية مؤرخة في ١٨ سبتمبر الماضي كتبت باللغة التركية وهذه ترجمتها الرسمية الى اللغة العربية :

اتفاقية الحدود لجزيرة سينا

هذه هي الاتفاقية التي وقع عليها وتبودلت في رفح في ١٣ شعبان المعظم سنة ١٣٢٤ الموافق ١٨ ايلول سنة ١٣٢٢ الموافق اول اكتوبر سنة ٦ ١٩ بين مندوبي الدولة العلية ومندوبي الخديوية الجليلة المصرية بشأن تعيين خط فاصل اداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سيناء

بما انه قد عهد الى كل من الميرالاي اركان حرب احمد مظفر بك والبكباشي اركان حرب محمد فهمي بك بصفتهما مندوبي الدولة العلية والى كل من امير اللواء ابراهيم فتحي باشا والميرالاي روجر كرميل روبرت اوين بك بصفتهما مندوبي الخديوية الجليلة المصرية بتعيين خط فاصل اداري بين ولاية الحجاز ومتصرفية القدس وبين شبه جزيرة طور سينا قد اتفق الفريقان باسم الدولة العلية والخديوية الجليلة المصرية على ما يأتي : —

المادة الاولى — يبدأ الخط الفاصل الاداري كما هو مبين بالخريطة المرفوقة بهذه الاتفاقية من نقطة رأس طابا الكائنة على الساحل الغربي لخليج العقبة ويمتد الى قمة جبل فورت مارًا على رؤوس جبال طابا الشرقية المطلة على وادي طابا ثم من قمة جبل فورت يتجه الخط الفاصل بالاستقامات الآتية — من جبل فورت الى نقطة لا تجاوز مائتي متر الى الشرق من قمة جبل فتحي باشا ومنها الى النقطة الحادثة من تلاقي امتداد هذا الخط بالعامود المقام من نقطة على مائتي متر من قمة جبل فتحي باشا على الخط الذي يربط مركز تلك القمة بنقطة المفرق (المفرق هو ملتقى طريق غزة الى العقبة بطريق نخل الى العقبة) ومن نقطة التلاقي المذكورة الى التلة التي الى الشرق من مكان ماء يعرف بثميلة الردادي والمطلة على الثميلة (بحيث تبقى الثميلة غربي الخط) — ومن هناك — الى قمة رأس الردادي المدلول عليها بالخريطة المذكورة اعلاه بـ A ٣ ومن هناك الى رأس جبل الصفرة المدلول عليه بـ A ٤ — ومن هناك الى رأس القمة الشرقية لجبل ام قف المدلول عليها بـ A ٥ ومن هناك الى نقطة مدلول عليها بـ A ٧ الى الشمال من ثميلة سويلمه ومنها الى نقطة مدلول عليها بـ A ٨ الى غرب الشمال الغربي من جبل سماوى — ومن هناك

ثامنًا — تقوية الارادة لمباشرة كل ما هو مفيد واجتناب المنبهات والمخدرات كالخمر والتبغ والحشيش والافيون والشاي والقهوة ونحوها من المواد المضرة

تاسعًا — تعيين نظام وميعاد للاشغال العقلية والبدنية

٢ — ولمية من لحم الخيل

تالفت في المانيا جمعية علمية لحث الناس على اكل لحم الخيل برئاسة المستر زوبل احد كبار قواد الجيش الالماني وقد عقدت هذه الجمعيــة اول جلسة حديثًا وقررت فيها ان تأدب لربات البيوت في برلين مأدبة فاخرة تقدم فيها الذ انواع الاطعمة المصنوعة من لحوم الخيــل لتزيل ما رسخ في اذهانهن من ضررها . وان تحض القوم على ارسال الافراس التي ينقضي زمن نفعها الى المزارع لتسمن ثم تباع للذبح بدلاً من اعدامها

هذا وقد ظهر من الاحصاء الذي عمل في مدينة بتسدام ان عدد الخنازير التي ذبحت للاكل في الثلاثة الاشهر الاول من هذا العام اقل مما ذبح منها في مثل هذه المدة من العام الغابر ١٥ في المئة وان الخيول التي ذبحت في هــذه المدة عينها زادت ٢٥ في المئة عن التي ذبحت فيها عام ١٩٠٥ . وهذا برهان على ازدياد اكل لحم الخيل في المانيا

٣ — الاسفنج النباتي

ينبت في جزائر الغرب وفي البلاد الحارة من قارتي افريقيا واسيا نحو عشرة انواع من الاسفنج النباتي وهو نبات يؤكل اخضر ومتى انضج فصل لبه من اليافه واستعمل بدلاً من الاسفنج الحقيقي للاستحمام وتنظيف ادوات الزينة ونحوها . وللاسفنج الجزائري سوق رائجة في مدينة باريس لكثرة استعماله فيها

٤ — الاسبستوس ومنافعه

الاسبستوس معدن لا يحترق كان مجهولاً ولا قيمة له منذ جيل فظهرت له الآن منافع جمة فهو يغزل و ينسج و يصنع منه لباد للسقوف وستائر للمراسح وخيوط متينة وحبال لرجال الحريق لمقاومة النار . ومن خواصه الغريبة انه لا يهيج الاقدام كثيرًا عند المشي ولذلك اشارت نظارة الحربية في اوستراليا ان يصنع منهُ جوارب للجنود

المادة الثامنة — تبقى اهالي وعربان الجهتين على ما كانت عليه قبلاً من حيث ملكية المياه والحقول والاراضي في الجهتين كما هو متعارف بينهم

المندوبون من قبل الدولة العلية		المندوبون من قبل الخديوية المصرية	
امير الاي اركان حرب	مظفر	امير اللواء	ابراهيم فتحي
بكباشي اركان حرب	فهمي	امير آلاي	اوين

هذه الترجمة طبق الاصل المحرر باللسان التركي

قول اغاسي اركان حرب اسعد
كاتب تركي نظارة الحربية يوسف سامح

فوائد علمية

وجاءنا من جندي افندي عوض بخزينة السكة الحديدية بمصر

كنت اطالع احدى المجلات الانكليزية العلمية فعثرت على شذرات مفيدة فآثرت تعريبها للهلال وهي :

١ — اطالة العمر

اشار السير هرمان و يبر احد اطباء انكلترا في خطاب ألقاه في كلية الاطباء الملكية بلندن باتباع النصائح الآتية لاطالة الحياة وهي

اولاً — الاعتدال في الماكل والمشرب والملاذ الطبيعية

ثانيًا — تنقية الهواء داخل البيت وخارجه

ثالثًا — ممارسة الرياضة البدنية يوميا مهما كانت حالة الطقس والمشي والتصعيد في الاماكن العالية

رابعًا — النوم باكرًا والقيام باكرًا وجعل مدة النوم من ست ساعات الى سبع

قالت المجلة التي نقلنا عنها ملخص هذا الخطاب النفيس « ويستثنى من ذلك الاشخاص الذين يضطرون الى النوم ثماني ساعات او اكثر مراعاة لسنهم وصحتهم »

خامساً — الاستحمام يومياً اذا تيسر ذلك بالماء البارد او السخن او بالسخن ويليه البارد

سادساً — الاجتهاد في وسائط السرور للنفس وتفريج القلب

سابعًا — استخدام قوة العقل العظيمة في ضبط الاهواء والمخاوف الشديدة

باعه مثل طول قامته تماماً ويدل ذلك على تناسب اعضائه اي انها مع كبرها غير الاعتيادي فانها متناسبة . وطول كفه ١٢ قيراطاً وعرضها خمسة قراريط . والرجل المعتدل القامة يلبس قفازاً حجمه سبعة قراريط وقفاز ويلكنس ١٤ قيراطاً . قطر اصبعه الوسطى قيراط ونصف قيراط ومحيطه ٤ ½ قيراط محيط جمجمته ٢٧ قيراطاً اي نحو ٧٥ سنتيمتراً وطول حذائهِ ٢٥ قيراطاً

وهو صحيح البدن قوي العضل وفيه ذكاء وتعقل يعرف الفرنساوية والانكليزية والالمانية ويحسن السباحة ويحب الرياضة البدنية ولهُ غية في جمع طوابع البريد والنقود القديمة . وحيثما مشى استلفت انتباه الناس ومشى الاولاد في اثره اعجاباً بكبر جثته ولذلك فهو قلما يسير ماشياً في الاسواق فراراً من تجمهر الناس حوله او التفاتهم اليه

ومن غريب احواله انه يتكلف ضعفي ما يتكلفه سائر الناس على لوازم الحياة فهو يدفع ثمن الثوب ضعفي ما يدفع سواه وكذلك في اثمان الاحذية وفي اجور المركبات والاسرة في الفنادق وفي اثمان الاطعمة وفي كل شيءٍ تقريباً

ولكي يتضح هول قامته صوروه بجانب رجل من اوساط الناس طولاً وسمناً . فاذا هو يتطاول بذراعه وقبعته ولا يدرك قبعة المستر ويلكنس كما ترى في الشكل الأول

اقصر رجل في العالم

واقصر رجل تام الخلقة متناسب الاعضاء شاب اصله من بادية بورما في الهند اسمه سنغ هيبو هو الآن في الثالثة والعشرين من عمره ولم يزد طولهُ على ٣٤ قيراطاً اي نحو ثلث لويس ولكنس المتقدم ذكره . ولهذا القزم تاريخ غريب من طفوليته الى شبابه كتبه بقلمه وتحدث بهِ عن نفسه ومما قالهُ :

« لا اذكر من طفوليتي الاَّ اني كنت ادرج في بستان استطال زرعه وكساه الغرس في بلاد لم اعد اراها من ذلك الحين ولا اعرف احداً من اهلها . وعرفت من مصادر اخرى انها قرية في بادية بورما من بلاد الهند وكان والداي معتدلي القامة مثل سائر الناس وما زلت مقيماً في حجرهما الى العاشرة من عمري بين اتراب سود البشرة نقضي النهار ونحن نتلاهى بالرمل او التراب نبني بهِ قصوراً وكان بناؤها لذيذاً شهياً ولو انها في الهواء . وفي ختام السنة العاشرة لم يكن طولي يزيد على قدمين فمرَّ بنا رجل ابيض البشرة ألماني الجنس فلما رأى قصر قامتي وصغر جسمي احب ان يتبناني فتقدم الى والدي بذلك ولم ينفك حتى اقنعه فدفعني اليهِ فأخذني وجعلني ابناً لهُ . واما انا فكنت ادعوه عمي وهو قبطان بحريٌّ لم يكن

عجائب المخلوقات

اطول الرجال واقصرهم



(ش ١) اطول رجل في العالم

اطول رجل في العالم اليوم لويس ولكنس وهو انكليزي الاصل وقد ولد في سانبول مينسوتا بالولايات المتحدة سنة ١٨٧٤ فهو الآن في الثانية والثلاثين من عمره . والعادة في طوال القامة ان يكونوا نحاف البدن لانحصار قوة النمو في طولهم دون عرضهم . واما ويلكنس هذا فانه غريب النمو طولاً وعرضاً . فقد بلغ ارتفاعه ثمانية اقدام وقيراطين اي ٩٨ قيراطاً ومعدل طول الرجل لا يزيد على ستة اقدام . ومحيط صدر ويلكنس ٦٦ قيراطاً (نحو مترو ٦٥ سنتيمترًا) ومحيط فخذه $\frac{1}{2}$ ٣٤ قيراط . ووزنه نحو ٣٦٤ رطلاً مصرياً . وطول

بها فاتفق انها احتفلت احتفالاً عمومياً لمريديها واصدقائها فعزمت ان اقدم لها باقة من الازهار على جاري العادة في مثل هذه الحال فاحضرت باقة كبيرة في سلة (سبَتْ) وجئت الى المرسح من بعض جوانبه وانا احملها بين يديَّ وقد اختفى رأسي وراءها فلم يرَ الناس الاَّ سلة الازهار تمشي وحدها لانها كانت اكبر مني ولا تسل عن بغتة تلك المغنية وضحك الحاضرين

« واتفق لي مرَّة في برلين بالمرسح الذي كنت اعرض فيه انهم كانوا يمثلون رواية رجل وامرأته والمرأة تتهم زوجها بحب سواها فختم احد الفصول بغضب المرأة بعد ان تحققت خيانة زوجها ولما آن رفع الستارة للفصل التالي توهم المولج برفعها ان التمثيل انقضى وجاء دوري فرفع الستارة واسرع اليَّ وعنفني لتأخري عن الظهور فهرعت جهد طاقتي وكانت المرأة قد ظهرت على المرسح وحدها واخذت في تمثيل دورها وهو عبارة عن مخاطبة نفسها بما اتاه زوجها من المنكرات فاخذت في توبيخهِ الى ان قالت « وما الذي تعتذر به ؟ انك لن تجد عذرًا على فعلتك . قد عافتك نفسي ونبذك قلبي فاحتقرتك وكرهتك وصرت صغيرًا في عينيَّ » فوصلتُ المرسح وانا ألهث من التعب وهي تقول هذه العبارة فضج الناس من هذا الاتفاق وعلا تصفيقهم وضحكهم » اه

حكم فلسفية

من كتاب الاخلاق والسير لابن حزم

لا شيءَ اضر على السلطان من كثرة المتفرغين حواليه فالحازم يشغلهم بما لا يظلمهم فيه فان لم يفعل شغلوه بما يظلمونه فيه . واما مقرب اعدائه فذلك قاتل نفسه

اجهد في ان تستعين في امورك بمن يريد منها لنفسه مثل ما تريد لنفسك ولا تستعن فيها بمن حظه من غيرك لحظه منك

لا تجب عن كلام نقل اليك عن قائل توقن انه قاله فان من نقل اليك كذبًا رجع من عندك بحق

ثق بالمتدين وان كان على غير دينك ولا تثق بالمستخف وان اظهر انه على غير دينك من استخف بحرمات الله تعالى فلا تأمنه على شيء مما تشفق عليه

استعمل سوء الظن حيث تقدر على توفيته حقه في التحفظ والتأهب واستعمل حسن حسن حيث لا طاقة بك على التحفظ فتربح راحة النفس

ابلغ في ذمك من مدحك بما ليس فيك لانه نبه على نقصك . وابلغ في مدحك من ذمك بما ليس فيك لانه نبه على فضلك ولقد انتصر لك من نفسه بذلك واستهدافه الى الانكار واللائمة

يذخر وسعاً في سبيل راحتي فعلقت به وكنا لانفترق ليلاً ولانهاراً وكانت معيشتنا في الاسفار البحرية — لاانسى اول مرة وقع نظري على ابنية العالم المتمدن الفخمة وما يتخللها من حركات المركبات والسكك الحديدية والترامواي



(ش ٢) اقصر رجل في العالم

« قضيت السنتين الاوليين في رفقة عمي في الهند نسيت في اثنائها لغة ابويَّ وتعلمت لغة عمي الالمانية · ثم سافرنا من الهند الى اوربا وارادوا هناك ان يعرضوني على المراسح في المدن الكبرى واخذت من ذلك الحين اتعود الاختلاط بالناس · وكنت اذا طال مقامي في بلد تعلمت لغة اهله فاحسنت الفرنساوية والانكليزية والالمانية وعرفت ألوفاً من الناس على اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم ولغاتهم من الرجال والنساء · قضيت ما مرَّ من عمري وانا لا اعرف حزناً او غضباً وانا اشعر حتى الآن بانشراح صدري وانبساط نفسي واحس بالسرور متمكناً في اعماق قلبي · واتفق لي في اثناء اسفاري امور كثيرة تلذُّ تلاوتها و يشتهى سمعها · من ذلك اني كنت في نيس بالعام الماضي وعرفت فيها ممثلة شهيرة كنت اتردد اليها واستأنس

من الخردل او ملح الطعام الاعتياددي . واذا عثرت على نبيذ عرق الذهب او شرابه (قد يقتنيها بعض العائلات دواماً كدواء منزلي) فناوله قدر ملعقة كبيرة او اثنتين منه ممزوجاً بماء دافئ . وهو خير المقيئات . اما اذا جاشت نفس المصاب من تلقاء ذاتها فيمكنك ان تساعده على التقيوء باعطائه مقداراً وافراً من الماء السخن على قدر ما يحتمل من الحرارة واذا كنت قريباً من اجزاخانة فاستحضر منها قدر عشرين قمحة من سلفات الزنك اوسلفات النحاس في جرعة من الماء الدافئ واسقه اياها ويندر ان يخيب هذا المقيء في فعله . اما اذا اتفق لك ان تكون في مكان بعيد عن المنازل والاسواق حيث يتعذر عليك الحصول على خردل او ملح اوغيرهما من المقيئات فادخل اصبعك او ريشة طير في فم المصاب ودغدغ بها حلقه الى ان يتقيأ

واذا تغلب النوم على المصاب فابذل جهدك في ابقائه متيقظاً وذلك بصب الماء البارد على رأسه ووجهه و باعطائه قهوة ثقيلة ليشرب و بتمشيته في الغرفة ذهاباً واياباً . واذا فقد شعوره فاجتهد في ايقاظه بان ترش الماء البارد على وجهه وصدره او ان تلطمه بنشفة مبللة بماء بارد . واذا خشيت من انقطاع تنفسه فاستعمل له « التنفس الاصطناعي »

اما طرق معالجة « السموم المهيجة » كزيت الزاج والبوتاسا الكاوية الخ فتختلف عما سبق ذكره بشأن السموم المخدرة . فلا ينبغي مطلقا ان تستعمل مقيئاً بل غاية ما تعمله من الاسعاف هي ان تلطف بقدر استطاعتك فعل السم على الحلق والمعدة وذلك باعطاء المصاب جرعات من المشروبات المسكنة كماء الشعير او اللبن او الدقيق المذاب بالماء او بياض البيض او زيت اللوز او زيت بزر الكتان او زيت الخروع او زيت الزيتون الخ . ولا تسه عن ان تضاد فعل « التسمم بالحوامض » بمادة قلوية كالمغنيسيا او الصودا او البوتاسا او الطباشير او الجير او بياض الجدران او رغوة الصابون مذابة في مقدار كبير من الماء . وان تقاوم فعل «التسمم بالقلويات» بالخل او عصير الليمون او البرتقال او البيض النيء او زيت الزيتون او اللبن او الاراروط او ماء الشعير او احد الحوامض الآتية مخففاً بماء كثير وهي : الخليك او النتريك او الهيدروكلوريك او الكبريتيك . وقد تفعل السموم المهيجة احياناً على سقف الحلق او مدخل القصبة فينشأ عنها غصة او بحة او سعال او عسر تنفس او اختناق ففي مثل هذه الاحوال ينبغي ان تضع قطعاً من الاسفنج او الفلانلا مغمسة في ماء حار حول العنق

ومن الصواب في مسائل التسمم ان تحافظ عند الامكان على القيء . وكذلك على



صحة العائلة

السموم ومضاداتها (١)

« السم » عبارة عن مادة اذا تجرعها المرء كانت حياته تحت خطر . ويختلف فعل السموم باختلاف مادتها . وهي تقسم الى جملة انواع تبعاً لفاعليتها في الجسم . أما نحن فنقسمها هنا الى قسمين فقط وهما : السموم المهيجة والسموم المخدرة

« فالسموم المهيجة » تحدث التهاباً وتتلف انسجة الجسم حيثما لامسته . وهي اما « حوامض » كزيت الزاج (الحامض الكبريتيك او روح الملح (الحامض الهيدروكلوريك) وهذان يلونان الفم والشفاه بلون اسود . وأما ماء الفضة (الحامض النتريك) وهو يلون البشرة بلون أصفر . أو الحامض الخليك او الحامض الفينيك او الحامض الاوكساليك والاخيران يصبغان البشرة بلون أبيض . واما « قلويات » كالبوتاسا أو الصودا المكاوية أو القلي او الجير الخ . فهذه المواد الكيماوية الحريفة تكوي ما تلمسه من الاعضاء البشرية وتهريه فانها تبقع الشفتين وتكوي داخل الفم والحلق والبلعوم (المريء) والمعدة وتأكله وهذا النوع من السموم يسبب آلاماً مبرحه فيشعر المسموم بها باحتراق في فمه وحلقه وباوجاع لا تطاق في معدته واحشائه وتجيش نفسه ويتقيأ ما في جوفه وقد يخرج مع القيء دم او قطع من الغشاء المبطن للمعدة

اما « السموم المخدرة » فتسبب همودا وخمولاً او فقدان الشعور او هذياناً . فكل من المورفين واللودنم والافيون يؤدي الى نوم ثقيل والاستركنين يصحبه نوبات تشنجية . والبلادونا والبنج يسببان تهيجاً عقلياً وهذياناً . والكحول يسبب السكر كما هو معلوم

وفي أحوال التسمم كافة يجدر بك ان تستدعي اقرب طبيب لمعالجتها وان تعلمه قبل مجيئه بجميع الاعراض والظروف ليأتي معه بالادوات والعقاقير . واما في اثناء ذلك فبادر حالاً الى استعمال ما بوسعك لاستخراج المواد السامة من المعدة « بالمقيئات » متى كانت من « السموم المخدرة » باعطاء المصاب كأساً من الماء الدافئ مذاباً فيه قدر ملعقة كبيرة

---

(١) نقلا عن كتاب مرشد الراغبين واسعاف المصابين الطبعة الثانية

(١٦) الدخان (التبغ) (١٧) التنباك	مقيء . شرب قهوة ثقيلة او مشروب روحي . استنشاق روح النشادر . وضع زجاجات الماء الحار حول الجسم . التنفس الاصطناعي
(١٨) الفصفور رؤوس عيدان الكبريت	مقيء (من سلفات النحاس) . شرب مسهل ملحي (لا زيتي على الاطلاق)
(١٩) صدأ الاوعية النحاس	شرب مقادير وافرة من اللبن وزلال البيض ثم منقوع الشاي القوي

(٢٠) طعام فاسد او منتن — مقيء . شرب مسهل زيتي

شروط النجاح في التجارة

عرضت مجلة كاسل الانكليزية على قرائها هذه المسألة «اذا تعاطى الانسان عملاً فما هي الوسائل التي تكفل نجاحه فيه» فجاءتها اجوبة عديدة منها ما ياتي :

قال السير هرمن مكهلم : اساس النجاح الاشتغال الكثير والانفاق القليل

وقال اندرو كرنجي المثري الشهير: اول اسباب النجاح الامانة فانها تكسب ثقة الناس ثم العمل والاجتهاد ومن كان اميناً لا خوف عليه

وقال السير توماس ليتن : ان الوسائل اللازمة للنجاح كثيرة لكني ارى اهمها ثلاثة (١) الاعتدال (٢) لين الطباع وسعة الصدر (٣) المحافظة على الوقت وضبط المواعد . فهذه الشروط لا غنى عنها لطالب النجاح في كل حال

وقال المستر وليم هويتلي : سرُّ النجاح في التجارة ينحصر في كلمتين وهما (١) كن اميناً فان ما قد تكتسبه بالغش احياناً لا يلبث ان يعود عليك وبالاً (٢) كن مقتصداً

وقال مستر ستورس فراي : من اهم اسباب النجاح عندي الثبات

وقال المستر جماج : اسباب النجاح الصبر والتفاني في العمل والنشاط وفوقها جميعاً الامانة ولا اعتقد بما يسمونه حظاً او توفيقاً وان كنت اعتبر اغتنام الفرص من شروط النجاح

وقال المستر لينس : اول شروط النجاح العمل باجتهاد وهمة ثم جمع القوى في مركز واحد واخيراً اغتنام الفرص واستخدامها بتعقل وحكمة . فان الفرص تعرض لكل انسان وانما يختلف الناس في اقتدارهم على اغتنامها والانتفاع بها

الزجاجات والاوعية التي نشتبه بوجود السم فيها لاطلاع الطبيب عليها لدى حضوره · ولا يصعب عليك ان تميز نوع «السم المهيج» عن «السم المخدر» ولو عجز المصاب عن اخبارك الحقيقة وذلك من البقع الكاوية التي تشاهدها على ثيابه او ذقنه أو شفتيه ومن الاحتراق الذي يشعر به في فمه وبلعومه ومن الآلام المزعجة التي تعتريه في معدته واحشائه ومن تجشؤه وتقيوءه دماً او قطعاً من الانسجة الداخلية الى غير ذلك مما لا يحدث في نوع السم المخدر · وهاك بيان بعض السموم الاكثر شيوعاً في هذه البلاد وطرق معالجتها :

السم	العلاج
(١) الافيون (٢) اللودنم (٣) المورفين	مقيىء في الحال · وضع لزقة خردل على القلب وقفا العنق والساقين شرب فنجان قهوة ثقيلة كل ربع ساعة · الامتناع عن النوم
(٤) الزرنيخ (سم الفار) (٥) السلياني (الزئبق)	مقيىء في الحال · شرب مقادير وافرة من اللبن أو المغنيسيا أو زلال البيض مخفف بالماء
(٦) الكلوروفورم (٧) البنج	حمام بارد · دلك الجسم · تنفس اصطناعي
(٨) الاستركنين (٩) جوز القيء	مقيىء في الحال · استنشاق الكلوروفورم · شرب مقدار كبير من مسحوق الفحم مع الماء (اذا امكن البلع)
(١٠) نترات الفضة (حجر جهنم)	مقيىء (من ملح الطعام) · شرب اللبن او زلال البيض النيء
(١١) النشادر (امونيا) (١٢) البوتاسا الكاوية	شرب الخل او عصير الليمون · شرب زيت الزيتون
(١٣) الحوامض	اذابة ٨ دراهم مغنيسيا مكلسة في ١٥٠ درهما ماء وشرب فنجان منه كل دقيقتين او ثلاث
(١٤) الغازات السامة	استنشاق الهواء النقي وروح النشادر · التنفس الاصطناعي · حمام بارد
(١٥) المشروبات الروحية	مقيىء في الحال · سكب ماء بارد على الرأس · تدفئة الجسم · التنفس الاصطناعي

وقال السير الفرد جونس : اعتقد ان التعليم العالي يعيق نجاح الشبان في الاعمال التجارية لانه يضيع عدة اعوام من اعمارهم في درس علوم لافائدة لهم منها٠ ومن اراد التجارة فينبغي لهُ ان يشرع بالعمل قبل انقضاء السنة السادسة عشرة من عمره ٠ وزد على ذلك ان تلامذة المدارس العالية قلما يهتمون بالمسائل العملية لانصراف اذهانهم الى الخيالات الفلسفية ونحوها

الحركة التجارية المالية في القطر المصري

من اصدق الادلة على ازدياد هذه الحركة تزايد عدد المراسلات ومقادير الحوالات المالية في اثناء العشرين سنة التي آخرها آخر سنة ١٩٠٥ فيؤخذ من تقرير مصلحة البوسطة لهذه السنة ان المراسلات كان عددها سنة ١٨٨٥ نحو ١٢ مليونًا ونصف مليون فاصبح الآن نحو ستين مليونًا تدرج في الزيادة على هذه الكيفية :

عدد المراسلات	لسنة
١٢,٥٦٢,٠٠٠	١٨٨٥
١٦,٣٠٤,٠٠٠	١٨٩٠
٢٢,٤٤٦,٠٠٠	١٨٩٥
٣١,٩٠٠,٠٠٠	١٩٠٠
٥٠,٧٧٠,٠٠٠	١٩٠٥

وكذلك الاموال التي تنقل على يد البوسطة فقد تضاعفت قيمتها في اثناء هذه المدة على هذه الصورة :

قيمة الحوالات بالجنيه	لسنة
١٢,١٩٥,٠٠٠	١٨٨٥
١١,٦٩٠,٠٠٠	١٨٩٠
١٦,١٧٠,٠٠٠	١٨٩٥
١٦,٨٢٣,٠٠٠	١٩٠٠
٢٢,٨٨٠,٠٠٠	١٩٠٥

التعليم العالي والارتزاق بالتجارة

زعم بعض كتاب الاميركان ان التعليم العالي في المدارس الكلية مضرٌّ في من يلتمس الارتزاق بالتجارة او الصناعة . فاستغرب الناس قوله فعرضت مجلة الستراند الانكليزية هذا البحث على قرائها وطلبت آراءهم فيها فجاءها اجوبة كثيرة هذه خلاصتها :

قال اللورد برتن : لا اعد الاقامة في جامعة اوكسفورد اوكمبردج نافعة لمن ينوي الاشتغال بالتجارة

وقال الارل كنول : وعندي ان المسألة لا تحتمل وجهين ـ ان التعليم العالي يعين الشبان على ما يتعاطونه من الاعمال التجارية وغيرها

وقال المستر الفرد بيت : يختلف الحكم في هذه المسألة باختلاف الاشخاص . ولكنني من رأي المستر رودس وهو ان الشاب الضعيف الارادة اذا عزم على الاشتغال بالتجارة فالتعليم العالي يربي مواهبه ويرقيها واما النشيط قوي الارادة فالتعليم المشار اليه قد لا ينفعه ولكنه لا يضرُّه

وقال اللورد كنيرد : من اراد التجارة او نحوها من الاعمال التي تحتاج الى كثرة التعارف بالناس فالمدارس الاعتيادية تكفيه لانه انما يحتاج الى معاناة الاسواق وممارسة العمل فيها . وتأخره عن الشروع بالعمل الى سن العشرين مضر بمصلحته

وقال اللورد الدنهام : يختلف الحكم باختلاف الناس وقد سألني هذا السؤال حاكم البنك الذي كنت مديرًا له فاجبته اذا كنت تعدُّني مديرًا ماهرًا فالدروس العالية التي تلقيتها في صغري اعانتني على ذلك

وقال السير هنري كمبر : يصعب علينا ان نتصور تجارة او صناعة لا يكون العلم مساعدًا على تقدمها واعانة اصحابها على العمل فيها

وقال السير بولستن : اذا قيل ان التعليم العالي لا يفيد بعض الناس فانه يفيد سواهم على ان المدارس الجامعة كما لا يخفى لا تعلم ما يحتاج اليه الشبان في التجارة كاللغات ونحوها من المواضيع العلمية وانما هي ترقي عقول الشبان في العلوم الفلسفية وتهذب نفوسهم والتجارة انما تحتاج الى عمل واختبار

وقال السير اوغسطس بريفوست : وجدت بعد اختبار خمسين سنة في العمل ان التعليم العالي مفيد للشبان في اعمالهم التجارية او الصناعية فائدة حسنة

الجيد فيه ٦٥ في المئة من الغذاء الصحيح يسهل هضمه وتمثيله وفيه جانب كبير من المواد المكونة الانسجة والمولدة للحرارة ولكن هذه المنافع تضيع او ربما انقلبت الى ضرر اذا لم يحسن المضغ جيداً فاذا شئت ان تستفيد من غذاء الجبن فامضغه جيداً

مطبوعات جديدة

﴿ فتاة مصر ﴾ هي رواية فكاهية تهذيبية اجتماعية عمرانية لوصيفنا الدكتور يعقوب صروف منشيء المقتطف — وكفى بذلك تعريفاً لها. لان الرواية عصرية مؤسسة على فلسفة العمران وفيها ابحاث مالية واجتماعية مع انتقاد البورصة ونحوها من المضاربات . وبحثٌ ضاف عن اسباب الحرب الاخيرة بين الروس واليابان والدكتور صروف مشهور بدقة بحثه وسعة اطلاعه . وقد سبك ذلك في قالب قصصي مشوق ونشرت هذه الرواية ملحقة بمجلة المقتطف ثم طبعت على حدة ونفدت طبعتها الاولى فعني حضرة اسحق افندي صروف شقيق المؤلف باعادة طبعها على نفقته وصدرها بمقالة الاستاذ جبر افندي ضومط في وصف فتاة مصر وانتقادها . فالرواية جمعت بين اللذة والفائدة فنحث الادباء على مطالعتها ونرغب الى رصيفنا الباحث المدقق ان يتحفنا بامثالها لان آداب اللغة العربية في حاجة اليها ولا سيما بما يضمنها من اثمار درسه الطويل في المواضيع الفلسفية الاجتماعية . وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ مرشد الراغبين في اسعاف المصابين ﴾ اذا كانت الكتب تقدر قيمتها باعتبار الفائدة الحقيقية التي ينالها القراء منها فمؤلفات يوسف افندي بشتلي صاحب هذا الكتاب من اجدرها بالثناء لانها ترمي اما الى تهذيب النفوس او الى وقاية الابدان وكلاهما ضروري . والكتاب الذي نحن في صدده قرظناه من عهدٍ غير بعيد وانما نذكر الآن ظهور طبعته الثانية و يدلُّ ذلك على مالاقاه من الاقبال والرواج لافتقار الناس الى مثله فانهُ يعلمهم اذا اصابهم ضرر من كسر او صدع او نزف او اغماء او تسمم او نحوها من العوارض الفجائية كيف يتلافونها بالعلاج الموقت ريثما يدركهم الطبيب . وفي مكان آخر من هذا الهلال مثال منه في « السموم ومضاداتها » والكتاب كله على هذا النمط من السهولة والوضوح ويقسم الى سبعة فصول في تشريح جسد الانسان ووصايا اولية واللفائف والاربطة والجروح ونزف الدم وتكسر العظام وخلعها والآفات والعوارض الفجائية واخيراً في نقل الجريح او المريض فهو

النقود الذهبية التي دخلت القطر المصري او خرجت منه

من سنة ١٨٨٥ ــ ١٩٠٤

سنة	النقود الداخلة		النقود الخارجة	
١٨٨٥	٣,٢٢٩,٣٠٩	جنيهاً	١,١٣٠,١١٨	جنيهاً
١٨٨٦	٩٩٠,٦٤٩	»	٢,١١٣,٣٩٢	»
١٨٨٧	٢,٤٥٨,٤٦٩	»	١,٤١٦,٠٦٦	»
١٨٨٨	١,٨٥٤,٦٤٥	»	٢,٣٤٣,٧٦٥	»
١٨٨٩	١,٨١٣,١٠٤	»	١,٨٣٨,٣٤٩	»
١٨٩٠	٢,٩٠٧,٥٩٢	»	١,٨٢٧,٧٩٨	»
١٨٩١	٢,٧٦٠,٠٢٢	»	١,٤٢٣,٣٢٨	»
١٨٩٢	٣,٣٥٢,٤٩٦	»	١,٦٨٩,٤٦٤	»
١٨٩٣	٢,٥٨٢,٠٨١	»	٣,٢٧٤,٣٩٢	»
١٨٩٤	١,٨٤٩,٨٨٤	»	١,٦٧٣,٤٠٨	»
١٨٩٥	٤,٢٦٥,٦٣٣	»	٢,٢٥٠,٥٤٦	»
١٨٩٦	٣,٥٨٨,٨١١	»	١,٧٧٩,٨٢٢	»
١٨٩٧	٢,٧٨٩,٩٧٣	»	٢,٣٣٦,٣٩٤	»
١٨٩٨	٢,٥٤٧,٧٣٨	»	١,٨٦٦,١٦٧	»
١٨٩٩	٤,٤٦٧,٨٢٩	»	١,٤٥٤,٤٧٠	»
١٩٠٠	٣,٩٨٦,٢٧٣	»	٢,٥٧٩,٧٧٥	»
١٩٠١	٢,٩٦٩,١٤٢	»	٢,٤٢١,٨٦٤	»
١٩٠٢	٤,٧٧٢,٨٢٩	»	١,٨٢٨,٤١٢	»
١٩٠٣	٦,٢٧٦,٨٠٦	»	١,٧٧١,٧٠٨	»
١٩٠٤	٧,٠١٢,٩٤٩	»	٢,٧٢٤,١٥٧	»

﴿ فوائد الجبن ﴾ الجبن طعام قديم وعام عند الامم المتمدنة واكثر الامم المتوحشة لانه مصنوع من اقدم اطعمة الانسان واقربها الى طبعه وهو اللبن · فالجبن غذاء طبيعي تحقق الباحثون فائدته وانه من افضل اطعمة الناس واكثرها تغذية واقلها نفقة فالجبن

فصار وضيعاً بي وصرت مبجلاً   بهِ فكلانا ذو اتضاع وذو كبر

والديوان كله على هذا النمط وهو يباع في مكتبة الهلال

﴿ الكونت ديمونتو كريستو ﴾ هي رواية شهيرة طبعت في العربية منذ عدة اعوام فنفدت طبعتها فاعادت طبعها ادارة جريدة لبنان في بعبدا والرواية اشهر من ان توصف وهي تطلب من ادارة جريدة لبنان ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة ستة غروش واجرة البريد غرشان

﴿ هذا كتاب الفرقان ﴾ هو كتاب من مؤلفات سماحة السيد ابي الهدى الصيادي الرفاعي بسط فيه ترجمة حاله من ولادته من قصبة خان شيخون في اليوم وفصل نسبه الى زمن الهجرة وذكر ما ألفه ونظمه وكيف تدرج الى المناصب العالية مما يتشوق الناس الى معرفته في نحو مئة صفحة بقطع الهلال

﴿ مفكرة لسان الحال ﴾ صدرت هذه المفكرة لسنة ١٩٠٧ وهي صغيرة الحجم جزيلة الفائدة تحمل بالجيب مجلدة تجليداً حسناً ومذهبة الحواشي وتطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة بتجليد بسيط غرشان ونصف وبتجليد مذهب اربعة غروش

﴿ رواية اواخر الليل ﴾ هي رواية ادبية غرامية معربة عن الافرنسية بقلم حضرة ريكاردو افندي حبيب صلبان وهي كثيرة التشويق للمطالعة يسافر رجالها الى سيبيريا و يعانون الاهوال وفي حوادثها عبرة وموعظة وفائدة ولذة وهي تطلب من مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان والبريد نصف غرش

﴿ كتاب الاخلاق والسير في مداواة النفوس ﴾ هو كتاب فلسفي للامام ابي محمد ابن حزم الاندلسي القرطبي الفيلسوف المشهور المتوفى سنة ٤٥٦ هـ وقد عني بطبعه وضبط كلماته الشيخ احمد عمر المحمصاني الازهري وفي مكان آخر من هذا الهلال امثلة من تلك الفلسفة الحكمية فنحث الادباء على مطالعة هذا الكتاب وهو يباع في مكتبة الهلال وثمن النسخة غرشان والبريد نصف غرش

﴿ الجواهر الحامدية في الطريقة الشاذلية ﴾ وهو يشتمل على ما كتبه او نظمه الامام ابو حامد السيد سلامه افندى حسن الراضي شيخ مشايخ الطريقة الشاذلية الحامدية وقد عني بطبعه حضرة علي افندي سلاَّم صاحب جريدة الاثر ومحررها احد اصحاب هذه الطريقة وهو يطلب من حضرته وثمن النسخة غرشان

﴿ اللآلىء الماسونية ﴾ هي رواية ماسونية يراد بها تمثيل فضائل الماسونيين وما هم

ضروري لكل انسان و يطلب من حضرة المؤلف ومن مكتبة الهلال وثمن النسخة عشرة غروش

﴿ جناية اوربا على نفسها والعالم ﴾ هو كتاب صحي عصري ادبي اجتماعي لحضرة احمد افندي فهمي وضعه في قالب قصصي تلذ مطالعته وتجزل فائدته ولا سيما للنساء اللواتي تفانين في التبرج وغالين في اتباع الازياء ولو آلت الى الضرر في ابدانهن وخصوصاً المشد الذي يقبض على الخصور بيد من حديد فيعيق التنفس و يلبك المعدة و يقبض الصدر. وقد مثل المؤلف عواقب هذه الآلة احسن تمثيل فيجدر بالسيدات الاطلاع على هذه الرواية لعلها تسمعهن ما تصامين عن سماع مثله في كتب الطب او من مشورة الاطباء . وهو يطلب من مكتبة المعارف ومكتبة الهلال وثمن النسخة ٨ غروش والبوسطة غرشان

﴿ المذكرة المصرية لسنة ١٩٠٧ ﴾ هي كتاب مرتبة صفحاته على ايام السنة كل صفحة ليوم من ايامها وفي رأس الصفحة تاريخ اليوم وتحتها فراغ لتدوين ما يراد حفظه او تذكاره وفي آخر الكتاب صفحات لتدوين بعض الملاحظات العمومية والكتاب مجلد تجليداً منقماً يقرب حجمه من حجم الهلال وورقه صقيل نظيف متين وثمن النسخة ١٠ غروش واجرة البوسطة غرشان

﴿ ديوان تذكار راغب وصبري ﴾ هو من دواوين حضرة رشيد افندي مصوبع ولعله رابعها ولهذا الشاعر ولع في الشعر ونظمه حتى اشتغل به عن سائر المرافق وله مزية يندر مثلها في شعراء اليوم فانه يطبع شعره في كتب يبيعها الجزء بعد الجزء . وفي الديوان الذي بين يدينا قصائد ضافية في الوصف والمدح والرثاء منها قصيدة في وصف وردة مقطوفة قال فيها :

قد زال عن خدَّيك ورد صباكِ	من ذا الذي بيد الغرام جناكِ
قد كنت قبلاً بالعفاف مصونة	فنضا غرامك عنك ستر حياكِ
واذا نسينا ذكر من احببته	وافت تذكرنا بهِ شفتاكِ
كنا نؤمل ان تزيدي في النوى	حسناً فتربو صبوة بهاكِ
فاضعت ما نرجو لخدك شاحب	وقوامك العسال مثل سواكِ
لسنا نحب الغصن غير موشح	بحلى وانت لقد اضعت حلاكِ

وقال من قصيدة يمدح بها سعادة اسماعيل باشا صبري :

سلامٌ على صبري الذي مع انهُ	له منزلٌ يعنو لهُ منزل البدر
تواضع حتى قد دنا لمكانتي	وتهتُ بهِ حتى وصلتُ به قدري
تمازج قدري مع معظَّم قدرهِ	كما يُمزَج الماءُ الزلال مع الخمر

قالت « لم نعرف من هو ولكن يظهر انه فارسي الاصل وقد جاء المدائن من بضعة اعوام وهو يتكتم فاذا دخل بيته اغلق بابه وقضي يومًا او بضعة ايام لا يراه احد حتى كثرت احاديث الناس بشأنه فمن قائل انه يشتغل بالكيميا وقائل انه ساحر وزعم آخرون انه من كبار أهل الثروة وقد جمع ثروته من كنز عثر عليه في منزله لانه يقيم في بيت مبني على انقاض ايوان شابور الذي كان الخليفة المنصور يقيم فيه قبل بناء بغداد ٠٠ »

فقالت دنانير « وما هو اسمه ؟ ٠ »

قالت « يسمونهُ بهزاد الجنديسابوري »

فتذكرت زينب طبيبهم الخراساني لانها تظنه يقيم في المدائن فقالت « لعل طبيبنا يعرفه لانه يتردد الى المدائن وربما اتى الليلة فنسأله عنه ٠٠ »

فقالت « لا اظن احدًا يعرفه ٠٠ ومهما يكن من امره فانه جدير بكل ثناء فعسى ان يقدرنا الله على مكافأته ٠٠ ولكن الاقدار لا تصفو لاحد اولعلها عملت على مطاردتنا منذ افل نجم سعدنا فهي لا تدعنا نتنسم راحتنا حتى تخلق لنا بلاءً جديدًا ٠٠٠ »

فقالت دنانير « وكيف ذلك ٠ »

قالت « ما كدنا نظن الناس نسونا واغفلوا امرنا حتى رأيناهم عادوا الى نكايتنا ٠٠٠ »

قالت دنانير « ومن هؤلاء ؟ »

الفصل الرابع عشر

السرّ

فالتفتت عبادة الى حفيدتها ثم حولت وجهها عنها فصبغ وجه الفتاة بالاحمرار فادركت دنانير ان الحديث يتعلق بها وظنت ام جعفر تحاشي التصريح بذلك امامها فاحبت ان تشغل الفتاة بشيء يصرف انتباهها عن الحديث فقالت لها « اظننا ابطأنا عليكما بالعشاء فهل تأمر مولاتي بالمائدة ؟ »

ففهمت عبادة غرضها من هذه الدعوة فقالت « اني لا اشعر بالجوع الآن ولكن ميمونة (حفيدتها تأكل ٠٠ »

فلم يفت الفتاة الغرض من ذلك فاطاعت جدتها مجاراة لما ارادته من التستر في

عليه من الغيرة والمروأة تأليف حضرة نقولا افندي سابا صاحب الجريدة الماسونية بالاسكندرية وهي تطلب من حضرته

﴿ رواية روكامبول ﴾ لانعرف رواية نقلت الى العربية ونالت من اقبال القراء واعجابهم مثل ما نالته رواية روكامبول التي نقلها من الفرنساوية الى العربية رصيفنا طانيوس افندي عبده محرر جريدة الشرق . فقد صدر من هذه الرواية ١٧ جزءًا بعضها نفدت نسخه فاعيد طبعه والطلب يتواتر . وقد اطلعنا على بعض اجزائها فلم نستغرب هذا الاقبال لما امتازت به هذه الرواية من الغرائب المشوقة فالقارئ يطالعها وقلبه يخفق حذرًا او نقمة او توقعًا لمصيبة . ولما رأى حضرة المعرب هذا الاقبال العظيم عمد الى نشر رواية «ام روكامبول» وهي سلسلة اخرى تدخل في عدة اجزاء ظهر منها الى الآن جزءان وستصدر الاجزاء التالية تباعًا وتمتاز هذه السلسلة عن سابقتها انها مزينة بالرسوم الجميلة . وعبارة الرواية متينة رشيقة بما اشتهر بهِ زميلنا طانيوس افندي من سلامة الذوق وسهولة العبارة والكتاب يطلب بالاسكندرية من ادارة جريدة الشرق وبالقاهرة من مكتبة الهلال

﴿ كلمة شاعر في وصف خطب نادر ﴾ هي قصيدة تاريخية من قبيل الملاحم نظمها امين افندي خير الله نزيل نيويورك في وصف زلزال سان فرنسيسكو الذي جرى في ١٨ ابريل من هذا العام وصدَّرها بمقدمة موجزة في الشعر القصصي وقال انه اراد ان يتحدى هوميروس فيه ثم قابل بين هذه الحادثة وموضوع الالياذة وابان انه اختار الوزن الذي اختاره البستاني صاحب الالياذة العربية لنظم النشيد السادس عشر وسماه المربع . قوامه قافية ثابتة ترد في كل بيت رابع وقافية متغيرة تكون للابيات الثلاثة التي سبقته . وقسم خير الله افندي قصيدته الى ٢١٠ مربعات او ٨٤٠ بيتًا وعلق على كل مربع شرحًا وجيزًا فوصف الزلزال احسن وصف من اوله الى آخره وما اصاب الناس بهِ وما اتاه اهل الاريحية من اعالة المنكوبين الى آخر ماهنالك ويتخلل ذلك ابيات في اسباب الزلازل ووصف المدينة ولولا ضيق المقام لنشرنا كثيرًا منها وانما نكتفي بمربع على سبيل المثال وهو المربع ١١١ في الكلام عن اعمال الجند في انقاذ الناس :

على غمرات الردى هجموا ‏ ‏ وطود اللهيب قد اقتحموا
وكانت سلامة من وجدوه ‏ ‏ هنالك كل الذي غنموا
واذ انقذوا انفس العالمين ‏ ‏ صفوفًا صفوفًا قد انتظموا
ومن قائد الجيش كان صدو ‏ ‏ ر قرارٍ بدفع عوادي البلا

قالت « ليس الخبر خبرهُ الآن وانما نحن نشكو من ابنه ... »

قالت « وما تشكين منه ؟ »

قالت « لا ادري كيف بلغه خبر ميمونة ولا اعلم اين رآها حتى فتن بجمالها او لعله لم يفتن بها وانما أراد نكايتنا فبعث اليَّ منذ بضعة اسابيع قهرمانة دار ابيه يوسطها في خطبة ميمونة لنفسه وقد تلطفت القهرمانة بالطلب ووعدتنا خيرًا . فماطلته حينًا لعله يرجع من نفسه لاني اخاف اذا رفضت طلبه بتاتًا ان يؤذينا فلم يرجع عن طلبه و بالغ في المحاسنة وكرر الوعد بما ينويه لنا من الخير اكرامًا لميمونة لانه مفتون بها وقد اكدت لنا القهرمانة انه يحب الفتاة حبًّا مبرحًا وانه لا يريد لنا غير السعادة اذا اجبته الى بغيته . فاعتذرت عن الاجابة اعذارًا مختلفة وتقدمت اليها ان تساعدني في دفعه فوعدتني وظلت اياماً لم ترجع الينا . فظننتها افلحت واطمأن خاطري فلما كان مساء الامس جاءتني بنبأ ذهب بصوابي وقطع حبل رجائي .. » قالت ذلك وشرقت بدموعها فسكتت واشتغلت بمسح عينيها

وكانت دنانير تسمع حديثها وهي تتطاول نحوها بعنقها فلما رأتها تبكي قالت « خففي عنك يا سيدتي ... وماذا جرى ؟ »

قالت « جاءت القهرمانة هذه المرة تهددني بالسوء اذا لم اجب ابن الفضل الى طلبه وانهُ اوصل امري الى علي بن هامان صاحب الشرطة ووسطه في الخطبة وان علياً هذا يلح عليَّ باجابة الطلب وهو يضمن لي ما اريده من الخير واذا لم افعل كانت العاقبة وخيمة عليَّ وعلى ميمونة .. فوعدتها اني سانظر في طلبهِ واجيبها .. وانتِ تعلمين حالنا مع هؤلاء ولا سيما الفضل بن الربيع الذي كان السبب في قتل ابني فكيف ازوج ابنه وانا لا اطيق سماع اسمه » واطلقت لبكائها العنان حتى تفطر لها قلب دنانير وادركت مصيبتها لعلمها ان هؤلاء القوم اذا قالوا فعلوافاطرقت واعملت فكرتها حيناً ثم قالت « لا انكر على مولاتي ما قالته من كرهها لذلك الرجل وابنه ولكن ... » وسكتت وهي تنهض كتفيها وتقلب شفتيها

فقالت عبادة « لا ... لا استطيع القبول بهِ ... وهبي اني قبلت فهل تظنين ميمونة تقبل وهي تعرف ان الفضل بن الربيع اصل بلائنا ومصدر مصائبنا ؟ ... كلاَّ هذا لا يكون .. »

فقالت دنانير « اذا لم يكن بدٌّ من اصرارك على الرفض فانا طوع ارادتك بما تحبين وهذا القصر واهله في خدمتك فاذا شئت الاقامة فيه اقمت على الرحب والسعة ولا اظن احدًا يجسر على اخراجك منه وقد افرحني ما آنسته من ارتياح مولاتي زبيدة لك وانت

الحديث عنها فسكتت علامة للقبول بما اشارت به · فنهضت دنانـير وهي تقول لمولاتها ام حبيبة « هلمي يا مولاتي الى المائدة مع هذه الضيفة الكريمة · »

فاطاعتها وقد تعودت ذلك منها لنفس السبب الذي حمل ميمونة على الطاعة · وخرجت الفتاتان للطعام وقد استأنست ميمونة ببنت المأمون واحبتها لجمـالها وذكائها — وكفى بالاحسان باعثاً على المحبة فقد قيل من احسن الى الناس استعبد قلوبهم

اما دنانير فرافقت الفتاتين ريثما امرت الخدم باعداد الطعام لهما وعادت الى عبادة وقد اشتد شوقها لسماع الحديث

وكانت عبادة جالسة مطرقة فدخلت دنانير واقفلت باب القاعة وراءها وجلست الى ام جعفر وهي تبش لها وترحب بها وقد سرّها ان تواسيها وتخدمها قياماً بما تشـعر به من فضلها عليها غـير ما تبعث عليه حالها من الشفقة لما اصابها من الذل بعد ذلك العز — والاقرار بالاحسان فرض يسرّ اهل الفضل ان يأتوه وان يكرموا صاحبه الاّ طائفة من الناس ساءت سريرتهم وسفلت طباعهم وصغرت نفوسهم — فهؤلاء ينكرون فضل الفضلاء وقد تحملهم الكبرياء على ايقاع الاذى بالمحسنين اليهم لا سيما اذا كان المحسن اليهم ولدوا في الفاقة وخفض العيش وساعدتهم الاقدار على الارتقاء فربما حدثتهم أنفسهم الامارة بالسوء ان يقتلوا صاحب الفضل عليهم — اما دنانير فكانت كبيرة النفس صافية السريرة فسرّها ان تخدم مولاتها اعترافاً بفضلها · فلما توسمت فيها الاهتمام بما ستقصه اقبلت نحوها بكليتها

فلما انفردتا تنهدت عبادة تنهداً عميقاً ونظرت الى دنانير والدمع يتلألأ في عينيها وقالت « آه يا دنانير · · · ان النظر اليك يذكرني بايام سعادتي واشكرك لما لقيته من مواساتك وتلطفك في حين انّ اقرب الناس الينا نسونا او تناسونا (وغصت بريقها) ولكن الدنيا دول · · · مالنا وذاك · · · ان الامر الذي جاء بي هذه الليلة لولا خطارته ما حملتكم المشقة من اجله · · · »

فقطعت دنانير كلامها ووضعت يدها على كتفها وهي تنظر اليها مبتسمة وتقول « لا مشقة في ذلك يا سيدتي انك صاحبة الامر وعلينا الطاعة · · »

فتنهدت وقالت « انت تعرفين الفضل بن الربيع · · · »

فلما سمعت دنانير ذلك الاسم ادركت عظم الامر لعلمها ان هذا الوزير هو الذي عظم ذنب ابنها جعفر لدى الرشيد حسداً منه حتى قتله الرشيد وتولى هو الوزارة مكانه فقالت « نعم يا سيدتي اعرفه · · وما خبرهُ بعد الذي اتاهُ ؟ »

فمشى بهزاد بقدم ثابتة وخطى واسعة حتى جلس على الكرسي

وكان طويل القامة عريض ما بين المنكبين كبير الجمجمة واسع الجبهة ابيض الوجه اسود العينين غائرهما مع حدّة وذكاء خفيف اللحية صغير الشاربين وكان في نحو الخامسة والعشرين من عمره وقد تزمل بعباءة سوداء وعلى رأسه قلنسوة قصيرة ليس حولها عمامة . وكان لطوله وعرض منكبيه اذا مشى تقلع كأنه ينحط من صبب . واذا اقبل عليك حسبتهُ من الجبابرة الذين يتحدثون بعظم هاماتهم ورأيت في عينيه رقة ونفوذاً يدلان على قوة الارادة وصدق الطوية . وكان لا يُرى الاَّ مقطباً والاهتمام بادٍ في محياه على غير جفاء او خشونة . ويندر ان يضحك . ومع كونهِ قليل الكلام كثير التفكير فان مخاطبه يستأنس بهِ ويرتاح الى مجالسته ولكنهُ يهابهُ ويشعر اذا خاطبه بسلطان لهُ عليهِ

فلما جلس ابتدرته ميمونة قائلة « لقد كنا نتحدث عنك ساعة الغروب ثم ذكرناك في عرض حديث جرى لي مع سيدتي ام جعفر وانا احسبك غير بهزاد الذي ذكرته لاني لا اعرفك بهذا الاسم فاحمد الله على انك انت صاحب الجميل عليها . . »

ولاحت من دنانير التفاتة الى ام جعفر فرأتها تشير اليها برفع حاجبيها والعض على شفتها ان لا تفعل كانها تنهيها عن التصريح باسمها . فادركت دنانير غرضها . اما بهزاد فانهُ تجاهل مرادها وقال « ان اهل المدائن لا يعرفونني الاَّ بهذا الاسم لانهم رأوني فارسي السحنة فسموني بهزاد واما اسمي فهو عبد الله كما تعرفين » ثم حول نظره الى ام جعفر بانعطاف واحترام وقال « لا جميل لي ياخالة في شيء فعلته ولا اعرف اني أتيت شيئاً يستحق الثناء » . . . ثم التفت الى دنانير وقال « كيف مولاتنا ام حبيبة هل هي في خير وعافية ؟ . »

قالت « نعم وهي تتناول العشاء مع ضيفة لها في غرفة المائدة وقد كنت عازمة على الذهاب بها الى الفراش كالعادة . . »

فاظهر الطبيب انهُ لم ينتبه لعزمها وقال وهو يخفي ما يخالج ضميره من الاهتمام ويتشاغل باصلاح بند سيفه في منطقته « هل اتى غلامي سلمان ؟ »

قالت « كلاَّ ياسيدي لم اعلم انهُ جاء . . وهل انت على موعد من لقائه هنا ؟ »

قال « نعم . . كنت اتوقع ان يأتي نحو الغروب وشغلت عن المجيء اليكم حتى الآن وانا احسبهُ في انتظاري هنا » قال ذلك وهمّ بالوقوف وهو ينظر نحو الباب كانه يريد الخروج فناقشتهُ دنانير قائلة « هل تحتاج الى شيء يامولاي . . »

تعلمين نفوذها عند امير المؤمنين الرشيد فمتى عاد وسطناها لديه وهو لا يردّها خائبة فانعمي بالاً »

فتنهدت عبادة وسكتت هنيهة ثم قالت « اخشى يادنانير ان يكون في اقامتنا هنا بأس على اهل هذا القصر لان النحس ملازم لنا اليوم فلا احب ان يلحقكم شيء منه »

فتأثرت دنانير من قولها وجعلت تخفف عنها

الفصل الخامس عشر

الطبيب الخراساني

وهما في ذلك سمعتا وقع خطوات مسرعة في الدهليز فنهضت دنانير الى الباب وفتحته فرأت احد الغلمان وقف بالباب وهو يقول « ان الطبيب قد جاء يا سيدتي .. »

فابرقت اسرتها ولم تتمالك ان قالت « الطبيب جاء ؟ لقد ابطأ علينا ... دعه يدخل » قالت ذلك ورجعت الى عبادة وهي تبتسم وتقول « جاء طبيبنا الخراساني الذي ذكرت لك انه يتردد الى المدائن فلعله ينفعنا في معرفة صاحبكم الذي ذكرت انه واساكم هناك »

ففرحت عبادة بتلك البشارة ايضاً ولبثت تنتظر مجيء القادم بفارغ الصبر ولم تمض دقائق قليلة حتى سمعتا حركة ووقع اقدام فرجعت دنانير الى الباب لتستقبل القادم فلما رأته مقبلاً قالت « لقد ابطأت علينا ايها الطبيب هذه المرة جعل الله المانع خيراً »

وكانت عينا عبادة نحو الباب وقد اصلحت خمارها فاذا هي تسمع الطبيب يقول « قد ابطأت عليكم لعذر ضروري فهل انتم في حاجة اليّ » قال ذلك وفي كلامه عجمةٌ

فلما سمعت عبادة صوته خفق قلبها لانها توسمت به صوت جارهم بهزاد ثم دخل الطبيب ولم تقع عيناها عليه حتى عرفت انه هو بعينه فصاحت « هذا بهزاد ! »

اما هو فحالما رآها خلع نعاله واسرع نحوها فصافحها وتلطف في السلام عليها وقال « انت هنا يا خالة ؟ »

فقالت « اني هنا يا سيدي ... قد جئت لزيارة دنانير .. »

فبغتت دنانير لذلك الاتفاق وقالت « اذن هو بهزاد صاحبكم وهو طبيبنا ما اجمل هذا الاتفاق ... تفضل ياسيدي » واشارت الى كرسي

وقع نظرها على الطبيب بغتت وصبغ الحياء وجهها لسبب غير السبب الذي اخجل زينب . وتلعثم لسانها واصطكت ركبتاها وتحيرت بين الاطراق تخجلاً وبين ان تحيي ولي نعمتها والمحسن اليها . اما هو فلما رأى دهشتها وارتباكها تجاهل وحيّاها تحية بسيطة وتحوّل نحو زينب يظهر مداعبتها ويتلطف في تشجيعها لترد عليه السلام

ولحظت ام جعفر ارتباك حفيدتها فحسبته ناتجاً عن لقائها بهزاد على غير انتظار لانها لم تكن تعلم ما يكنّهُ ضميرها ولم يتفق انها لحظت منها شيئاً يدلُّ على غير التعارف البسيط مع الشعور بفضل الرجل عليهما . فنهضت للحال وتقدمت الى ميمونة وهي تقول « هذا هو مولانا وصاحب الفضل علينا ما بالك لا تسلمين عليه يا لمياء »

فلما سمعتها دنانير تسميها لمياء تحققت انها تريد اخفاء حقيقة حالها عن الطبيب . اما ميمونة فلما سمعت جدتها تدعوها للسلام على الطبيب تجلدت ومدت يدها فتناولها فشعر بارتعاشها و برودتها ولم تخف عليه حالها ولكنه ظل على تجاهله وابتسم لها كعادته ابتسام تلطف واكرام وقال « وانت هنا يالمياء ايضا ؟ » وعاد الى مداعبة زينب

فبالغت ميمونة في الاطراق وقد توردت وجنتاها ولو رفعت بصرها اليه لرأى بريق عينيها وشعر بما ترميه عن حاجبيها من السهام . ولكنه تغافل وحول نظره الى دنانير فرآها تراقب حركات الفتاة ولم يفتها ما كان يتجلى في وجهها من دلائل الحياء وادركت بفراستها وطول اختبارها ان ذلك ناتج عن غير الحياء وحده ولكنها استغربت ما ابداه الطبيب من الفتور كأنهُ خلي الذهن مما يجول في خاطرها . فتحيرت وتمنت لو تمكنها الفرصة من تحقق ظنها

وهي في هذه الحيرة سمعت الطبيب يقول « اين سلمان ؟ سمعتكم تتكلمون عنه »

فاشارت دنانير الى الدهليز وقالت « هو هناك ... هل ادعوه اليك ؟ »

قال « كلاّ اني ذاهب اليه » وصاح « سلمان ! » وخرج من القاعة وترك اهلها على ما ذكرناه من الاضطراب والارتباك بين مستحي ومدهوش ومعجب ومستغرب ومتهيب . فاجابه الغلام « لبيك يامولاي .. انت هنا ؟ »

فقال وهو يحتذي نعالهُ ويهمُّ بالمسير نحوه « قد استبطأتك وشغل بالي لغيابك » ومشى نحوه وهو يقول لدنانير « سأعود اليكم بعد قليل » فعلمت انه ذاهب الى المنزل الذي تعوّد الاقامة او المبيت فيه اذا جاء القصر المأموني وهو من جملة ابنية ذلك القصر الكبير . واما الطبيب فظل ماشياً وسلمان يتقدم نحوه حتى التقيا ثم سار الطبيب وسلمان يتبعه وخرجا من الدهليز الى البستان ومشيا فيه الى ذلك المنزل

قال « كلاَّ ولكنني احب ان اتحقق هل جاءَ سلمان هذا القصر اذ ربما جاءَ واقام في بعض غرف الغلمان ٠ »

فمشت دنانير وهي تقول « انا اذهب للبحث عنهُ تفضل واجلس ٠ ٠ » وهمت بالخروج لكنها لم تدرك الباب حتى سمعت جلبة وقهقهة في الدهليز فعرفت ان زينب قادمة وهي تقهقهُ لامرٍ اضحكها فضحكت دنانير سرورًا بها واطلت على الدهليز وهي تقول « مولاتي ! انتِ هنا لم تذهبي الى فراشك بعد ؟ هل آتي لأُدخلك الفراش ؟ »

ولم تتم كلامها حتى صارت زينب بجانبها وقد جاءت مسرعة وهي ممسكة بثوب ميمونة تشدُّها نحو الباب على سبيل المداعبة وميمونة تطاوعها ارضاءً لها واستئناسًا بها ٠ فابتدرتها دنانير قائلة « ما الذي يضحكك ياحبيبتي ٠ ٠ »

فصاحت الفتاة وهي تلتفت وراءها التفات مذعور مطمئن قائلة « اضحكني غلام الطبيب تعالي انظريه » واشارت باصبعها نحو الدهليز ٠ فخرجت دنانير فرأت رجلاً في لباس وقيافة لا تعهد سلمان في مثلها — رأته بعمامة كبيرة وسالفين طويلين ولحية كبيرة قد دبَّ فيها الشيب وعليه جبة مثل جبة الحاخامين فلم تتمالك عن الضحك فصاحت فيه « ويلاك ماذا اصابك ؟ »

الفصل السادس عشر

ميمونة

فانزوى الرجل في بعض منعطفات الدهليز حتى اختفى لحظة ثم عاد واذا هو سلمان بقبائهِ وسراويله وطاقيتهِ لاسالفان لهُ وعادت لحيتهُ صغيرة لا شيب فيها فزادها ذلك التغيير استغرابًا وتحوَّلت نحو القاعة لتخاطب الطبيب بما شاهدتهُ وتبشرهُ بقدوم غلامه فرأته قد وقف واسرع في الخروج ليراه لانهُ سمع مادار بشأنه ٠ لكنه لم يكد يدرك الباب حتى رأى زينب داخلة وهي تجرُّ ميمونة وراءها وتضحك ولا تعلم بوجود الطبيب هناك ٠ فلما وقع نظرها عليه تهيبت واستحيت فاطرقت برأسها واسرعت للاستتار وراءَ ميمونة

فلما رأى الطبيب خجلها تبسم لها وانحنى نحوها وهو يقول « كيف انت يا ام حبيبة ٠ ٠ » ومدَّ يده ليتداول يدها فازدادت حياءً وتراجعت حتى اختفت وراءَ ميمونة ٠ اما هذه فل

قال « نكثها الفضل بن الربيع »

قال وقد ذعر « الفضل وزير الرشيد الذي سافر معهُ في حملته هذه ؟ »

قال « نعم هو بعينه .. ان هذا الرجل اتى امرًا سيأُول الى خراب هذه الدولة مثل سعيه في قتل الوزير المظلوم وكلٌّ من الفعلين يسقط دولة فكيف اذا اجتمعا » قال ذلك وقد بدا الغضب في عينيهِ

فتهيب سلمان من غضبه وقال « وكيف كان ذلك يا سيدي .. »

الفصل السابع عشر

الخبر اليقين

قال « انت تعلم ان الرشيد لما سافر في هذه الحملة اصطحب ابنهُ المأْمون واخذ له البيعة على جميع من في عسكره من القواد وغيرهم واقرَّ له بجميع ما معهُ من الاموال وغيرها وكان ذلك بسعي الفضل بن سهل صاحب الهمة الشماء »

قال « نعم »

فقال « وسار المأْمون مع ابيه ليقيم في خراسان ولا يخفى عليك ان الرشيد بايع بالخلافة بعده لولديه الامين هذا المقيم في بغداد الآن ثم للمأْمون الذي رافقهُ في هذا السفر وان المأْمون يتولى خراسان في اثناء خلافة الامين على بغداد . والرشيد كما تعلم مريض من يوم سفره ولكنهُ كان يخفي مرضهُ .. فقد علمت من الصباح الطبري وانت تعلم تقربه من الرشيد وقد رافقهُ للوداع يوم خروجه من بغداد فقال لهُ الرشيد « لا اظنك تراني يا صباح ابدًا » فدعا لهُ واعظم قوله وانكر عليه ما يخافه فقال « ما اظنك تدري ما اجدُ في صحتي » قال الصباح « لا والله » فعند ذلك عدل الرشيد عن الطريق واستظل بشجرة وامر خواصه بالبعد عنه فلما خلا بالصباح كشف عن بطنه فاذا عليه عصابة حرير فقال « هذه علة اكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدي عليَّ رقيب فمسرور رقيب المأْمون وجبرائيل بن بختيشوع رقيب الامين وما منهم احد الاَّ وهو يحصي انفاسي ويستطيل دهري وان اردت ان تعلم ذلك فالساعة ادعو بدابة فيأْتوني بدابة اعجف قطوف لتزيد علتي فاكتم عليَّ ذلك » فدعا لهُ الصباح ثم طلب الرشيد دابة فجاؤُا بها كما وصف

وكان الطبيب يمشي مطرقاً وسلمان يسير في اثره مهرولاً وكان هذا مع طوله لا يستطيع اللحاق به وهو يمشي الهوينا، لسعة خطواته . فلما وصلا ذلك المنزل تقدم سلمان وفتحه فخلعا حذائيهما ودخلا وهمّ سلمان بسراج على مسرجة فاشعله واغلق الباب وراءه ووقف حتى جلس الطبيب على وسادة في صدر الغرفة فوق البساط وامر سلمان فقعد بين يديه وهو ينتظر امره فلما استتب بهما الجلوس قال الطبيب « ما وراءك يا ملفان سعدون »

فقال « وانت ايضاً تدعوني ملفاناً » وضحك

فقال « انك لا تزال ملفاناً حتى تنتهي مهمتنا من هذه الديار ونبلغ غايتنا . . قل ما وراءك ؟ »

قال « جئتك بخبر هام لم يطلع عليه احدٌ في هذه المدينة ولو عرفه اهلها لقاموا وقعدوا وتغيرت احوالهم . . . فضحك قوم وبكى آخرون »

فتنحنح الطبيب ونظر الى سلمان بعينين حادتين كأنهُ يخترق احشاءه ويستطلع خفايا قلبه وقال « هل عندك خبر غير موت الرشيد ؟ »

فاجفل سلمان وقال « وهل عرفت ذلك ؟ بالله ! كيف عرفتهُ وقد جاء في هذه الساعة ولم يعلم به احدٌ ولا صاحب البريد . ولو لم اشاهد اللوح النحاسي الذي يحمله سعاة البريد لاثبات مهمتهم معلقاً بالشرابة على صدره [1] لم اصدقه لغرابته فكيف عرفته ؟ »

قال « عرفتهُ ولم أرَ اللوح النحاسي ولا تحققت صدق الساعي . . . ان الرشيد مات يا سلمان فهل عرفت خبراً اهمّ من هذا ؟ »

قال « وهل اهم من هذا الخبر ؟ لقد اذهبتَ سعيي عبثاً وكنت احسبني جئتك بخبر تغبطني عليه وانا انما عرفته اتفاقاً وكلفني سبيكة من الذهب . . اني لا ازال قليل النفع لك »

فقال « بل انت كثير النفع لا يستغنى عن ذكائك ونشاطك ويكفي انك تكشف لنا عن اغراض العامة واقوالهم وكفى بالعيارين ومعاملتهم »

فقال « اني لا اراني فاعلاً شيئاً . . واظنك عالماً بالغيب فقل ما عندك اهمّ من موت الرشيد ؟ »

قال « اهم منهُ ما اتاه اصحابه من خلع المأمون ونكث البيعة . . . وسترى ما يكون من عواقب ذلك عليهم »

قال وقد دهش « نكثوا بيعة الرشيد ؟ يا لهم من قوم خائنين ومن نكثها ؟ »

---

(١) صبح الاعشى ٧١ ج ١

ومع ما تعوده من صحبته وما ألفه من احواله ما زال يجزع من النظر اليه ولا سيما في حال الغضب . واحب ان يكلمه فرآه يتحفز للنهوض وهو يقول « ولكن لا بأس على ابن اختنا وهو في خراسان بين اخواله وفيهم الفضل بن سهل فلا خوف عليه »

ونهض بهزاد فنهض سلمان معه وهو يقول « ما الذي تفعله الآن يا مولاي »

فاطرق وهو يحك جبينه بسبابته وابهامه ثم قال « لا بدّ من ذهابي الآن لامرٍ خطر لي لا يحسن تأجيله ... »

قال « وهل اذهب معك ... »

قال « كلاّ .. فاني افضل الذهاب وحدي لسبب ستعلمه .. »

فقال وهو يهز رأسه اعجاباً واستغراباً « لقد أدهشتني يا مولاي بما تكتمه وما تستطلعه كأنك تستخدم الجان .. »

قال « لم افعل شيئاً غريباً .. » واخذ يصلح قلنسوته و يعدل بند سيفه استعداداً للمسير فابتدره سلمان قائلاً « فاذا كنت لا ترى حاجة اليّ الآن فاني اذهب لاتمام مهمتي التي بدأت بها في غروب هذا اليوم ولولا تعجيلي لاطلاعك على خبر الرشيد لاتممتها قبل مجيئي ولو علمت انك تعلم الغيب . و .. »

فقطع بهزاد كلامه قائلاً « لا دخل للغيب في ما تراه وستعلم انه طبيعي ولكنني تعودت ان لا اقول شيئاً قبل تحققه وانما يقدم على كثرة الكلام اهل الطيش يجعجعون و يطنطنون ثم لا يأتون غير الكلام وعندي ان اذاعة ما ينو به المرء من الاعمال يذهب بالعزم على اتمامه — ولذلك فانك انما تسمع مني القول البات الاَّ في بعض الاحوال الشاذة لاسباب طارئة . وما اجمل ما قيل « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان »

وكان سلمان يسمع كلامه مصغياً فلما فرغ قال « انها عظة بالغة ولذلك فاني ذاهب الآن لقضاء المهمة التي بدأت بها عند الغروب ومتى انتهت اطلعتك عليها .. وارجو ان تحسن في عينيك وان لا تكون قد سبقتني اليها ... »

وكان الطبيب يسمع كلام سلمان وهو يحتذي نعاله فلما فرغا قال الطبيب « اذهب بحراسة الله وسنلتقي هنا غداً واذا لم آتِ لا تستبطئني » قال ذلك وترك سلمان في المنزل يهتم باقفاله ومشى نحو القاعة التي ترك القوم فيها

فنظر الى الصباح وركبها [1] وعاد الصباح من وداعهِ ولم يكتم ذلك عني »

فاستغرب سلمان اطلاع مولاه على كل ذلك وكيف كتمه عنهُ الى تلك الساعة ولكنه ما زال شديد الرغبة في الاطلاع على خبر الفضل بن الربيع فقال « وماذا فعل الفضل ؟ »

قال « سافر الرشيد ومعه الفضل هذا وبينهُ وبين الامين مخابرات خصوصية ولهُ فيه رأي وكلما حدث امر كتب بهِ اليهِ غير ما يبعثون بهِ على يد اصحاب البريد . فكتب الفضل الى الامين من مدة قريبة ان الرشيد اشتد مرضهُ كثيراً فكتب الامين اليه كتباً امر ان يجعلوها في قوائم صناديق المطبخ وكانت تلك القوائم منقورة والبسها جلود البقر وعهد بايصالها الى رجل من خاصته اسمهُ بكر بن معمر وقال له « لا تطلعن امير المؤمنين ولا غيره على ذلك ولو قتلت الا اذا مات فادفع الى كل انسان كتابهُ »

« ولما وصل بكر هذا الى مدينة طوس حيث كان الرشيد مريضاً بلغ الرشيد قدومه فدعا بهِ اليهِ وسأله عن سبب قدومه فقال « بعثني مولاي الامين لآتيه بخبرك » فسأله « هل معك كتاب ؟ » فقال « لا » فلم يصدقه لعلمه بما يكتمون عنه وانهم شديدو الرغبة في موته . فامر ان يفتشوا ما معه فلم يصيبوا شيئاً فلم يقتنع فامر بضربه حتى يعترف فضربوه ضرباً مبرحاً فلم يعترف بشيء حتى كادوا يقتلونه فلما خاف الموت قال للفضل ان عنده اشياء هامة فلا يعجل عليه . ولكن الرشيد مازال خائفاً مما يحمله بكر فامر بقتله فاتفق لحسن حظه ان الرشيد غشي عليه فاشتغل الناس به — ثم مات الرشيد فبعث الفضل الى بكر واخبره بموت الرشيد وسأله عن الكتب التي معه من الامين فدفعها اليهِ وهي كتاب الى اخيه المأمون يأمره بترك الجزع واخذ البيعة له على الناس لها ولكن المامون كان يومئذ بمرو . وكتاب الى اخيه صالح يأمره بتسيير العسكر وان يتصرف هو ومن معه برأي الفضل . وكتاب الى الفضل يأمره بالحفظ والاحتياط على ما معه من الحرم والاموال وغير ذلك واقرّ كل من كان هناك على عمله . فلما قرأوا الكتب تشاوروا هم والقواد في الذي يفعلونه هل يعملون بالعهود التي عليهم للمأمون فيلحقون به في خراسان ام يلحقون بالامين في بغداد . فكان من رأي الفضل ان يلحقوا بالامين وقال « لا اترك ملكاً حاضراً لآخر ما ادري ما يكون من امره » وامر الناس بالرحيل الى بغداد . ولا يمضي غير ايام حتى يصلوا الينا وقد خلعوا المامون . وما خلعوه الاّ لأن امه فارسية وهم عصبة يزعمون نصرتهم للعرب ولا ينصرون الاّ مطامعهم ولكنهم سيعلمون ما ينالهم من اخواله » قال ذلك وقد تعاظم غضبه وازداد سلمان تهيباً من منظره

(١) ابن الاثير ٨٣ ج ٦

شاورت نفسها في هل تحبه ام لا . ولو فعلت ذلك لاحترست من الوقوع لانها لم تكن ترى منهُ ميلاً ولكنها احبته وهي لا تعرف دلائل الحب

وما زالت على ذلك حتى التقت به تلك الليلة فجأَة ثم سمعته يلاطف زينب ويداعبها فتحركت الغيرة في قلبها مع علمها انه فعل ذلك تلطفاً ومجاملة . واحسَّت كأَن سهماً اصابها في قلبها . على انها تراجعت وحاولت الاقتناع ان ليس ثمة داع للغيرة فاقتنع عقلها واما قلبها فما زال في اضطراب . واخذت من تلك الساعة تتساءَل عن سبب هذا الشعور فاغتنمت اشتغال جدتها ودنانير بالطعام والحديث طفقت تفكر في سبب هذا الشعور وكلما همت ان تسأل نفسها هل هي تحبه غلب عليها الحياء وانكرت وقوعها في هذه الشراك لانها لا ترى من اعماله ما يجرئها على ذلك فتعللت بانها انما تحبه اقراراً بفضله واحسانه

ثم رأت ذلك لا يغني فتيلاً لانها تحس بانعطاف اليه غير انعطافها الى جدتها مثلاً وهي اكثر الناس احساناً اليها فتحققت انها تحبه لغير الاحسان . ولما تصورت ذلك ولم ترَ لها مندوحة عنه انقبضت نفسها لانها لم تشاهد منه شيئاً من هذا القبيل نحوها . وعادت الى ذكرى الماضي فراجعت تاريخ معرفتها به وما كان يبدو من حركاته واقواله فلم تر دليلاً على مثل ما عندها . على انها حملت ذلك منهُ على رغبته في التكتم او اظهار الجفاء مع كتمانه الحب

فكانت عبادة ودنانير تتناولان الطعام وتتحادثان وميمونة غارقة في هـذه الهواجس . وبعد الفراغ من الطعام قالت دنانير « هل تريدان الذهاب الى الفراش فاننا في اواسط الليل . . »

فقالت عبادة « اما انا فلا اشعر بحاجة الى النوم ولكن ميمونة تنام . »

فلما سمعت ميمونة قولها تذكرت ان بهزاد وعد بالرجوع حالاً واصبحت بعد ان ذهب وتركها في تلك الحيرة تودُّ ان تراه قبل الرقاد ولا سيما بعد ما ناجت بهِ نفسها من امر حبه لعلها تؤانس منه اشارة او تسمع كلمة تستدل منها على ميلهِ اليها — فلما سمعت قول جدتها ساءها ان تطيعها ولم تتعود غير الطاعة العمياء وهذه اول مرة حدثت نفسها بعصيانها ولكنها لم تجسر على مراجعتها فوقعت في حيرة وارتبكت في امرها . ولحظت دنانير ارتباكها وادركت سببه وكانت عبادة في شاغل عن عواطف حفيدتها فلم تكن تتوقع منها غير النهوض حالاً فسمعت دنانير تقول « ما لنا وللرقاد الآن دعي ميمونة معنا فان هذه الليلة من ليالي العمر عندي لشدة فرحي بكما » ثم مدت ذراعيها نحو ميمونة وضمتها الى صدرها وقالت « وخصوصاً

الفصل الثامن عشر

هل هي تحبهُ

وكانت دنانير بعد ذهاب الطبيب قد ادخلت زينب الى الفراش وسألت ميمونة اذا كانت تريد الرقاد فاظهرت انها تحب البقاء للاستئناس بها و بجدّتها ثم امرت الخدم فاعدوا طعاماً لها ولعبادة فاكلتا ولا حديث لهما غير بهزاد وكلٌّ منهما تقص على رفيقتها ما تعرفه من غرائب اطواره وعجائب احواله ولا سيما عبادة فانها اخذت تطري شهامته وانفته وكرم اخلاقه وان اهل المدائن يعدونه من الاولياء ويستغربون تكتمه . على ان التكتم زاده رفعة في اعينهم وزادهم تهيباً منه . لانك لا تزال تخاف المجهول حتى تعلمه — وعلى هذا القياس ترى الصمت يرفع منزلة صاحبه وكثرة الكلام تقلل من هيبته فاذا جهلت ما في خاطر المرء توهمت ما يكتمهُ اهم مما هو فاذا تكلم انكشف لك عن شيء تافه فكيف اذا تعودت ان تسمع بعد السكوت قولاً معقولاً . فالعقلاء يزين افواهم احتفاظهم بالكلام الى حين الحاجة والتدبر بما يقولونه فلا يلقون الكلام على عواهنه

وكانت ميمونة تسمع حديثهما عن بهزاد وقلبها يرقص طرباً لشيء تشعر به ولا تستطيع التعبير عنه . فقد عرفتْ هذا الشاب منذ عام و بعض العام ورأت منه انعطاف المحسنين وغيرة الاقربين فاحترمته واعجبت به . ثم تعودت رؤيته حيناً بعد آخر فاصبح اذا غاب استبطأته وشعرت انها في حاجة الى رؤيتــه لا يطمئن قلبها الاَّ اذا رأته ولو ماراً في الطريق . وقد زاد ارتياحها اليه لما كانت تسمعه من اطراء جدتها له وامتداحها خصاله فاصبحت اذا شاهدته او سمعت صوته يخفق قلبها واذا كلمها صعد الدم الى محياها واستولى الخجل عليها . ثم اصبح قلبها يخفق لمجرد سماع اسمه وصارت تلتذ بالحديث عنه واذا سمعت احداً ينتقده او يقبح أعماله شق عليها قوله واخذت تدافع عنه بحماس وغيرة ـ كانت تفعل ذلك وهي لاتعلم انها تحبه ولو سئلت هل هي تحبهُ لاستغربت السؤال وانكرته كل الانكار — لا تفعل ذلك نفاقاً اورياءً لكنها بالحقيقة لا تعلم انها تحبه وخصوصاً لانها لم تكن تسمع منهُ كلمة تدلُّ على حبه لها فاذا جاء المنزل كلم جدَّتها بما تحتاج اليه واذا عرضت لهُ ميمونة حياها وهو ينظر الى شيء آخر وربما سألها عن حالها سؤالاً بسيطاً بلا مبالاة او اكتراث — فلم يمنعها ذلك من الاسترسال في حبهِ لانها لم تاتِ الحب عمداً اي انها لم تعمل فكرتها ولا

متبادلة وقال «هل تتوسطين لي عندها .. ما اسرع تسلطك على قلب مولاتنا حتى استأنست لك كأنها تعرفك منذ اعوام» قال ذلك وابتسم وقد ابرقت عيناه وكادتا تبيحان بما في قلبه

واما هي فلا تسل عن حالها وما كان يتجاذبها من الخجل والامتنان والفرح لما آنسته من تلطفه وما توسمته في خلال حديثه من المغامز الدالة على حبه فسكتت واطرقت وهذا ابلغ جواب من فتاة في مثل هذه الحال لكنها لم تتمالك عن الابتسام وبان السرور في وجهها

اما هو فكأنه تنبه لنفسه وندم على ما فرط منه فافلت يدها وعاد الى انقباضه واظهر الجد والاهتمام وتحوّل عن ميمونة الى دنانير فحياها بسرعة وقال «استودعكم الله الى الغد» وخرج مسرعاً

وكانت دنانير قد لحظت ما بدا منه وسرَّها ما رأت من اهتمامه بعد ان استاءت من فتوره للمرة الأولى ولكنها تجاهلت واجابت الطبيب جواب الوداع وعادت الى ضيفتيها فقالت «ما اكثر اهتمام هذا الطبيب وما اكثر شواغله فانك لا تلبث ان تراه جالساً حتى ينهض الى شغل هام . اني لم افهم سرَّه ..»

فقطعت عبادة حديثها قائلة «هذا هو حاله معنا منذ عرفناه فمع توالي احسانه علينا لا اذكر انه جالسنا ساعة او بعض ساعة فاني ولم اره الا مهتماً مقطباً وهذه اول مرة رأيته يتبسم ولم يطل ابتسامه فعاد الى حاله»

اما ميمونة فبعد ان اطمأن بالها وفرح قلبها بما اظهره بهزاد في ذلك الخطاب ما لبثت ان عادت الى هواجسها عند ما افلت يدها بسرعة وتغير وجهه فجأة على انها تشاغلت عن هواجسها بالمحادثة وبعد قليل عادت دنانير الى الترحيب بهما ثم دعتهما الى الرقاد فذهبتا

الفصل العشرون

قاعة العيارين

اما سلمان فقد علمت انه هو الذي تنكر باسم الملفان سعدون واختلط بالعامة وصاحب رئيس العيارين خدمة لمولاه بهزاد . وقد ترك الهرش في ذلك المساء على ان يعود اليه في تلك الليلة ولو طال غيابه ويلاقيه في قاعة العيارين . وقد رأيت ان سلمان انما اسرع

حبيبتي ميمونة فاني وجدتها من العدم .. فدعيني اتمتع من رؤيتها »

ولا تسل عن فرح ميمونة بهذا الاعتذار فاشرق وجهها ولما ضمتها دنانير وقبلتها أجابتها بقبلات حارة وضحكت رغم ارادتها من شدة الفرح

الفصل التاسع عشر

موقف حرج

فأثنت عبادة على لطف دنانير ومجاملتها ولم يستتب بهن المقام حتى سمعن خفق نعال الطبيب تخفق قلب ميمونة ولكنها تجلدت . ونهضت دنانير لاستقباله فاذا هو لا يزال بلباسه وزاد عليه كوفية اعتمّ بها وارخى اطرافها حول رأسه كأنه على سفر فابتدرته دنانير قائلة « مالي ارى الطبيب مسافراً »

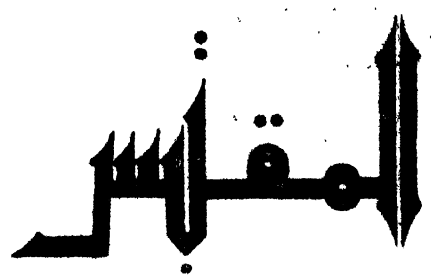
قال « لابد من ذهابي الآن لشغل هام وكنت أودُّ البقاء عندكم لولا الضرورة ولكنني سأعود في الغد ان شاء الله »

وكانت عبادة قد وقفت لاستقباله وبجانبها ميمونة فلما سمعتا قوله تقدمت عبادة حتى التقت به وهو داخل من الباب فقالت « سر بحراسة الله يا ولدي وارجو ان تعود الينا سريعاً ولا تنسانا .. »

فتقدم نحو عبادة باحترام ومدّ يده فصافحها وهو يقول « حاشا لله ان انساكِ .. » والتفت الى دنانير وقال « اني اوصيك بهذه الخالة خيراً يادنانير ... وان كنت لا ارى حاجة الى الوصاية لما آنسته من حبك لها .. »

وكانت ميمونة في اثناء ذلك واقفة وركبتاها ترتعدان وقد تولاها الخجل وكانت قد اعدت عبارة تقولها في وداعه فلما رأته نسيتها وتلعثم لسانها

اما هو فلما فرغ من وداع عبادة تحول نحو ميمونة ومد يده فقبض على يدها واحس برعشتها و برودتها فضغط عليها خلسة ووجه كلامهُ الى دنانير وقال « وهل اوصيك بالمياء .. كان يجب ان اوصي مولاتنا ام حبيبة بها .. على انني لا ارى حاجة الى ذلك وقد رأيت من تحابهما ما لا حاجة معه الى توصية بل يجدر بي الآن ان اوسط لمياء لدى مولاتنا .. من اجلي » ثم وجه خطابه الى ميمونة وهو لا يزال ضاغطاً على يدها ضغطاً ترافقه رعدة



مجلة أدبية علمية اجتماعية تصدر بالقاهرة في غرة كل شهر عربي

« لمنشئها محمد كرد علي »

قيمة الاشتراك خمسون قرشاً صحيحاً في القطر المصري وثلاثة عشر فرنكا في سائر الاقطار

« والدفع سلفاً »

AL-MOKTABAS

Revue mensuelle, littéraire, scientifique & Sociologique

"Le Caire-Egypte"

فهرست الجزء السابع من المقتبس

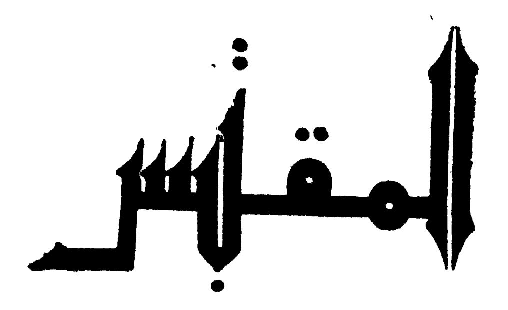
طبع بمطبعة الظاهر امام محكمة الاستئناف بمصر

الى القصر ليطلع الطبيب على موت الرشيد فلما رآه يعلم ما لم يعلمه هو من امر البيعة وغيرها رأى ان يعود بهذه الاخبار الى الهرش لعله اذا رافقه الى صاحب الشرطة يقدر ان يبغته بهذا الخبر فيزيد اعتقاده بصدق مندله

فلما ودع مولاه الحكيم احتال لتبديل ثيابه وعاد الى العمامة والسالفين واللحية والجبة واسرع الى بغلته فركبها وسار يطلب قاعة العيارين . وكان الليل قد انتصف واقفلت المنازل وطاف الخفراء يتنادون واذا رأوا غريباً اوقفوه . اما سعدون فقد كان له من لباسه وقيافته شافع حتى بلغ جسر بغداد ولم يكن له بدٌّ من المرور عليه الى البر الغربي والخفراء قائمون على طرفيه وقاعة العيارين بالحربية وراءه ثم على الجسر ولم يعترضه احد حتى دخل البر الغربي وهو بغداد الاصلية مدينة المنصور وحولها الارباض القديمة وفيها الشوارع الضيقة وقد علقت المصابيح في اوائلها ووقف الخفراء يخفرون باسلحتهم ونبابيتهم . فلما خامره الخوف منهم وقف ونادى احدهم فاسرع اليه فقال له « سر امامي الى قاعة العيارين »

فلما سمعهُ الخفير يخاطبه بصيغة الامر ورأى لباسه توهمه من اهل الذمة المقربين من الخليفة للطبابة او النجامة او نحوها . وما زال الخفير ماشياً بين يديه حتى اقبل على بناء فخيم من ناحيــة الحربية ببابهِ عيَّاران عليهما المئزر وعمامة الخوص فلما رأيا الملفان على بغلته عرفاه فتقدما اليهِ واعاناه في التحول وقالا له « ان مولانا الهرش في انتظارك وانمــا ذهب الى مكان قريب لايلبث ان يعود وقد اوصانا ان نرحب بك وندخلك القاعة تنتظره فيها »

فترجل ومشى العيار بين يديه وهو يتخطى وراءه بعكازه حتى استطرق من الدهليز الى ميدان تتطرق منه الى قاعة كبيرة فيها عدة مصابيح مــدلاة من سقفها كالثريَّا . وفي ارضها بساط عليه نقوش ووسائد ومقاعد . فدعاه العيار للجلوس على مقعد في اليمين فجلس وهذه اول مرة دخل فيها قاعة العيارين فلم يدهشهُ ماهناك من الاثاث الثمين ولكنهُ دهش لما رآه معلقاً في جدرانها من ضروب الاسلحة وادوات الحرب واصناف الحيل فشاهد فضلاً عن السيوف والاقواس والرماح انواعاً من المقاليع بين مصنوع من الجلد او مجدول من الشعر او من الحرير وكل مقلاع مخلاته بجانبه والمخالي ايضاً انواع ورأى في بعض جوانب القاعة عصياً طويلة من خشب الشوم ونحوه يثب عليها العيارون في قطع الانهر وبجانبها سلالم مصنوعة من الحبال تنتهي من اطرافها بكلاليب يرمونها على السطوح اذا ارادوا الوثوب عليها ويقال لها سلالم التسليك غير ما رآه من ادوات النفط التي يشعلون بها الخرق المبتلة بالنفط ويرمونها بالمجانيق ولم يرهناك الاَّ منجنيقاً واحداً صغير الحجم لرمي النبال او النفط



غرة رجب سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

« ابن الخناط الكفيف »

كلما نظرنا في تراجم رجال الاسلام نظر الناقد المستبصر تجلى لنا ان من نفعوا الأمة نفعاً حقيقياً هم في الاكثر ممن كانت لهم ولو مشاركة قليلة في العلوم الطبيعية والرياضية والتاريخية لان هذه الفنون تلقح فكراً جديداً وتكبر دائرة تصور المشتغل بها ولو نظر فيها نظرة إجمالية فما الحال به اذا احكمها كل الاحكام . وذاقها كما يذوقها ارباب الاحلام .

خذ لك مثالاً من ترجمة الرازي وابن تيمية والغزالي وغيرهم فقد كانوا من المتمكنين من علوم الاوائل وتواريخهم لذلك كتبت لهم الاجادة في كل ما أثر عنهم من المصنفات الدينية وغيرها . وصاحب الترجمة ابو عبد الله ابن الخناط الاندلسي هو احد الامثلة في هذا الباب إلا انه انصرف بكليته الى علوم الدنيا فافاد واستفاد ولم يصده فقد البصر عن توفر البصيرة في العلم

وكلاء المقتبس

١ القاهرة والقطر المصري ــ في مكتبة البدائع ليوسف افندي سنو في شارع محمد علي امام دار المؤيد

٢ بيروت ــ جرجي بك ديمتري سرسق

٣ دمشق ــ فارس افندي الخوري

٤ بغداد ــ داود افندي فتو الصيدلاني

٥ نيو يورك (الولايات المتحدة) ــ نجيب افندي معلوف

٦ بروفيدنس (الولايات المتحدة) ــ شحادة افندي شحادة

٧ اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) ــ يوسف افندي جرجس زخم

٨ فرت واين إنديانا (الولايات المتحدة) ــ شبلي افندي دموس

٩ ماريدا (المكسيك) ــ سلمون افندي ريحاني

١٠ ماريدا (المكسيك) ــ حنا افندي العلم

١١ سان باولو (برازيل) ــ الدكتور سعيد ابو جمرة

الاعيان والملوك والخاصة فاعترف له بمنافع جسيمة وله مع ذلك اخبار كثيرة مأثورة

عميان يؤلفون

تكاد تكون قاعدة لا تتخلف ان من فقد احدى حواسه تقوى فيه غيرها فمن فقد بصره مثلاً تقوى ذاكرنه ومن فقدسمعه يشتد ادراكه . ولما قرأت ترجمة هوميروس الشاعر اليوناني وعلمت انه كان ضريراً وقرأت ترجمة ملتون الشاعر الانكليزي وعلمت انه كان كذلك وقرأت ترجمة ابي العلاء المعري الشاعر العربي وقلت انه كان مثلهما وقرأت ترجمة ابن الحناط وقع في نفسي ان اكتب مقالاً في عميان صنفوا واجادوا ايام كان العرب يؤلفون ويجيدون

فمنهم قتادة بن دعامة كان اكمه وكان يقول لقائده سعيد بن أبي عروبة تجنب بي الحاق التي فيها الخطأ فانه ما وصل الى سمعي شيء فاداه الى قلبي فنسيه . وكذلك كان بشار بن برد رأس طبقة شعراء المولدين اكمه وغاية في ذكائه وتوقدخاطره . وكان ابن الثمانيني نحوياً الف فيه وانتفع بالاشتغال عليه جمع كثير توفي سنة ٤٤٢ هجرية وكان شمس الدين بن جابر الاندلسي ضريراً وهو صاحب بديعية العميان وله امداح نبوية كثيرة وتآليف منها شرح الفية بن مالك وغير ذلك وله ديوان شعر جيد توفي سنة ٧٨٠ . وكان ابو بكر بن هذيل الكفيف عالم أدباء الاندلس اخذ عنه صناعة الادب جماعة منهم الرمادي الشاعر القرطبي المشهور . وكان ابو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي حافظاً للآداب اماماً في علم الحساب مع انه كان اعمى مقعداً مشوه

والادب . ولا غرو فقد كان عصره وقطره مبعث النور ومنبثق الفضائل .

قال في الذخيرة : هذا زعيم من زعماء المصر كان ورئيس من رؤساء النظم والنثر في ذلك الاوان . وجمرة فهم لفحت وجوه الايام . وغمرة علم سالت باعلام الانام فكم له من وقذ لا يبرأ أميمها . ونكزة لا يسلم سليمها . وكانت بينه وبين أبي عامر بن شهيد بعد تمسكه باسبابه . وانحياش كان الى جنابه . مناقضات في عدة رسائل وقصائد اشرقت ابا عامر بالماء . وأخذت عليه بفروج الهواء . وقد اوردت من ذلك ما يكون انطق لسان بنباهة ذكره واعدل شاهد على براعة قدره

وقد ذكره ابن حيان في فصل من كتابه فقال : وفي سنة سبع وثلاثين واربعمائة نعي الينا ابو عبد الله محمد بن سليمان بن الحناط الشاعر الضرير القرطبي بقية الادباء النحارير في الشعر . هلك في الجزيرة الخضراء في كنف الامير محمد بن القاسم . وهلك اثره ابنه الذي لم يكن له سواه بمالقة فاجتث أصله . وكان من اوسع الناس علماً بعلوم الجاهلية والاسلام . بصيراً بالآثار العلوية . عالماً بالافلاك والهيئة حاذقاً بالطب والفلسفة . ماهراً في العربية واللغة والآداب الاسلامية وسائر التعاليم الاوائلية .

من رجل مرهق في دينه مضطرب في تدبيره سيء الظن بمعارفه شديد الحذر على نفسه فاسد التوهم في ذاته . عجيب الشأن في تفاوت احواله . وولد أعشى ضعيف البصر متوقد الخاطر فقرأ كثيراً في حال عشاه ثم طفئ نور عينيه بالكلية فازداد براعة . ونظر في الطب بعد ذلك فانجح علاجاً . وكان ابنه يصف له مياه الناس المستفتين عنده فيهتدي منها الى ما لا يهتدي اليه البصير ولا يخطئ الصواب في فتواه ببراعة الاستنباط وتطبب عنده

البلاد وله رواية واسعة . وكان خليفة ابي العلاء المعري في عماه وادبه وهو نحو منحاه . وكان ابو عبد الله هشام بن معاوية النحوي الكوفي ضريراً وله عدة تصانيف في النحو ومن جملة من اخذ عنه الخليفة المأمون. وكان ابو العز مظفر ابن ابراهيم العيلاني المصري الاعمى شاعراً مجيداً صنف في العروض وله ديوان توفي سنة ٦٢٣ وكان ابو القاسم بن الخطيب الاندلسي صاحب الاشعار الكثيرة والتصانيف الممتعة المتوفى سنة ٥٨١ مكفوفاً ضريراً

وكان ابو عيسى ابن الضحاك السلمي الحافظ المشهور احد الائمة المصنفين في الحديث ضريراً . وكان ابو العيناء صاحب النوادر والشعر والادب مكفوفاً كف بصره وقد بلغ الاربعين وكان ابو بكر ابن الدهان النحوي الواسطي ضريراً وهو من مدرسي النظامية . وهكذا لو تقصيت اسماء الرجال لقرأت العجب من احوال أولئك العميان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

الحق مشاع

لعل بعض الناظرين في هذا العنوان يعده خروجاً عن القصد وخطلاً في القول وضلة عن سبيل السلامة وما حكم من يبادر الى التنديد بادىء الرأي إلا حكم من استغواه الهوى واستهواه الغرض فان الحق كان ولا يزال مشاعاً بين الامم والبلدان والمذاهب وما قط كان وقفاً على أمة معينة ولا على بلد خاص ولا على مذهب معلوم . الحق كنز ثمين يأخذ كل منه بحسب استعداده واسبابه بل نور يعم العالمين على قدر خلاصهم من العوائق وبصرهم بالاستنارة به

يخطىء كل الخطأ من يذهب الى ان كل ما يعتقده أهل المذاهب والنحل لا ذل له من الحق وان اهل النحل المتعدده في الاسلام مثلاً كالاباضية

الخلقة ولكنه اذا نطق عرف كل منصف حقه

وكان العلامة ابو القاسم الشاطبي صاحب حرز الاماني والعقيلة وغيرهما المقري الفقيه الحافظ من كبار أئمة الاسلام مكفوف البصر قوي الحفظ وكان يقول عند دخوله الى مصر انه يحفظ وقر بعير من العلوم وكان عالماً بكتاب الله قراءة وتفسيراً وبحديث رسوله مبرزاً فيه وكان اذا قرئ عليه صحيحا البخاري ومسلم والموطأ يصحح النسخ من حفظه ويملي النكت على المواضع المحتاج اليها وهو اوحد في النحو واللغة. وكان ابو البقاء العكبري شارح ديوان المتنبي وغيره من الكتب الجيدة مكفوف البصر حاسباً فرضياً نحوياً ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله في فنونه وكان الغالب عليه علم النحو توفي سنة ٦١٦

وكان ابن سيده المرسي الحافظ اماماً في اللغة والعربية جمع في ذلك جموعاً منها كتاب المحكم في اللغة وكتاب المخصص الذي طبع حديثاً وله غيره من الكتب الممتعة التي لم يؤلف في فنها مثلها وكان ضريراً وابوه ضريراً ايضاً وكان ابوه قيماً بعلم اللغة وعليه اشتغل ولده في اول امره توفي ابن سيده سنة ٤٥٨ وكان يحفظ عشرات من امهات كتب اللغة. وكان ابو الحسن علي ابن عبد الغني الفهري المقري الشاعر عالماً بالقراآت له عدة تآليف توفي سنة ٤٨٨ .ومن مشايخ عبد اللطيف البغدادي الفيلسوف المشهور الوجيه الواسطي كان تلميذه يحفظه ويحفظ معه ثم يذهبان الى كمال الدين عبد الرحمن الانباري فيقرأ درسه .

وكان ابو الحزم الماكسيني الموصلي المقري النحوي المتوفى سنة ٦٠٣ جامع فنون الادب وحجة كلام العرب اخذ الناس عنه وانتشر ذكره في

أربع خصال كنَّ في معاوية لو لم يكن فيه منهنَّ إلا واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله (ص) الولد للفراش وللعاهر الحجر وقتله حجراً ويلاً له من حجر واصحاب حجر مرتين — روى ابن جرير هذا وما عدَّ من الشيعة

ورأى المنذر بن سعيد ارجوزة لابن عبد ربه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر علياً فيهم ثم وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان الى عبد الرحمن بن محمد فلما رأى ذلك منذر غضب وسب ابن عبد ربه وكتب في حاشية الكتاب

او ما عليٌّ لا برحت ملعناً يا ابن الخبيثة عندكم بامام
رب الكساء وخير آل محمد داني الولاء مقدم الاسلام

قال هذا منذر بن سعيد قاضي الجماعة بالاندلس وما عدَّ شيعياً . وكم في تاريخ السلف من أمثال هذه الانباء التي تدلنا على مبلغ حرية القوم وان الحق مشاع ليس وقفاً على فئة وان التقيد برأي واحد او عدة آراء ولاسيما في المسائل العلمية ليس من السداد في شيء بل هو سبب عظيم من اسباب انحطاط العلم في الشرق

والسنية والمعتزلة والشيعة قد ضلوا إلا قليلاً والحقيقة التي يقتضي اعتبارها ان الحق تقسم بين اهل هذه المذاهب والنحل ومن اراد ان ينشده فلا يتأتى له ذلك إلا بالنظر فيما كتبه أئمة هذه المذاهب ثم ينخل ما يقرأه وينتحل ما يراه الحق المطلق وهكذا الحال في العلم الذي هو من الاوضاع البشرية فانه ما خص بقبيل ولا بجيل بل هو موزع على القدماء والمحدثين والشرقيين والغربيين

توخيت ان أصرح هنا بهذا الفكر على جليته حباً بتقرير جملة تقطع السن من يشاغبون في كل ما لم تألفه اسماعهم ويعتقدون ان ما لم يعرفوه ولا آباؤهم ليس من الحق في شيء . فلا يعظمن على بعضهم اذا قرأوا في طريد هذه الصحيفة ما لا ينطبق مع رغباتهم فالعلم كالحق كثير الافنان والفنون لا دين له ولا نحلة وناشره معه خازن أمين يجمعه ليصرفه عند مسيس الحاجة. وربما كان فيما يجمعه كحاطب ليل يجمع بين الجيد والرديء ولا يكاد يشعر ولذلك كان على من أوتي نوراً من الحق اكثر من غيره ان يقبسه صاحبه ويدله على عوراته .

فقد خالف ابن عباس عمر وعلياً وزيد بن ثابت وكان اخذ عنهم وخالف كثير من التابعين بعض الصحابة وانما اخذوا العلم عنهم وخالف مالك كثيراً من اشياخه وخالف الشافعي وابن القاسم واشهب مالكاً في كثير من المسائل قال ابن الازرق وكان مالك اكبر اساتيذ الشافعي وقال لا احد أمنّ عليّ من مالك وكاد كل من أخذ العلم عنه ان يخالفه بعض تلامذته في عدة مسائل وما عدّ ذلك من سوء أدب التلميذ مع شيخه ولا من الخروج عن مراجعة الحق الذي توزعته عقول الناس ونال كل منهم قسطاً منه .

روى ابن جرير عن ابي مخنف عن الصقعب بن زهير عن الحسن قال

هدموا العمارات ليستعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة المسلم الصور المنحوتة بحيث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر . اطلال قلما تجدي نفعاً وتأتي العلم بفوائد وليس ما عرف عن الفينيقيين إلا ما علمناه كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقيين -- لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك تحكم نفسها بنفسها وتبعث بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لفض المصالح المشتركة وكانت صور محط رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر . واذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية خضعوا لسطوة جماع الفاتحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا لهم الجزية عن يد وهم صاغرون .

صور كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقيمت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيبون الفضة من مناجم اسبانيا وسلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة — كانت هذه المدينة مستعمرة صور ففاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي

الفينيقيون

منقولة عن الافرنجية

« صور وقرطاجنة »

وصفها فينيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية وأعلى سلسلة في جبل لبنان. بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل اودية ضيقة ومجارٍ حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسايل من الثلوج . تعبث بها العواصف الى آخر الربيع أما في الصيف فينضب ماؤها إلا ما خزن منه في الآبار والصهاريج. ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم أرز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطيء البحر وفي الاودية يمو الزيتون والكرم والتين والرمان

مدنها — تتألف عن بعد على طول الشاطيء الصخري رؤوس من البحر او جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانى أقام الفينيقيون مدنهم. فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات طبقات ست وسبع وثمان ويجلبون الماء لشفاههم في القوارب . أما مدينة جبيل وبيروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة .

الخرائب الفينيقية — لم يحفظ عن الفينيقيين كتاب فقد ضاعت حتى كتبهم المقدسة . ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملة المتروكة . على ان السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فانتهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى

مسألة تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهيأ لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراني شعوب بربرية منشقة على نفسها مختلفة كلمتها

الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر . والشمس والقمر في نظر الفينيقيين قوى هائلة تحيي وتميت . ولكل من المدائن الفينيقية ربان . فلصيدا بعل صيدون(الشمس)وعشتروت(القمر) ولقرطاجنة بعل عمون وتانيت وجبيل بعل تموز وباليت . ويختلف اسم الارباب في الاعتبارات ايجاداً وعدماً وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم مولوش ويعتبر عدماً . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين وتعبد عشتروت ربة الصيد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر والحمامة ويرسم بعل مولوش في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القلز باسطاً ذراعيه ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالا تسقط للحال في هاوية من نار . وقد قدم اعيان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا للربة مولوش في خلال حصار اغاتوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود

لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فاقامت هي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني - اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وترباً برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردي كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به تخالف بزة رصيفه واسلحته . فترى فيهم النوميديين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً . كما كنت ترى فيهم الليبين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد . وغاليين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدباً يمسكونه بكلتا يديهم . وجماعة من البالياريين مدربين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع . أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فتراقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية ينهي بها الى الحكومة

الفينيقيون على الاستخفاف بركوب اليمّ فالموا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالي افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كتب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع - كان الفينيقيون يبتاعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويجثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاصيل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الانسجة الارجوانية تستعمل عند الاقدمين كافة ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصدير من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكلترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يبتاعونه تارة كما كان يبتاع النخاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تتجر بالرقيق . وينزلون طوراً في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلبون بهم الى بلادهم او يبيعونهم في القاصية . واذا واتتهم الحال ينقلبون قرصاناً ولا يحامون إطالة يد التعدي على الاغيار

لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل ملخارت من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

اشغال الفينيقيين عاش الفينيقيون بالتجارة لازدحام أقدامهم في بقعة ضيقة من الارض . ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغاليين والطليان) عهد بركوب البحار وشق العباب والفينيقيون وحدهم جرأوا في تلك الايام على تجشم البحر فصح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة البيع والشراء يبتاعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً

القوافل -- اعتاد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والخمر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخيل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم - بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باشرعة ومجاذيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداً على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حيثما ارادوا بجعل نجمة القطب قِيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر

نفوذ الفينيقيين – لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصلحتهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت مستعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت اكثر منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاكاتها . مضى حين من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية – حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج . على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست الشعوب الاخرى هذه الابجدية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً . فقد كتب اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على التحقيق أصل الابجديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي واتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين علموا العالم الكتابة

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام تجارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فمن ثم كانوا يكتمون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من الاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزائر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعمل . وكانت قرطاجنة تغرق من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق. حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عند ما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقعة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة ونخار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية . نقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقه وقادس) وربما أقاموها في بلاد الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربة على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سيتير والرب ملخارت كما في كورنت ورب ذو جبهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في اقريطش

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب



يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و «منارا» كمنار الطريق)

(مصر—١٦ ربيع الثاني سنة ١٣٢٣—١٩ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٥)

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في الازهر)

(٢٢١: ٢٢٢) ويسئلونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن، فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله، إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين * (٢٢٢: ٢٢٣) نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين *

قوله تعالى (ويسئلونك عن المحيض) هو السؤال الثالث من الاسئلة التي وردت معطوفة بالواو وهو يتصل بما قبله وما بعده في ان ذلك من الأحكام المتعلقة بالنساء وقد كانت هذه الاسئلة في المدينة حيث الاختلاط

حسنات القرن الماضي وسيئاته

لقد تناول الانقلاب الذي طرأ على الاخلاق العامة أسلوب الطعام ايضاً فان سرعة المواصلات وسهولتها وميل الحواس الظاهرة وارتقاءها قد ابدل ضرورة الطعام بضرورة الحس الظاهر بمعنى ان الانسان رجاء ارضاء شهواته الذوقية قد تعدى حدود القناعة بان اثار الشهوات الصناعية بالتوابل الخاصة والمنبهات الداعية الى النهم حباً بالاكثار من ضروب الاطعمة والملاذ فقد انتشر فن الطبخ واجادة الالوان في الاقطار على اختلافها من حيث الحرارة والبرودة وما اختلفت كمياته وكيفياته . كل ذلك لتحقيق شهوات النفوس واذواق السكان في انواع الطعام دون النظر الى ما يحول دون ذلك من عدم الملاءمات الشخصية والمكانية مع هذه الطريقة في التغذية المختلفة الالوان والاشكال . وما اصدق ما قاله احدهم من ان ما نتناوله اليوم من الاطعمة ينقسم الى ثلاث درجات احدها لضرورة الغذاء وثانيها لضرورة الذوق وثالثها توقعاً الامراض التي تصيبنا في المستقبل . وقال شيشرون الخطيب الروماني : لقد احدث الشره من المصائب اكثر مما احدث الحرب فانه مصدر كثير من الاوصاب والادواء . فارباب الشره مستسلمون لعاداتهم في طعامهم وشرابهم بحكم الذوق لا بحكم الضرورة ولذلك تراهم عرضة لكثير من الامراض ومنهم من يغتر بما يكرعه من المياه المعدنية في فرنسا والنمسا (في فيشي وكارلسباد) وسائر البلاد التي تنبجس فيها امثال تلك المياه فترى في كل سنة يزور كلاً من تينك البلادين زهاء خمسين ألف زائر ويغرهم تسهيلها الهضم معهم حتى اذا رجعوا الى أهلهم قريرة أعينهم بما شاهدوه من التحسين في صحتهم يعودون الى سالف عاداتهم من النهم والبطنة « والبطنة كما قيل تأفن الفطنة » فيندمون

على ما فرطوا في جنب معدهم ولكن بعد ان يسبق السيف العذل

وان السواد الاعظم من العاملين الذين يتألف منهم جيش المجاهدين في الحياة ليقضون النهار في اماكن محصورة بعضهم في مصنع وآخر في غرفة عملهِ وفريق في مكتب وغيره في مخزن وكلهم يعملون بلا انقطاع بايديهم او بعقولهم فيصرفون جميعًا جزءًا عظيمًا من قواهم الطبيعية والعقلية ولا يتناولون اطعمتهم في اوقاتها ولا يرتاحون بعد غذائهم راحة كافية لتعمل الاعضاء الهاضمة عملها ولا يألفون من انواع المسليات غير اماكن القهوة ودور التمثيل فيستنشقون هواءً ملوثًا باكسيد الكربون وحامض الكربون وغيرهِ من الهواء المنبعث من تضايق مئات من الانفاس المجتمعة في اماكن مغلقة يعوزها الترويح والهواء النقي المستنشق مما يؤدي بمن يختلفون الى تلك المحالّ الى اختلال احوال الهضم والبنية والقوة وتكون ابدانهم مرتعًا خصيبًا لجراثيم الامراض وفي مقدمتها السلّ

وما جاء بهِ هذا القرن من الاعمال العلمية والعقلية والطبيعية قد اثر في محيط الناس كل التأثير وخصوصًا في الغذاء والمجموع العصبي. وما احلى ما قالهُ ارسطو من ان الانسان يريد امتاع حواسهِ ويبحث عن اسبابهِ اذ من الملذ للباصرة ان تنظر وللسامعة ان تسمع وللجلد ان يمس وللسان ان يذوق وللشامة ان تستنشق

وجملة الامر ان نشوء المجتمع الانساني في القرن التاسع عشر قد جرى بقوة الجهاد المتواصل الذي اودى بحياة مئات الالوف من الضحايا البشرية وقد نبه في المجاهدين وفي اخلافهم حب الارتقاء والتهذيب العقلي بحيث دخل الفكر الانساني في دائرة من الحركة المعجلة تسير ابدًا الى غاية لا حد لها واهلها ابدًا في قلق حرصًا على كشف اسرار الطبيعة والانتفاع بقواها المكنونة والوقوف على القوانين القائمة بها · ولئن عني الانسان بقمع جماح الطبيعة وفتح الترع وحفر القنوات وابتناء الطرق الحديدية في القفار والسهول الواسعة المتجمدة حبًا بربط القارّات بعضها ببعض فانهُ لم يعمل كل هذا رغبة في توسيع ميدان جهاده وزيادة في مصادر الثروة العامة والخاصة وبايجاد مصارف لمصنوعاتهِ بل هناك شيء من سائق الفطرة دعاهُ ان ينقل بذور التمدن الى البلاد الشاسعة في آسيا وافريقية لانها ظلت مباينة لافكار الارتقاء والشعور الانساني وهما من خير ما انتجهُ القرن من صالح الاعمال ولكن هذا الجهاد العظيم الذي اضطرت الانسانية ان تتحملهُ مدة قرن كامل قد احدث امراضًا مختلفة كما انهُ زاد الشقاء الاجتماعي واشتدت حرب الحياة بما لم يعهد لهُ نظير · نعم وقف ولاة الامر على فساد النظام الاجتماعي الحاضر وايقنوا بالحاجة الماسة الى مداواتهِ

بين العرب واليهود وهؤلاء يشددون فى مسائل الحيض والدم كما هو مذكور فى الاصحاح الخامس عشر من سفر اللاويين ومنها أن كل من مس الحائض في أيام طمثها يكون نجسا الى المساء وكل ماتجلس عليه أو تضطجع عليه يكون نجسا وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء وكل من مس متاعا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا الى المساء وان اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسا سبعة أيام وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسا الخ. وللرجل الذي يسيل منه دم نحو هذه الاحكام عندهم. وأما النصارى فقد نقل عنهم أنهم كانوا يتساهلون فى أمر الحيض وكانوا مخالطين للعرب فى مواضع كثيرة ومن شأن الناس التساهل فى أمور الدين التي تتعلق بالحظوظ والشهوات فلا يقفون عند الحدود المشروعة فيها لمنفعتهم ومصلحتهم فكان اختلاف ما عرف المسلمون عن أهل الكتاب مما يحرك النفس للسؤال عن حكم المحيض في هذه الشريعة المصلحة فسألوا كما فى حديث أنس عند مسلم والترمذي فأنزل الله تعالى على نبيه (ويسألونك عن المحيض) أي عن حكمه والمحيض هو الحيض المعروف ولا حاجة الى تقدير محل المحيض فانما يسئل الشارع عن الاحكام (قل هو أذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) قدم العلة على الحكم ورتبه عليها ليؤخذ بالقبول من المتساهلين الذين يرون الحجر عليهم تحكما ويعلم انه حكم للمصلحة لا للتعبد كما عليه اليهود . والمعنى انه يجب على الرجال ترك غشيان نسائهم زمن المحيض لأن غشيانهن سبب للأذى والضرر واذا سلم الرجل من هذا الاذى فلا تكاد تسلم منه المرأة لأن الغشيان يزعج أعضاء النسل فيها الى

حق قدره في اطالة الاعمار · ولا مندوحة للبشر اذا توفروا على اسباب النظافة والاعتدال ان يعنوا بتطهير الاخلاق العامة والخاصة من الشوائب وترقية الشعور الادبي في الافراد ومن مجموع هذه الصفات تتحقق نيات زعماء التمدن الحديث والداعين الى البلوغ به اوج الكمال· واذا القيت رائد الطرف على ما تم في الاعوام الاخيرة ادركت ان ما انبعث في النفوس من المضاء يقوي امالك في ان يتم القرن العشرون ما فات شقيقهُ الاكبر

وان ما ساعد الانسان على بلوغ درجة من الترقي فاق بها اسلافهُ في القرون الماضية هو « التعاضد والتكافؤ » فهو العمل الذي كلل هامة التمدن في هذا القرن · ورمز هذا النظام: ان من الاتحاد قوة L, Union fait la force وغاية هذا التكافوء تقوية صلات الاسرات بالمعارف الاجتماعية ومساعدة المرء العاجز عن العمل من مرض وحادث او عطلة او شيخوخة او هرم فتألفت جمعيات حديثة غايتها ان تعطي رواتب ضمانًا للحياة او في حال الوفاة وقامت بعضها باعمال خيرية وتهذيبية صناعية وبذل بعضها مجهوده لنشر المعارف العلمية في مدارس عملية وتأسيس خزائن كتب وحدائق العملة وبعضها اخذت على نفسها القيام بالاعمال الصحية وتطهير المساكن وتحسين الشروط الحيوية في العملة وتعاهد بعضهم على مقاومة السل وذلك اولا بالبحث عن اسباب الشقاء الاجتماعي ثم باحداث ملاجيء ومصاح · وتألفت بعض جمعيات للقيام بحماية الامومة والطفولة · ناهيك بان مبدأ التكافل الاجتماعي قد اشربت النفوس حبهُ في البلاد الافرنجية حتى ان فرنسا بعد ان كان فيها عام ١٨٩١ ٩١٤٤ جمعية واعضاؤها ٢٨٥ ٤٧٢ ١ ورأس مالها ٠٥٠ ٥٨٧ ١٨٣ فرنكًا قد صارت سنة ١٩٠٤ ١٨٥٠٠ جمعية واعضاؤها ٠٠٠ ٧٠٠ ٣ ورأس مالها ٣٨٠ مليونًا ودخلها ٥٤ مليونًا · وكفى بانهُ تألف في شهر ابريل فقط سنة ١٩٠٤ في فرنسا ١١٧ جمعية جديدة

هذا ولا ريب انهُ ستعظم صلات التكافوء بين مصالح الافراد ومصالح الاسرة البشرية العظمى بكثرة تلك الجمعيات الراقية وتأصل ملكة التكافل الانساني فتزيد تلك الصلات في كل يوم عن امسه توطيدا · وكيفما دارت الحال فان هذا يعد من الارتقاء العظيم في السلم الاجتماعي على حين كان معدودا من قبل من الخيالات الباطلة ولا بد ان يأتي يوم يعد فيه من الضرورات للسلامة العامة · فان افتخر القرن التاسع عشر بان بسط المشاكل الاجتماعية ومثلها على بساط الوجود فمن الفروض المحتمة على القرن العشرين ان يأتي على حلها الى عالم الشهود اه

بيدانهم تضاءلوا عن الاقدام عليهِ بداعي قلة ما لديهم من الاسباب في تخفيف نتائج حركة الارتقاء وضعف الاساس الذي يقوم عليهِ بناء المجتمع الحديث · على ان الفطرة هدتهم الى الاخذ من معارف حملة العلم في فروع المعارف الاجتماعية المختلفة والاهتداء بهديهم وخصوصاً فيما من شأنهِ ان يكون فيهِ النظافة العامة واصلاح حال الطبقة النازلة من العملة وكانت البلجيك اول الدولات التي دعت الدول الى مؤتمر صحي دولي سنة ١٨٥١ و١٨٥٢ ثم حذت فرنسا حذوها ومذ ذاك اصبحت المؤتمرات الصحية الدولية تجتمع كل سنتين في عواصم اوربا · وتنقسم هذه المؤتمرات بحسب معارف من تتألف منهم فيعنى بعضها بالمباحث المتعلقة بالامم وباحصاء حركة الشعوب العامة في كل قطر وباسباب موت الاولاد في سن الطفولية وبحفر القنوات في المدن وارواتها بماء طاهر عذب · ويعنى البعض الآخر بالامراض السارية وطرق الوقاية منها · ويدرس بعضها الانسان من حيث صنعته او حفظ صحتهِ في صناعتهِ من تغيير هواء المعامل والمصانع حيث يقيم العامل ويمس بيدهِ مواد مضرة او تركيبات كيماوية تفعل فعل السموم او مواد نباتية او معدنية تخرج منها غبرة تسبب امراضا رئوية · ويعنى بعضهم ببناء بيوت للعملة ومساكن رخيصة · ويبسط بعضهم جناح حمايته على الاطفال في المدن الكبرى ويقوم على حفظ الصحة في المدارس · ويهتم بعضهم بوقاية الناس من السل والامراض الزهرية · ويبحث بعضهم في الطرق التي تحول دون انتشار تعاطي الالكحول · وبالجملة فكلهم يد واحدة يسيرون نحو غاية واحدة الا وهي درس كثير من المشكلات الصحية وتدبير الصحة العامة ليوفروا لكل مملكة سكانها ويكثروا سوادها ولينقبوا عن اسباب من شأنها ان تؤدي بالجنس البشري الى الكمال باصلاح ملكات الطبقة النازلة وتحسين غذائهم وتطهير الارض والهواء والماء استبقاء لصحة سكان المدن العظمى وتقوية للمقاومات الحيوية في الافراد ومقاومة لغارة جراثيم الامراض السارية

وبالنظر لارتفاع كلمة الاشتراكية في اوروبا اضطرت حكوماتها والطبقة العالية من علماء الاقتصاد فيها الى القيام باعمال تضمن سلامة العملة ومستقبلهم وبعنايتهم تألفت عدة جمعيات تتوخى بذل الاحسان للبائس والفقير وجمعيات متعاضدة على حب الخير · ووافقت دور الندوة والاندية السياسية في ممالك كثيرة على قوانين تقي الشيوخ والزمنى مصارع السوء وموارد الهلكة وتقوم باودهم في اوقات مرضهم ومصائبهم · ومتى عرف الناس كافة قيمة الهواء النقي والماء الجيد السائغ وما يفعلانهِ في الصحة والخطر الذي تتعرض لهُ الحياة البشرية من فساد الارض بالمواد الالية العفنة متى عرف الناس هذا يقدرون الانطباع على الاعتدال

حفر الحروف على الواح الخشب وقدم هذه الطريقة الى الملك فيليب الثاني ملك اسبانيا ثم اخترعت طريقة للقراءة غريبة وهي استعمال الدبابيس والوسائد بدل الحروف والطروس · واخترع الماني طريقة القراءة بتجويف الورق الغليظ · وعلم بهذه الطريقة الآنسة بارديس التي نبغت في فن الموسيقى نبوغا عظيما

وتدل الاحصائيات العلمية على ان عدد العميان قد اخذ ينقص شيئا فشيئا فقد كان في انكلترا وويلس في سنة ١٨٥١ اعمى واحد من كل ٩٧٩ وفي ١٨٦١ كان فيهما اعمى في كل ١١٣٨ وفي ١٨٩١ كان فيهما اعمى واحد في ١٢٣٥ وينسب هذا النقص الى ترقي فن الجراحة البصرية واهتمام الاطباء بدرس امراض العين واعتناء الاهلين بعيون ابنائهم عند ولادتهم · وفي انكلترا وويلس ٢٥ مدرسة للعمي و٣٣ معملا لتعليم الحرف و٤٦ جمعية تختص بفحص احوال العمي وتدبير امورهم · والصنائع الشائعة التي تعلم في هذه المدارس هي عمل السلال والفرش والحصر والاكياس والحبال والمكانس والبسط والسلات والكراسي للذكور والخياطة والغزل والنسيج للاناث وقد افاض الاغنياء على هذه المدارس وهاتيك الجمعيات والمعامل ضروب العطاء وجاد كثير منهم بارزاق واسعة بعد موتهم وقفوها على تعليم العميان واصلاح حالهم

وبعد فلا يسعني بعد ان اتيت على ما اتيت عليه من اخبار العمي وتعليمهم الا ان احيي الغرب وبنيه الذين احسنوا الانتفاع بكل شيء وعلموا حتى العميان واوبخ الشرق واهله الذين اساءوا استعمال كل شيء واهملوا حتى تعليم المبصرين · فلله در ارض يبصر فيها المكفوفون ولا در در ارض يعمى فيها الناظرون وسقيا لجدث شاعرنا الذي قال

ان يأخذ الله من عينيَّ نورهما   ففي فؤادي وقلبي منهما نور

القاهرة   محمد لطفي جمعة

تعليم العميان

اهتم العالم المتمدن في الايام الاخيرة بتعليم العميان اذ رأى علماء الاجتماع انهم يصلحون لاعمال كثيرة لا يصلح لها اغلب المبصرين وذلك مثل التوقيع على آلات الموسيقى والغناء وغيرهما من الفنون الجميلة · وليس تعليم العميان في الغرب بعيد العهد كثيرا بل يرد عهده الى النصف الاخير من القرن الثامن عشر · فقد اسست سنة ١٧٨٤ في باريز اول مدرسة للعميان وكانت قراءة التلامذة في هذه المدرسة باستعمال الحروف البارزة · وفي سنة ١٧٨٦ عرض فالانتين هاي الذي اشتهر بحب الانسانية وتفانيه في خدمة بني جنسه تلامذته على الملك لويس السادس عشر وحاشيته في بلاط فرسايل · وفي تلك السنة نفسها نشر مقالة في تعليم العميان شرح فيها طريقته · ولكن هاي لم يكن غنيًا وحدث ان نضب نبع عطاء الكرام فعجز هاي عن اتمام عمله فقررت الحكومة الفرنسوية ان تاخذ المدرسة تحت حمايتها لتنفق عليها من ماليتها وكان ذلك في سنة ١٧٩١

وقد اخذت بلاد الانكليز من فرنسا تلك الطريقة الشريفة فاسست في انكلترا مدرسة العميان بليفربول وملجأ العميان في ادنبرج ومدرسة العميان في لندن وغير هذه في بلفاست ودوبلين و يورك · وفي سنة ١٨٦٨ اسس الدكتور ارمتياج جمعية معاونة العميان وكان غرض هذه الجمعية ترقية تعليمهم فاسست المدرسة الملوكية لتعليم الموسيقى وكان الغرض من تأسيس هذه المدرسة ترقية تعليم فن الموسيقى لانهُ كان الفن الوحيد الذي برع فيه العميان لسهولة تعليمهم اياهُ وقد نجح في هذه المدرسة ٨٩ في المئة وكلهم اليوم في مكنة من الكسب والتعيش بصنعتهم · وقد رأى القائمون بامر هذه المدرسة ان اهم شيء في تعليم العميان هو تقوية اجسامهم وتربيتهم تربية بدنية عقلية وذهب بعضهم الى ان العمى ليس هو السبب الوحيد في خيبة المصابين به بل السبب في خيبتهم انما هو خمولهم وضعف الارادة والعزم فيهم فادخل في هذه المدرسة كثيرا من الالعاب الرياضية كالمشي والعدو والطعن والسباق وركوب الدراجة والتجذيف والانزلاج على الثلج · وكان التهذيب العقلي يشمل تقوية الفكر وتنمية قوة الملاحظة والذاكرة وتنبيه الميل الى الدرس والمطالعة والتمرين على النطق بالتأني مع قلة الكلام · وفرض على كل طفل اعمى ان يتعلم فن الكتابة على آلة الكتابة المسماة تيبرايتر ويختص البنات بتعلم الخياطة والحياكة وصنع الحلل

واول من اخترع حروفًا لقراءة العميان اسباني اسمهُ فرنسيسكو لوكاس اخترع طريقة

شأنهم في كل حرب منذ بدأت القبائل والشعوب تغزو بعضها بعضاً للقتل والسلب والنهب وينتج عن ذلك ان الله عز وجل هو المسئول وحده عن الحرب واهواله . وهكذا يهجم التجار بون بعضهم على بعض هجوم الوحوش الضارية وقد فعلت هذه المنبهات الدينية في الرؤوس فيذبحون اخوانهم ويفادون بانفسهم للذبح راضين قانعين لان حكامهم أمروا بذلك وكهنتهم آذنوا به بل حرضوا عليه . على انهم يسيرون الى ساحة الحرب بادئ بدء بفتور همة وتردد حتى اذا تقابل الجيشان تتغير الوجوه وتلعب في القلوب روح الهمجية ونهمة القتال . فينقلبون سريعاً واي انقلاب . ولم يكونوا من قبل ليفكروا في غير بيوتهم وعيالهم المهجورة وفي النول والمحراث والمعمل وادوات الصنائع المتروكة . واما الآن فلا يهزهم سوى نهمة وحشية واحدة تراهم قد فقدوا كل عاطفة بشرية تراهم يفرحون وينهالون بسفك الدماء فيصرخون وقد ملأت رائحة الدم خياشيمهم اقتلوا اقتلوا اقتلوا . هذه هي الصورة الهائلة التي صورها كارليل

وهناك صورة أخرى تمثل الجيشين المتعادين صورها كارل مركس بقلمه . وليست الصورة هذه مشهورة كالأولى ولكن ستصبح عزيزة فريدة في المستقبل تتفوق صورة كارليل شهرة وتستمطر على موحيها ومؤلفها رضوان الله وثناء العباد . وليست هي في الحقيقة صورة بل هي نبوة قد يشاهد احفادنا تحقيقها عياناً . وصف كارل مركس اجتماع الجيشين يقتتلان كما وصفهما كارليل فهما ايضاً مؤلفان من عامة الناس الذين يقدمهم الحكام طعمة للحرب قال : ها قد دعوا الآن الى ساحة القتال ولا مصلحة تبعثهم عليه ولا غرض ولا ثأر ولا مبدأ ولا داع البتة ولا سبب يتعلق بشؤونهم الخصوصية ولا واجباً حقيقياً نحو الامة والوطن يوجب عليهم سفك الدماء الزكية ومع هذا كله ترى الكهنة بينهم يحرضون على عادتهم عملاً بتقاليد تجارتهم وبعد ان بثوا في الجيشين روح الدين — بعد ان يشحذوا في قلوب الرجال نهمة القتال يتقهقرون ساكنين ويتخذون لهم مراكز آمنة في مؤخرة العسكر . وكأنك بالجيشين قد تقابلا وصدرت اوامر القواد ولكن بدل ان يهجم الرجال بعضهم على بعض هذه المرة هجوم الاعداء تراهم قد رموا بسلاحهم الى الارض وتصافحوا مصافحة الاخوان . وعندئذ يختفي الى الابد شبح الحرب الهائل . ويهجر الكهنة والعقبان ساحة القتال آسفين . ويتنازل الحكام عن عروشهم ويتعزز الاخاء الحقيقي ويبتدئ عصر الانسانية

ومن لا يفضل صورة كارل مركس هذه على صورة كارليل : من لا يعمل استطاعته ليقرب اليوم الذي فيه تتحقق هذه النبوة ؟ ومن لا يبذل ما في وسعه في سبيل هذه الامنية الجميلة ؟ فسقياً لليوم الذي فيه يبتدئ عصر الانسانية والمحبة البشرية لبنان امين ريحاني

جيوش المستقبل

جاء في العدد الاخير من مجلة البابيروس التي ينشئها صديقي ميخائيل مونان الكاتب الاميركاني البليغ مقالة من قلمه تحت عنوان « صورتان » يقابل فيها بين كلام لكاريل في الحرب وكلام لكارل مركس (١) فاستحسنت نقلها الى المقتبس لارجاء نشر محاسن مجلة صديقي الصغيرة النفيسة التي لا تنفعها الشهرة العربية بل حرصا على بث رأي الفيلسوف الالماني الجليل وحبا بالسلم العام الذي لا يستتب كل الاستتباب الا اذا تأصلت جرثومة بغض الحرب في قلب كل انسان . لكاريل فصل مشهور يصف فيه جيشين متعادين واقفين في ساحة القتال ينتظران اوامر قوادهما على حين ليس من عداوة بين رجال الجيشين ولا ثأر ولا ترات ولا يحملهم على القتال شيء من الضغائن الشخصية ولا دعاهم الى ساحة الحرب داع من دواعي الأمة والوطنية التي يحسبها بعضهم شريفة جليلة فهم هناك امتثالا لارادة حكامهم المطلقة وطوعا لاوامرهم العالية . هم ثمت لا لاسباب لها مساس بشؤونهم العالمية ولا لدواع تستلزمها مصالحهم الخصوصية ولا لاغراض ينفعهم تعزيزها وتنفيذها ولا لمبادئ يهمهم نشرها ومعرفتها وتراهم مع هذا هجروا نساءهم واولادهم وبيوتهم وآباءهم وامهاتهم وكل ما يرغبهم في الحياة ليريقوا دماءهم الطاهرة ودماء غيرهم من الابرياء من اجل اهواء حكامهم الخبيثة او مطامعهم الباطلة . وفي كلا الجيشين كهنة يحرضون الرجال على القتال و يزينون لهم الجهاد في سبيل الأمة والوطن . يزينون لهم سفك الدماء الذي يؤهلهم الى الخلاص بالمسيح كما يزعمون . ويبرهنون لهم احسن برهان بان عملهم هذا مطابق للارادة الالهية التي يمثلها في حكامه المختارين المباركين ولما كان الكهنة يعزون مثل هذا الجهاد الى ارادة الالهية

---

(١) هو شيخ الاشتراكيين وزعيمهم (١٨١٨ — ١٨٨٣) وكتابه « رأس المال » تبه الحيل عند اصحاب هذا المبدإ . يروى عنه انه عزم مرة على السفر الى اميركا بعد ان نفي من وطنه المانيا ومن فرنسا ايضا وكان يسكن لندره اذ ذاك قانعا بشظف العيش راضيا عن الاضطهاد ثم عدل عن السفر قائلا : اذا سافرت الى اميركا فاني اتعاطى فيها التجارة ولا شك اني اغتني و يكون الغنى آخرة « كارل مركس » وفي ذلك دليل على ان التآليف اللطيفة الدقيقة الزائلة هي بنت الخفخفة والترف في الحضارة واما الكتب الموحاة الخالدة فهي غالبا بنت الفاقة وخشونة العيش . وبعد ان عدل عن السفر الى اميركا اخذ في تأليف كتابه المذكور الذي خدم به علمي الاقتصاد والعمران كما خدم داروين في تآليفه علمي النبات والحيوان

والبقاء وليس غير هذا المبدإ دافعاً عن مصلحة البلاد غارة الاوربيين لاسيما وهم يأتونها زرافات ووحدانا

ولم يكن الرؤساء بولك وكرانت وكليفلند واولنيه الاّ مريدين لمونرو وعاملين على نشر مبدإه الاقتصادي. وقد ابان احد علماء تلك البلاد بان مبدأ مونرو لم يعمل به هو ولا اشياعه من بعده وان اميركا لم تنهض حق نهضتها وذكر اثباتاً لرأيه امثلة طفيفة من تداخل الاوربيين في شؤون اميركا بالفعل دون ان تقيم الولايات المتحدة الحجة على ذلك. فحصار انكلترا سنة ١٨٤٢ لسان جان دي نيكاراغا ولمرافيء السان سلفادور سنة ١٨٥١ وقبض السفن البرازيلية سنة ١٨٦٢ انتقاماً من التعدي الذي وقع على البرنس اوف فالس كلها من الامثلة في هذا الباب. قال هذا الناقد ان مبدأ مونرو لم يسن لمعاضدة حقوق الممالك الاميركية ومصالحها بل للاحتفاظ بحقوق الولايات المتحدة ومصالحها فقط

ثم ان مبدأ التكافل الاميركي من ادنى اقاليم الالاسكا في الشمال من اميركا الى اقصى ارض النار من اميركا الجنوبية هو من الاوهام التي يصعب تحقيقها وقد حلمت زمناً بهذا التكافل جمهوريات الجنوب الصغرى الى ان ظهرت الولايات المتحدة في مؤتمر باناما سنة ١٨٢٦ بمظهر الاثرة وحب الذات. فلئن كان مبدأ مونرو هو الصلة الاساسية التي تضم شتات الاميركيين بعضهم الى بعض فان اوربا لا تعد من الاميركان غير اهل الشمال اي سكان الولايات المتحدة. وما عداهم من سكان الجنوب فحجة يتوكأون عليها وذريعة يتشبثون باهداب الدفاع عنهم في الاحايين وما معنى النهضة الاميركية الاّ انضواء الامم الاميركية الضعيفة تحت علم الأمة القديمة ملتفة حول لواء المسكنة ملتحفة ثوب الصغار والذل

وما زال الحق بجانب القوة اي ان الاميركيين يهددون بسيف قوتهم كل أمة اوربية تريد ان تستبيح حماهم فيدافعون بذلك عن حقيقتهم ومصلحتهم. فقد قيل ان الاميركي تحيط به تمائم ثلاث «التوراة والدستور ومذهب مونرو» هذه هي عدته الاجتماعية وسلاحه الذي يستعمله في جهاد هذه الدار. ولئن أُسيء استعمالها فليس من داع لملام الاميركان اذ يقضي على كل أمة ان تقضي اربها وتنال حظها ويحق لكل أمة هددت مصالحها بصالح امة متغلبة ان تقاوم جهد قوتها وتدافع عن بيضتها وان تغير غارة شعواء على من يتربص بها الدوائر فلا تتسامح مع الانانية الوطنية الاّ بقدر ما لا يضر هذا التسامح بالرغبات الخاصة المحترمة عند الشعوب الاخرى. نعم «كل يجر النار الى قرصه» و «كل امريء في شأنه ساع» ولكن يقتضي على القوي القادر ان لا يروح مدفوعاً بعوامل حب منفعته قائلاً للضعاف او

النهضة الاميركية

« معربة عن الفرنسوية »

انتشر مذهب مونرو وقوي في نفوس الاميركيين الادلال باميركيتهم فتوسعت احوال الولايات المتحدة وزادت سطة في الجاه والثروة . وحذا خلفاء مونرو حذوه في التمسك بمبدإ الاكثار من الضرائب على الواردات مع ميل بعضهم الى حب التوسع وتوفير الصلات مع البلاد الاجنبية وخفف جاكسون احد رؤسائهم مكوس الجمارك فنقص الدين العام وكان بلغ ١٢٧ مليون دولار بتخفيف الضرائب ووفي كله. ثم جاء بعد هذا من الرؤساء من حافظوا حق المحافظة على مبدإ مونرو ورفعوا سدود الجمارك من وجوه السلع الاجنبية وانذروا العالم ان من مبدئهم السياسي القويم في المستقبل الضرب على يد كل دولة اوروبيه تطمح الى ان تنشئ لها مستعمرة او تستحل لها ارضا في اميركا الشمالية وان الولايات المتحدة هي الحاكمة المتحكمة التي لا تسأل عما تفعل في تلك الاصقاع وسعوا السعي الحثيث حتى ضموا الى بلادهم يوكاتان واريغون وجزيرة سان دو مينيك . وصرح كرانت احد رؤساء الجمهورية ان الوقت ربما لا يطول وان مجرى الحوادث الطبيعية والصلات السياسية الاوربية مع اميركا قد انقضت ايامها وان الولايات المتحدة تعمل يدا واحدة مع الممالك الاسبانية الاميركية على احراز خصل السبق والذهاب بفضل العمل على الاوربيين للاستمتاع بمبدإ سنه مونرو وادامس وكلاري . وبعد خمس وعشرين سنة قام الرئيس كليفلند وصرح لانكلترا بان لجنة اميركية عهد اليها النظر في مسألة فنزويلا فاذا عبثت بريطانيا بما تقرره تلك اللجنة يكون في ذلك الحرب ويعني بذلك ان الولايات المتحدة اشتد ساعدها بحيث صارت في غنية عن الاستمداد من غيرها وانها حامية اميركا الشمالية والجنوبية معا وكان لهذا النبإ في العالم القديم (اوربا) دوي كدوي الرعد تحت سماء من الرصاص وظهر مبدأ مونرو هذه المرة سيفا لامعا في ظلمات الماضي وبه نهضت نهضة الشمير البصير .

وبعد فان المراد من النهضة الاميركية مذهب الاميركان الداعي الى التفاف اميركا برمتها حول الولايات المتحدة سياسيا واقتصاديا وذلك حرصا على مصلحة عالية اخذ مصدرها الاساسي عن مبدإ مونرو . ذاك المبدأ الذي سنه هذا الرئيس وجرى عليه العمل في ازمان رؤساء كثيرين وفيه بقاء الولايات المتحدة وضمان توسعها وتبسطها في مناحي السلطة والثروة

كذلك . ومع هذا لم يظفر سكان الشمال بطلبتهم فقد باع سكان الولايات المتحدة سنة ١٨٩٤ سكان الجنوب بضائع بمبلغ ١٣٥ مليون دولار وابتاعوا منهم غلات بمائتين وستة وأربعين مليونًا

قال الكاتب وكل ما قامت به اميركا الشمالية من الاعمال من حرب وضم ارض وفتح بلاد من ارض الجنوب ان هو الا للتفادي من ان ينال مذهب مونرو بعض ضعف وما هذه الاعمال الا دالة اصرح دلالة على ما تحوي ضلوعها من فكر الاعتداء والفتح المنطوي تحت اسم نهضة اميركا

لا يعدم الحق انصارا وان من الاتحاد قوة . فقد قام بوليفار من رجال السياسة وابطال الحرية الملقب بواشنطون اميركا الجنوبية فحرر كولمبيا وفنزويلا وبيرو وخط الاستواء وبوليفيا ثم اراد ان يجمع هذه الامم الحرة كلها في ظل العلم الدستوري ويجعلها مملكة قائمة برأسها فنسل في دعوته ثم عاد فدعاهم باسم المحافظة على مبدإ مونرو فاجابت بعض البلاد الجنوبية دعوته . وتلكأت الولايات المتحدة كثيرا كانها قالت بلسان الحال ان هذا المبدأ سن لحماية مصالح الشمال لا لمصالح الجنوب واشارت الى مندوبيها ان لا يصغيا الى ما يقرر الا باذن منها . فعرفت جمهوريات الجنوب الصغرى ان جمهورية الشمال الكبرى ليست اختهن . ذلك لان بوليفار لم ينصف كواشنطون بارادة ثابتة منظمة بل كان من شدة الحمية بحيث يستهين بروحه ويهريق دمه حبا بمصلحة العالم ويرى الامم كلها اخوة والناس احرارا سواء ولذلك لم يحسن ادارة ما افتتحه من البلاد وعمه من الطارف والتلاد

وظلت الولايات المتحدة سائرة تلتهم كل ما تصادفه في طريقها من المغانم والفرائس ومنها ضم جمهورية التكساس اليها وهي ضعفا مساحة فرنسا . ضم لم يخل من المخاطر اذ ان الولايات المتحدة تحظر الرقيق ولا تقول هذه الجمهورية بعد . وبعد جدال طويل الاذيال مع المكسيك بل بعد الاخذ بالتلابيب واشهار المكسيك الحرب على اميركا ضمت التكساس الى هذه وصارت الولايات المتحدة صاحبة القول الفصل في الشمال بالقوة ومن ذلك تداخلها في جزيرة سان دومينيك وقد انقسمت قسمين مستقلين وثارت بينهما ثائرات العداء ولكنها تلطفت في هذا التداخل . وكانت تود الحاقهما ببلادها لو لم تكن خارجة منهوكة من حرب الرقيق . ولا يزال لسان الثورات يندلع في تلك الجزيرة وكثيرا ما هددت اميركا من اجلها ولعلها تلتهمها بعد لانها واقعة بين جزيرتي كوبا وبورتوريكو اللتين بسط النسر الاميركي مخالبه عليهما . ومرفأ هذه الجزيرة « سان نيقولا » هو بمثابة جبل طارق لاميركا . وراوضت الولايات المتحدة حكومة الدانيمرك عام ١٩٠٢ في ان تبيعها جزائرها في الارخبيل « الانتيل »

المستضعفين جبارًا او رئاءً : « اني اعمل لمصلحتي لا لمصلحتكم ولكنكم اعملوا لي كما لو كنت انا اعمل لكم »

بيد ان هذه الجمهورية الكبرى في اميركا الشمالية لم تسلك مسلكًا آخر امام جمهوريات الجنوب الصغرى فان الاولى عالمة علم يقين بان ليس بينها و بين جاراتها من تكافل المصالح الا ما يفيد الولايات المتحدة في مادياتها اي ان طريقة حماية التجارة تؤدي الى الافلاس والشقاء في البرازيل والارجنتين فان هاتين المملكتين خصيبتان ولكنهما ضعيفتان من حيث الارتقاء الصناعي ولذلك اضطرتا بحكم الحاجة الى ان تفتحا اسواقهما للواردات الشمالية بدلاً من ان تغلقاها . وهاتان المملكتان مضطرتان الى تحسين صلاتهما مع الكافة لان معنى اعتزالهما تحت نير النهضة الاميركية وابتعادهما عن الاوربيين حبا بان تكونا من حروف الزوائد مع سكان الشمال انهما كسلانتان جاهلتان محافظتان على القديم مضادتان للاهواء المعادية للتمدن راغبتان في الغذاء الطبيعي الذي يحق الاجناس ويدب فيها سوس الفساد الادبي

هذا وقد نالت احدى المجلات الاميركية الشهيرة من التصريح بان الولايات المتحدة تلجأ الى القوة اذا جرى في الجنوب ما يخالف هواها . ولذا لم يستغرب احتجاج انكلترا سنة ١٨٩٥ في مسألة فنزويلا وكيف طرد الاسبنيول من جزيرة كوبا سنة ١٨٩٨ وكيف فتحت بورتوريكو وكيف كادت تباع جزائر الارخبيل الدانيمركية وكيف يخوف الاسطول الاميركي ابدا محافظا او قاهرا البحر المتوسط الاميركي حيث تمتد اصقاع سان دومينيك او فنزويلا او بناما وكيف يتجحون عند اقل فرصة ولو في حدوث مسألة خاصة ان مبدأ مونرو يأمرهم بان يحموا جمهوريات برازيل او الارجنتين او بيرو او شيلي اي ان يقوموا بشؤون تلك البلاد قيام الوصي والمعلم

واذ كانت النهضة الاميركية الاقتصادية مرتبطة بالنهضة السياسية ولا تحقق النهضة الاقتصادية لما هنالك من اختلاف المصالح التجارية بين سكان الشمال والجنوب وبعبارة ثانية بين اميركا البرتستانتية الساكسونية واميركا اللاتينية الاسبانيولية رأت الجمهوريات الصغرى ان تحتفظ بحقوقها فقاومت ما تدعو اليه الولايات المتحدة من النهضة الاقتصادية خشية ان يلحق سلامتها نقصان . فعقدت مؤتمرات حضرها مندوبو الحكومات الاوربية ومن جملة ما عقد من المعاهدات معاهدة بين اميركا الشمالية والمكسيك سنة ١٨٨٣ تدخل بموجبها سلع الشمال الى بلاد المكسيك حرة بلا جمرك كما ان الشمال يقبل حاصلات المكسيك الطبيعية

انما هو نتيجة ضعف في النفوس تأصل فيها بضعف الاخلاق و يوشك ان يرجع بهذه النفوس البشرية الى الجبلة البهيمية لو لم يقابله حكم هو اقرب لسنن الوجود واشد انحاء على الشرقيين الا وهو : فناء الضعيف في وجود القوي · سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

اذن فداء المشرق كما تبين لك عضال ومرضه خطر قتال · وهو فساد الاخلاق وضعف ملكات العلم بلوزام الحياة · ولا بد لتقويم الاخلاق من حسن المعالجة بمزاولة التربية الصحيحة واحياء موات النفوس بالفضائل التي يرشد اليها العلم · والوصول الى ذلك انما يكون باحد امرين : اما بالشعوب او بالحكومات : وفي كلا الحالين فان نهوض المشرق وقصد اهله هذا القصد يتوقف على وجود قادة في أممه وشعوبه يحسنون بهم السير و يأخذون بهم الى سبيل الرشاد · على انا نرى ان وجود القادة من زعماء الاصلاح الاجتماعي في المشرق لا يوصل الى منتهى الغرض الا اذا وجد اولئك القادة عضداً من الحكومات وناصراً من زعماء الرياسة والسياسة الذين اصبح في ايديهم قياد الامم الشرقية · ذلك لما تبت لنا من تناهي ضعف النفوس في المشرق وفقدها الشعور بالحاجة الى الاصلاح النفسي والتربية العقلية

ولنضرب لك مثلا على ذلك بمن قاموا من قادة الافكار في المشرق في عصر واحد وهو عصرنا هذا فقد سعى المركيز ايتو الياباني لانهاض قومه في اقصى الشرق فانجح سعيه ونهض باليابانيين الى أفق السعادة لما اخذ بيده امبراطور اليابان كما هو معروف · وسعى غيره كثيرون في ادنى الشرق فاخفق سعيهم لما لم يجدوا من زعماء الرياسة على الشعوب من يأخذ بايديهم و يعضد سعيهم · ذلك لان شعوب المشرق كما قدمنا قد مرنوا على الخمول لما تأصل فيهم من مرض الضعف وفساد الاخلاق الفاضلة التي تنهض بالنفوس الى ذرى الاستقلال الذاتي فاصبحوا اتكاليين لا يسعون الى عمل نافع الا اذا سيقوا اليه سوقا · واقتدوا برؤسائهم اذا كانوا لهم عونا يضاف الى هذا غرور الشرقيين ببقايا مدنيتهم الدارسة غروراً يقعد بالهمم عن تطلب غايات الكمال على ان اخفاق المخفقين انما كان في الحصول على الثمرة العاجلة التي جناها ايتو اليابان واما الآجلة فلم يكونوا يائسين من نيلها اذا ثابر الخلف من محبي خير الشعوب ومصلحي النفوس والمخلصين في النية والعمل لاقوامهم على ارشاد أمم الشرق الى سبيل النجاة واستنهاض همم ذوي المروآت من زعماء الحكومات الشرقية الى بسط جناح الرحمة على الرعية ومعونتها في القيام على اصول العلم النافع وتلمس وجوه الخلاص من براثن الفناء الذي يتهدد أمم المشرق في كل آن ولا يعدم المشرق افذاذاً من المصلحين في كل عصر توافق دعوتهم

يبلغ خمسة ملايين دولار وهي ثلاث جزائر مساحتها السطحية ٣١٠ كيلو مترات مربعة وسكانها ٣٢ ٧٨٦ . فاكتشفت في خلال هذه المدة حبالة نصبها احد اعضاء مجلس البلاد الدانيمركية وتبين انهُ ارتشى لتحقيق رغبات الاميركان . فتأخر النظر في امر الجزائر الآن ريثما تجيءُ الفرصة المناسبة (والاميركان كالانكليز لا يضيعون الفرص ولا يخترعونها)ولئن لم تسقط هذه الاجاصة في ارض الاميركان فذلك لانها الآن آخذة بالنضج وما نضجها على الصابرين ببعيد

انحطاط المشرق بانحطاط الاخلاق

بسطنا الكلام في فصل سابق عن انحطاط المشرق وابنا ثمة ان سببهُ انحطاط الاخلاق وعراقة الشرقيين في الحضارة وبلوغهم منها غاية قضت بتمكن الضعف منهم منذ زمان مديد ووعدنا بالعود الى هذا البحث واتمام الكلام عليه ووفاءً بالوعد نقول :

اشرنا في ذلك الفصل الى ان الاخلاق السافلة التي تقضي بانحطاط الأُمم وضعفها كثيرة وان ما نراهُ منها مظنة انحطاط المشرق واهله لا ينحصر بالملاذ البدنية بل هو اعم من ذلك وان عامة الاخلاق الفاضلة في المشرق قد تطرق اليها الضعف فاضعف قوى الشرقيين ونفوسهم عن النهوض مع الناهضين والتسابق مع السابقين من أُمم المغرب والخطر من هذا على المشرق عظيم يتهدد اهلهُ بناموس الانتخاب الطبيعي القاضي ببقاءِ الانسب . وحسبك دليلاً على ذلك هذا السكون المطلق الذي يخيم بسحبه المظلمة على آفاق المشرق بينما المغرب في حركة مستمرة يخترق صداها حجب الفضاءِ وتهتز لها جوانب الغبراءِ . فلو هبط الآن على الارض هابط من عالم النجوم لخيل لهُ ان المشرق واهلهُ عالم آخر لا اتصال لهُ بالمغرب لما بينهما من التباين الذي يكاد يكون مستحيلاً في نظر العقل في عصر وصلت فيه الكهربائية والبخار بين جوانب الارض واصبح فيه العلم مشاعاً بين الأُمم لايقصر عنهُ نظر المتطاول ولا يد المتناول . وما هذا التباين الاَّ اثر من آثار الاخلاق في رقيها وتدليها والانسان انما دعي انساناً مميزاً بنفسه لا بجثمانه فالنفس هي التي تعلو بهذا الانسان الضعيف حتى تبلغ به عنان السماء وتهبط به الى الحضيض حتى يلتصق خدهُ باديم الارض

فكل ما في المشرق من وهن في العزائم . وفتور في الهمم . واخلاد الى السكون . وعجز عن النهوض . وتخاذل يفرق المجتمعات . ويأكل القوميات . ونفور من العمل . واسترسال في الجهل والخمول . ورضا بالضيم واستسلام للفاتحين والمستعبدين من الغربيين

الاحتفاء بالاحياء والاموات

قرأت في الجزء الثالث من المقتبس ص ١٤٧ مقالا تحت عنوان « روح جديدة » جاء فيه ان الأمة اخذت تنصبغ بصبغة الغربيين منذ انشأت تأخذ العلوم عنهم ومن ذلك احلال رجال العلم والادب احياء وامواتا . وقد رأيت دعوى ان ذلك روح جديدة وان ذلك من اخذ الشرقيين عنهم منظور فيها اذ قد دون التاريخ من امثال هذه الاحتفالات ما لا يحصى . وما ذنبنا الا القصور بعدم التنقيب

ان الفقهاء باجمعهم على تنوع مذاهبهم عدوا من البدع تأبين الميت وذكر محاسنه ورثاءه قبل الدفن وبعده واستدلوا على ذلك بما روي من الآثار المعروفة في دواوين السنة أليس هذا لان القرون المتقدمة كان فيها شيء من ذلك: انشاد مراث وتعديد مناقب وبث حطب . بلى ولولاه لما كان لتنبيههم معنى . ولم يزل ذلك معروفا في عواصم البلاد فلا يموت عالم الا وتتلى قبل الصلاة عليه عدة قصائد وذلك قبل نفخ هذه الروح الجديدة في صور الشرق

واما تكريم الاحياء الاحياء فلم يزل يحتفل بختم دروس الكتب المهمة كالصحيحين والموطأ في دور مشايخ الحديث او احد اصحابهم احتفالا يحضره كثير من اهل الفضل والادب وان اعوزهم مدح العلم والكتاب نظما فلم يفتهم ذلك مذاكرة او لسان حال هذا الى من آثار ما كان . ما الذي كان . كان اذا ختم عالم كتابا مهما من مؤلفاته يحتفل به افاضل العصر احتفالا يذيع في كل قطر

اذكر من ذلك ما جرى عام ٨٤٢ لما ختم الحافظ ابن حجر كتابه فتح الباري شرح البخاري بالتاج والسبع وجوه بين كوم الريش ومنية الشيرج خارج القاهرة حضره من العلماء الذين حفظ التاريخ اسماءهم ثمانون بل نيفوا على ذلك واما من كان من الطبقة الوسطى فما دونها فأولئك لا يبلغهم الحصر ونظم من ادبائهم ومشاهيرهم في التنويه بهذا المشروع عدة قصائد فمن ذلك قول الصلاح الاسيوطي من قصيدة

كم للبخاري من شرح وليس كما ... قد جاء شرحك في فضل وتتميم

وقول الشهاب المنوفي مطلع قصيدة اياتها ٧٥

تمنعت بدموع الصب في حجب ... فانظر لشمس الضحى في حلة السحب

ومنها شرحت صدر البخاري مثل جامعه ... فراح ينشد هذا منتهى الطلب

ومنها هذا وحقك عام الفتح حج به ... لبيت فضلك وفد العلم عن رغب

من بعض الزعماء آذانا واعية وقلوبا رقيقة ونفوسا سامية نقية من شوائب الفساد تنطبع عليها سورة الخير وتنزع الى النهوض بالشعوب الشرقية من وهدة الذل والخمول

ورب معترض يقول ان نهوض زعماء الحكومات بالأمم امر غير متوقع الحصول لا سيما في المشرق وما دام الشرقيون قد بلغوا من الضعف ذلك المبلغ فاحر بزعمائهم ان يكونوا كذلك فالاولى ان تحث الأمم على النهوض بنفسها وترك الاعتماد على حكوماتها فالجواب عن هذا ان ذلك الاعتراض وجيه لا يقبل النقض بل هو القاعدة الاساسية في حياة الأمم لكن ذلك يجوز على اهل المغرب واما اهل المشرق فقد اقعدهم عن العمل بهذه القاعدة طول عهدهم بالجمود والخمول الناشئين عن الاغراق في الحضارة كما قدمنا وتماديهم اجيالا كثيرة في الاعتقاد بالوهية زعمائهم وما يتبعها من تسليم النفوس اليهم والتعويل في كل الشؤون عليهم وهي عقيدة وان محتها الشرائع الالهية من اكثر ارجاء المشرق الا ان ادمان الأمم عليها غادر في نفوس الشرقيين من آثارها القبيحة اعتماد الشرقيين على حكوماتهم في كل شأن من شؤونهم العامة

وهل تظن ايها القارئ ان الأمة اليابانية كانت تتحول عن مثل هذا الاعتقاد بميكادها (امبراطورها) لو لم يتنازل هو نفسه عن الوهيته بمحض ارادته وحب الخير لامته ويفهم شعبه انه بشر مثلهم لا قوة له ولا حول الا بهم ولا حظ لهم من سعادة الحياة ومسابقة الأمم الا بجدهم وهل تظن الصينيين يبلغون من الرقي مبلغ اليابانيين اذا لم يفهمهم امبراطورهم ابن السماء انه ابن الارض ويهدم بمختاره ذلك السور الهائل القائم بينه وبين امته فيقودهم الى الطريقة التي سلكها ميكادو اليابان بقومه ورفع لهم فيها بنيان الفضيلة والعلم باخلاصه وعلو نفسه . وبالاجمال فالشرق يحتاج في نهوضه الى حكوماته اذا أريد التعجيل في الحصول على الثمرة المبتغاة من دعوة المصلحين في كل قبيل منه وعند تعذر الحصول على هذه الثمرة يعدل فيه الى الرأي الآخر ولا بد في هذه الحال من قيام طائفة من كل قوم على تربية النفوس وبيان الفضائل التي تسمو بها النفس الى أفقها الاعلى حق البيان والله بحسن العاقبة كفيل

رفيق العظم　　　　حلوان

...⸺...

منتخبات من كتاب النبراس

في فلك الاقتباس لاحد شعراء الشام

لا تجهدنَّ النفس في تدبير ما حاولت في الشدة من رخاء
وهو الذي تلطفا بخلقه (يدبر الامر من السماء)

يديك التي دسمت فسمت وليس لها على حرّ بقاء
عليك اذ انكسرت لجيش هم (بنصر الله ينصر من يشاء)

قيسوا قصاياكم على من مضى (اذ انتم بالعدوة الدنيا)
واستكثروا الزاد لكي تلتقوا فيهم (وهم بالعدوة القصوى)

عباد الله لما جاهدوا في نفانسهم جهادهم الغريبا
(ما نزل) من سكينته (عليهم) سنا (واثابهم فتحا قريبا)

تجليات ربك هل احاط بكنهها لب
وهل كشف الغطا الا (لمن كان له قلب)

لمن اشاعوا سلوتي عنكم اقول ما يجب
(يا ويلكم لا تفتروا) جهلا (على الله كذب)

يا من بنظم الشعر دعواهم غدت تستوجب التنكيت والتبكيتا
ابياتكم منها الحجارة فصلت (ام تنحتون من الجبال بيوتا)

اذا دعيت لكأس صهباؤها قد تراءت
قل حيث حلت بحرم (بئس الشراب وساءت)

اقاصيص الفرنجة كم تؤدي تلاوتها الى معنى خبيث
فدعها لا تكن في العلم ممن بلهوٍ (يشتري لهو الحديث)

قالوا وداد الكريم صفه وود من لؤمهُ مزاج
فقلت (هذا عذب فرات) يحيي (وهذا ملح أُجاج)

وقول البرهان البقاعي صاحب التفسير المعروف من قصيدة

بابي الخدود نواضراً حسناتها   كنواظر الغزلان في الديار
قصدت يكون المسك حسن ختامها   فتعلمت من ختم فتح الباري

وقصيدة لشمس الدين الدجوي وقصيدة للخطيب برهان الدين المليجي وقصيدة لمحب الدين البكري اولها

حديثك لي احلى من المن والسلوى   اذا حل سمعي حرّم اللوم والسلوى

ومنها   وكم من شروح للبخاريّ عدة   طواها بفتح الباريُ اعجب لما يطوى

كساهُ جمالاً من عذوبة لفظهِ   ففازت بهِ الدنيا وسلمت الدعوى

ولهُ قصيدتان أُخريان وقصيدة لشرف الدين الطنوبي ولشمس الدين النواجي قصيدة كبرى منها

وكم طوى نشره كتاباً   على ممر الدهور سرمد
ومن يكن علمهُ عطاء   من فتح باريهُ كيف ينفد

ولما فرّق موءلفهُ صرر فضة ومجامع حلوى انشد الدجوي

بفتح الباريُ انشرح البخاري   واحمد ختمهُ بالفضل جامع
ادار دراهما صررا فأنشى   وحلوى فيهِ تأخذ بالمجامع

واذكر ايضاً ان في سنة ١١٨٨ اكمل اللغوي الشهير السيد مرتضى الزبيدي عليه الرحمة شرحهُ تاج العروس على القاموس واحتفل في داره بالتنويه بهذا المصنف البديع احتفالاً حضرهُ شيوخ الوقت وكبار الادباء كان منهم شيخ الجماعة الشيخ علي الصعيدي والدردير والسيد العيدروس والامير الكبير وعطية الاجهوري وعبادة العدوي وابو الانوار السادات ومن في طبقتهم والطبقة الوسطى وما بعدها كما فصلهُ الجبرتي. ومن المشاهير في التنويه بذوي الادب والاحتفال بهم في القرن الغابر الامير المجاهد السيد عبد القادر الحسني الجزائري ثم الدمشقي الشهير فانه كان اذا قدمت اليه مقامة ادبية يدعو للتنويه بمنشئها شيوخ الشام ويولم لهُ انفس الولائم شتاء في البلدة وصيفاً في متنزهه بدمر وقد خدم لاجله الصناعتين عدد ليس بالقليل فلكل عصر افراد وكل وقت لهُ صبغة خاصة ومهما تباينت الانواع فالجنس واحد. واما الاحتفالات القديمة التي اشرتم اليها آخر المقالة فاذكرني منها ما شرطهُ المعظم بن العادل الايوبي لكل من يحفظ المفصل للزمخشري وذلك مائة دينار وخلعة قال في وفيات الاعيان: فحفظهُ لهذا السبب جماعة ولم اسمع بمثل هذه المنقبة لغيره   دمشق   ج. ق

نظم الفلاسفة الارادة في سلك القوى الانسانية الاولى فلا نظير لها في الاهمية الا العقل الذي يضبط الفكر والواجب والحكم. ثم الاحساس الذي هو مبدأ الحواس والعواطف والشهوات . وان الذوق السليم ليتفق مع الفلسفة على وضع الارادة في الموضع الاول بين القوى البشرية وصفات الانسان الكامل . فان الارادة القوية الثابتة تتمكن من كل امر من حيث الشؤون المعنوية وكثير من الامور المادية

رجل الارادة هو وحده الحر في الحقيقة فهو رب احكامه وافعاله . يقود افكاره وعواطفه بل وخياله ويخضع كل شيء لسلطة العقل . فهو يسير بمقتضى احكام عقله و يأتمر باوامر وجدانه مع قابليته السلوك وفق قواعد الحياة التي دعته الحكمة الى اتخاذها

وفي الامكان ان يتغلب الانسان بالارادة الثابتة على الشهوات الضارة متطرفة او مهلكة وان لا يدع سلطة على نفسه لغير العواطف الكريمة والخواطر النبيلة . ولا يصغي الى العواطف الا اذا لم تقتض شيئا ينافي الواجب . فلا بد اذا من ارادة حديثة ليكون المرء امرأ خيرا فاضلاً حقيقة . وكل بمثل تلك الارادة يستطيع الكمال مهما كان مزاجه ومعايبه وكيف كانت مشاربه ومذاهبه

ويحسن في المزاولات الحيوية والاعمال اليومية العديدة التي تهمنا جدا اذ منها يتكون نسيج وجودنا ان لا نضطر الى التحاور في الفكر عند كل امر لنتبين افي العمل به تكون الفائدة ام في الامتناع عنه . ولكن يجب ان يكون لنا قواعد ثابتة وان تكفي ادنى حركة من ارادتنا المتنبهة لتوعز الينا بالجزم

فاذا كنت تعرف قيمة العفة وكان من قاعدتك ان لا تفرط في الطعام وايقنت بضرة المسكر والدخان مثلاً ثم تعددت المثيرات وتوالت الدواعي الى ما يخالف ذلك فينبغي ان تتقيها الارادة بالعزم . وتمرن الارادة يوميا على مغالبة مثل هذه الصغائر يجعلها نافذة السلطان في غيرها من الامور المهمة

لا ينال الخير في الشؤون الخصوصية والعمومية الا بالارادة . نعم ليست هي المادة الوحيدة للنجاح الا انها شرط اولي لا اثر لغيره من الشروط بدونه . فان كنا نجد لهذه القوة الحيوية اعني الارادة تأثيرا محتماً في كل امر لو نظر فيه على حدة فماذا نجد من تأثيرها في حياة يتوالى عملها فيها ؟ لا جرم ان الرجل الذي عرف ان يتملك تلك القوة يصير اليه في الغالب تعيين حظه حتى لا يدع للمصادفات والطوالع السيئة الا ادنى مالها من التأثير في حياته بحيث يكون هو الكاسب لفلاحه والباني لسعادته

التعليم والتربية

الارادة والعزم

اهتم الفرنسيس للكتاب الذي وضعهُ المسيو دومر(١) والي الهند الصينية السابق ورئيس مجلس النواب في فرنسا واحتفوا به لما وجدوا فيه من ادوية ادوائهم الاجتماعية وطرق تربية النشء تربية تقيهم آفات العصر التي ضجَّ منها العقلاء وحار في معالجتها الحكماء . وهناك سبب آخر لتلقي القوم هذا الكتاب بايدي الاعتبار وهو غير ما يتبادر للذهن من بهرج الالقاب التي تحف باسم مؤلفه . بل هو ما عرفوهُ من مبادئ نشأته ووسائل رفعته حتى كانت سيرته مثالاً يحتذى في الشهامة والاقدام واخلاقه خير وسيلة لاستكشاف اسرار النجاح . وقد تسابقت جرائدهم ومجلاتهم الى شرحه وتقريظه ونقلت حسب عادتها فصولا منهُ توضيحا للدلالة عليه والتعريف به . فآثرت تعريب هذا الفصل لشمول فائدته كل قارئ من اي قوم كان قال في الارادة والعزم :

تعلم الارادة واعمل ما ينبغي . بذلك يمكن ان تلخص النصوص العديدة التي تتخذ قواعد للحياة . ادّ الواجب وكن في الجملة رجل حق ابداً . هذه هي الوصية السامية والفريضة الادبية التي تسود في سيرة الانسان . ولا ينبغي لامتثالها ان نرغب فيها فقط بل يجب ان نكون اهلاً للعمل بها اولي ارادة وقوة تحكم على انفسنا . هذا هو المهمّ وهذا هو الصعب . من اجل ذلك كان اول ما يجب على الفتى المتقدم لاحتمال اعباء الحياة وتبعاتها ان يتأهل لامتلاك قياد نفسه فتكون لهُ السلطة المطلقة على هواهُ وخطرات قلبه كما لها على جسمه واعمال جوارحه . فاذا كان المرء كذلك اوشك ان يكون امرأً خيرا وان يقبض في الغالب على زمام حياته وقياد سعادته

كيف السبيل الى تأمين سيطرة مستمرة مثل هذه على النفس وهي تظهر متعسرة بادئ بدء وان تكن تهونها المزاولة حتى لقد تصير آلية ؟ انى لنا الصبر على الانفعالات الجاهلية وعلى الجواذب والفواتن التي تحيط بالانسان ؟ كيف نغلب الميل الى البلادة والاستسلام الى الاميال الطبيعية التي يحلو الاسترسال معها ما لم نقدر عواقبها ؟ هل ذلك ينال بتعلم الارادة والتمرن عليها

---

(١) راجع ص ١٤٨ ج ٣ من المقتبس

ودقة مستضيئاً بمصباح العقل معتمداً على جزم الارادة. وانه يمكنهُ بل يجب عليه ان يفحص كل يوم ضميره واعماله فيعتبر اليوم الذي لم يتيسر لهُ ان ينفع فيه احداً يوماً مضيعاً ثم يتفكر ويتدبر ويستمد من تفكيره حياة جديدة لعزمه وقوى عضة لحرب الحياة فان ذا الارادة القويه ليفلح اكثر من غيره فيما لا محيص عنهُ من الجهاد في سبيل الحياة اذ يكون مجبراً العمل فيما ينفعهُ وينفع ذويه وفيما يتميه ويرفعهُ ويحقق امانيه . العزم يفيد في تحصيل الرفاهية والسعادة ما لا يفيده العقل او الحظ فعلى كل من اراد النجاح في حياة تليق به ان يلتمس عزماً عريقاً في الثبات وبعد فبقيه اسباب النجح تأتي زائدة

اری في الناس عموماً والافرنسي خصوصاً لالي اليه انظر جرثومة الارادة النابتة واری فيه قوة ومتانة ظلت مهملة حتى جمدت وصارت كأن لم تكن لعدم العناية بها والالتفات الى تهذيبها . ارأيت الرجل يسترخي عضله ويضعف جثمانه اذا هو اهمل الرياضة وترك العمل . فكذلك الشأن في القوى الادبية

. اذا كما نهذب العقل في إبان الشبيبة فلنربي العزم . فقد آن للشباب الذين اوجه اليهم هذا الخطاب ان يشرعوا في هذه التربية والتنمية الادبية بانفسهم ويجب ان يكون هذا اكبر همهم . وعليهم كي يتعلموا الارادة ويحصلوا منها على نجحه ان يعزموا عليها و يمارسوها من غير انقطاع ولا استراحة ويستعملونها في تكميل انفسهم . وكل شأن من شؤون وجودهم لهُ الغاية ان يجعل الانسان ذاته رجلاً ذا عزم يملك هداه ويقتدر على ادارة حياته وتدبير اعماله وان يكون هو المنشئ لسعادته وسعادة الآخرين من بني جنسه وان يشرف بلاده وينفعها بخدمته . فيا ايها الشاب الذي تقرأ كلامي ان كنت عازماً على بلوغ هذه الغاية فاذكر الكلمة الاولى من هذا الفصل وهي تعلم الارادة . يقول معربه واضف اليها هذا البيت العربي

اذا لم تنل الحاجات من همة الفتى فليس بمغنٍ عنك عقد الرتائم

بيروت عبد المعين حلوجي

...⟶...

واما الرجل الذي لا ارادة لهُ فلا يكون لهُ من التأثير في حظه الا القليل ولو كان ذا عقل كبير فيظل أُلعوبة بيد الحدثان وامره الى الاتفاق . يجري في الحياة كما جرت فلك لا دفة لها فوق بحر هائج فهي تجري من غير ما ادارة تتجاذبها الارياح وتتدافعها المجاري الى ان تصير الى لجة تبتلعها

والجامدون من الرجال الذين فقدوا الارادة بتة هم شواذ كأُولي الارادة الثابتة المطبوعين على العزم والعمل . اما السواد الاعظم فمؤلف من ضعفاء الارادة وذوي العقول المترددة ولقد كان في امكان هؤلاء ان يكونوا احسن حالاً مما هم عليه ثبات عزيمة وسداد رأي لو تعلموا الارادة . فالتردد والحيرة اللتان تفترسانهم هما مرضان يؤولان بمرور الزمن الى شلل الارادة بالفعل . وقد تكون الحيرة والتردد في بعض الاحوال اشد النواقص خطراً وتؤديان الى الى الرزايا اذا كان صاحبهما رئيساً ما لان العزم هو الصفة الاصلية للقواد والحكام والامراء هكذا تقتضي كلتا الحياتين العمومية والخصوصية ان يعرف المرء ان يعتزم ويريد

فالارادة التي يقودها العقل اذا ما عملت في الانسان بصورة مستمرة حتى تبلغ الغاية من نشاطها ويتم لها الكمال تصير عزماً وذو العزم هو رجل ارادة وثبات واقدام وذلك خير ما يوجد في المجتمع وافيد ما فيه واندر . الاوان كل ما يقال عن مآثر الارادة فهو حق وان شئت فقل ما يقال عن مآثر العزم . العزم يحتاجه الانسان ليكون فاضلاً يصنع الخير كما يحتاجه لانشاء حظه وسعادته . وبه يربي شخصيته الادبية والعقلية ويكون حياته جمعاء . وحكم العزم نافذ في هذين الامرين الحسي والمعنوي على السواء . فذو العزم ينمو عقله وهو يتحسن ويتكمل ابداً

الطريقان المفتوحان امامنا طريق الخير وطريق الشر بينهما فرق اما طريق الشر فسهلة وهي على منحدر يستدرج فيكفي من الانسان ان يميل ميلاً حتى يتردى الى الحضيض . واما طريق الخير فهي اكثر عناء اذ ينبغي لسلوكها جهد مستمر وارادة ثابتة وبالجملة ينبغي لها عزم والعمل في اصلاح النفس وتكميلها عمل يوميّ وشغل لا ينقضي من مثابرة المكارم والفضائل لاكتسابها والتنقيب عن النقائص والمعايب لمكافحتها وازالتها وعن المبادئ التي تستدعي الحذر والشهوات التي يجب ان تقهر . هنالك الخير خيرٌ يفعلهُ الانسان لذاته وثمت خير آخر لا يقل فائدة عن ذاك وهو ما يفعلهُ الانسان مع غيره ادبياً كان او مادياً بالنصيحة والاسوة الحسنة قولاً او فعلاً

صاحب العزم الثابت لا يتحول البتةَ عن هذا العمل النبيل والصنع الجميل يقوم به بامانة

مقطوعاتهِ التي هي آيات العجائب وطرر حلل البدائع في اسنى الاغراض والمقاصد قوله يعرض لبعض الطلبة وقد استدركته بعض حلق العلم بسبتة

ان كنت ابصرتك لا ابصرت   بصيرتي في الحق برهانها
لا غرو اني لم اشاهدكم   فالعين لا تبصر انسانها

ومنها قولهُ وهو من الغريب البديع

ومصفرة الخدين مطوية الحشا   على الجبن والمصفر يؤْذن بالخوف
لها هيئة كالشمس عند طلوعها   ولكنها في الحين تغرب في الجوف

ومنها قولهُ في النصح ولهُ حكاية تقتضي ذلك

لا تبذلن نصيحة الاَّ لمن   تلقى لبذل النصح منهُ قبولا
فالنصح ان وجد القبول فضيلة   ويكون ان عدم القبول فضولا

ومنها في الحكم

ما رأيت الهموم تدخل إلاَّ   من دروب العيون والآذان
غض طرفًا وسد سمعًا ومهما   تلق همًّا فلا تثق بضمان

ومنها قولهُ وهو من المعاني المبتكرات

حزنت عليك العين يا مغني الهوى   فالدمع منها بعد بعدك مارقا
ولذاك قد صبغت بلون ازرق   اوما ترى ثوب المآتم ازرقا

ومنها قولهُ في المعاني الغريبة في التفكر في المعاني

أبحث فيما انا حصلتهُ   عند انغماض العين في جفنها
احسبني كالشاة مجترة   تمضغ ما يخرج من بطنها

ومنها وقال ومما نظمته بين اندرش و برجة عام اربعة واربعين وانا راكب مسافر وهو مما يعجبني اذ ليس كل ما يصدر عني يعجبني قال لسان الدين ويحق لهُ ان يعجبهُ

تطالبني نفسي بما ليس لي به   يدان فاعطيها الامان فتقبل
عجبت لخصم لجَّ في طلباته   يصالح عنهُ بالمحال فيفصل

ومنها

رعى الله اخوان الخيانة انهم   كفونا مؤُنات البقاء على العهد
فلو قد وفوا كنا اسارى حقوقهم   نراوح ما بين النسيئة والنقد

صحف منسية

جملة من نثر ابن الحناط

فصل له من رقعة: الاسهاب كلفه . والايجاز حكمه . وخواطر الالباب سهام يصاب بها اغراض الكلام . واخونا ابو عامر يسهب نثرا و يطيل نظما شامخا بانفه . ثانيا من عطفه . متخيلاً انهُ قد احرز السباق في الآداب . وأوتي فصل الخطاب . فهو يستقعد اساتيذه الادباء ويستجهل شيوخ العلماء

وابن اللبون اذا ما لزّ في قرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

وهذه قصيدة انشأتها في ليلة كأنما سماؤها روضة تفتحت النجوم وسطها زهراً . وتفجرت المجرّة خلالها نهرا او واد يسيل بعسجد . على رضراض زبرجد . فلما اصبت الغرة . واقصدت الثغرة تقلبت مرارا . وتناومت غرارا . حتى نبهني الفجر ببرده . وسربلني الصباح ببرده . وهببت من النومة وصحوت من النشوة . زففتها اليك بنت ليلتها عذراء . وجلوتها عليك كريمة فكرها حسناء . تتلفع بحبرة حبر . وتتبختر في شعار شعر . مؤتلف بين رقها ومدادها . وتجتمع في بياضها وسوادها . الليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . رقعتها كافور نمم بمسك . وختامها ياقوت نظم في سلك . تحسب خطها تيم لفظها فتشكا . وتخال القلم رقّ لما به فبكى . فانشدها اخاك الشهيدي وكلفه على العروض والقافية معارضتها . واحمله على اللين والشدة مقارضتها . فستوقد بقلبه قبسا . وتضرب في اذنه جرسا . فستتبين به حظه وتتعرف فضله . وختم الرقعة بابيات

اقصر عن لومي اللائم   لما درى اني هائم
مازلت في حبه منصفا   من لم يزل وهو لي ظالم
أسهر ليلي غراما به   وهو اخو سلوة نائم

ومن شعره في قصيدة في ابن حمود

ولم ار مثلي كيف صار بقلبه   من الوجد بركان وفي الجفن طوفان
ولا مثل هذا العدل كيف اعاده   عليَّ وقد مرّت على الظلم ازمان

شعر البلفيقي

كان ابو البركات محمد البلفيقي احد اساطين العلم والادب في القرن الثامن ببلاد الاندلس معروفا بالصلاح موسوما بالعلم . قال لسان الدين بن الخطيب في الاحاطة ومن

الطابع المنوه به بالاجزاء التسعة التي صدرت من الكتاب في هذه العاصمة ولا يزال يواصل اكمال السبعة الباقية منه فكانت لجودة طبعها وجلاء ورقها ورونق حرفها تضطرنا الى الاستغراق في تلاوتها الساعات وقد استفدنا أموراً ما كنا نظن احداً من الفقهاء حرك فيها بناناً ولا غرو ففي مذهب مالك من التوسع في العبادات والمعاملات ما لا تراه في غيره ولذلك كتب الله ان ينتشر في شمال افريقية حيث كثر اختلاط الناس بالافرنج قديماً وحديثاً ولا يسعهم في الاغلب الا مجاراتهم في شؤون معاشهم . فنثني على الطابع بما هو اهله ونتمنى ان يحذو حذوه كل طابع في اختيار اجود الورق والحروف وانتقاء خيرة المصححين لنقول انا جارينا المرتقين في طباعتهم وماثلناهم في تفانيهم بنشر الامهات من كتب امتهم

مجلة عرفات

لصاحبها العالم العامل محمود بك سالم من رجال الاصلاح في هذه الديار وهو ممن جمعوا الى العلوم الحديثة العلوم القديمة وضموا الى المدنية تديناً . نشر في العام الماضي جريدة باللغة الفرنسوية بهذا الاسم تبحث فيما تمس حاجة الاسلام الى التعريف به عند من يجهله وحاجة المسلمين الى ما ينفعهم و يعلي كلمتهم وقد جعل جريدته منذ مدة في قالب مجلة ليتيسر جمعها وحفظها و يتسع معه الوقت لانتقاء موضوعاتها . اتحفنا بما صدر من عرفات جريدة ومجلة فطالعنا منه طرفاً صالحاً لم تزدنا بالرجل تعريفاً ولم تكن على غيرته واخلاصه دليلاً جديداً وكفى في الاشادة بذكر صاحب المجلة بانه يبذل وقته وعلمه ودرهمه في خدمة أمته فاكرم بابوين يهذبان مثله و ببلاد تخرج النوابغ اذا علم ابناؤها العلم الصحيح والآداب الطاهرة . وفي هذا المقام نقترح على العالم المشار اليه ان يتفضل ولو بنشر ملحق صغير مع كل جزء يلخص فيه الى العربية ما ينبغي لقرائها ان يطلعوا عليه . والمجلة ترسل مجاناً لمن يطلبها

لامية العجم ولامية ابن الوردي

شرح الكاتب الاديب حكمت بك شريف لامية العجم للطغرائي الكاتب الشاعر المشهور المتوفى سنة ٥١٥ ولامية ابن الوردي الفقيه الاديب المتوفى سنه ٧٤٩ شرحاً موجزاً ينتفع به طلاب الادب و يعين على فهم ما أبهم من الفاظهما وتراكيبهما

مطبوعات ومخطوطات

المدونة الكبرى

الامام مالك بن انس عالم المدينة وامام دار الهجرة والمحدث الاعظم المتوفى سنة ١٧٩ اخذ العلم عن تسعمائة شيخ فاكثر وما افتى حتى شهد له سبعون اماما انهُ اهل لذلك وكتب بيده مائة الف حديث وجلس للدرس وهو ابن سبعة عشر عاما قال الشافعي اذا جاء الاثر فمالك النجم واذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم لحفظه واتقانه وصيانته وما احد امن عليَّ في الله من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى. وقال الشافعي قال لي محمد بن الحسن ايهما اعلم صاحبنا ام صاحبكم يعني ابا حنيفة ومالكا رضي الله تعالى عنهما قال قلت على الانصاف قال نعم. قال: قلت ناشدتك الله من اعلم بالقرآن صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال قلت ناشدتك الله من اعلم باقاويل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم المتقدمين صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال الشافعي فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى اي شيء نقيس

هذا هو الامام مالك وهو غنيٌّ عن التعريف بعد ان قال ابن عبد البر ان الناس الفوا في فضائله كتبا عديدة. وناهيك بمن يشهد له الشافعي مثل تلك الشهادة وهو صاحب الموطإ المشهور احد الكتب الستة في الحديث النبوي وعنهُ روي الامام سحنون بن سعيد التنوخي عن الامام عبد الرحمن بن القاسم العتقي كتاب المدونة الكبرى في فقه مالك. وهذا السفر الجليل عند المالكية ككتاب الأم عند الشافعية وقد ظلّ قرونا في خزائن الكتب مخطوطا لا ينتفع به الا افراد حتى قيض له الفاضل الحاج محمد الساسي المغربي فبذل ما بذل للحصول على نسخة قديمة منهُ كتبت بعد المئة الرابعة على رقّ صقيل وخط جميل فكانت النسخة الاصلية ملوكية كما يقولون بل اكثر من ملوكية خصوصاً وعليها حواش مطرزة باقلام النقات من اهل المذهب كالقاضي عياض واضرابه

وماذا عسانا نقول في الاشادة بهذا العمل الشريف ولو عني المشتغلون بالطباعة منذ قرن بطبع الكتب الدينية واللسانية والعلمية على هذا الوضع والنحو واختاروا الأمهات الممتعة وجعلوها مقدمة بين يدي نجواهم لربحوا اكثر مما ربحوا وافادوا اكثر مما افادوا. وقد اتحفنا

تبيان التعليم

لحضرة العالم الاصولي ذي المعزة السيد احمد بك الحسيني من رجال الفضل والنبل في هذه العاصمة يد طولى في وضع المصنفات الاصولية والفقهية النافعة فبالامس نشر كتاب دليل المسافر ونهاية الاحكام والقول الوضاح والقول الفصل واليوم نشر رسالة سماها تبيان التعليم في حكم غير المبدوء ببسم الله الرحمن الرحيم وما اصدق ما قاله في مقدمتها : « والمسئول ممن وقف على ما كتبته ان يدع الهوى والتقليد ولا يسترسل في مدح القديم وذم الجديد بل ينظر الى المقال بعين الانصاف والاعتدال ولا ينظر الى من قال فالرجال يعرفون بالحق وليس الحق يعرف بالرجال »

الدليل الى البرازيل

كتاب ادبي اجتماعي انتقادي لمؤلفه الاديب جرجي افندي توما الخوري ضمنه وصف المشاهد والآثار التي رآها منذ غادر سورية الى ان وصل برازيل وذكر ما يلقاه المسافر والمهاجر مازجا الجد بالهزل احيانا . وقد قدر عدد السوريين في برازيل وحدها بخمسين الفا وامتدح من صحفهم العربية وارباببها الا انه تمنى لو ابطلت عادة نشر الرسائل المأجورة في الجرائد وفي الكتاب فوائد لا يستغني عنها المقيم والمسافر

الدين في نظر العقل الصحيح

هي مقالات كان نشرها في مجلة المنار الغراء الدكتور النطاسي الفاضل محمد توفيق صدقي في العقيدة الاسلامية واثبات صدق النبوة المحمدية على وجه اقرب الى عقول المتعلمين وقبول المدنيين وفي آخرها مقالة في حكمة نجاسة الكلب والخنزير وتحريم لحمهما فجاءت في ١٦٠ صحيفة صغيرة وافية بالغرض تدل على بعد غور كاتبها . وثمن النسخة قرشان ونصف تطلب من مكتبة المنار بشارع درب الجماميز

الاجوبة المسكتة

تأليف الاديب الاريب احمد افندي صابر جمع فيه ما شاق وراق من الاجوبة اللطيفة التي فتح بها على كبار العرب والفلاسفة قديما وغير ذلك توخى فيه الايجاز والاقتضاب فجاء كتابه في ١٨٠ صحيفة صغيرة مطبوعة طبعا نظيفا على ورق جيد . وعساه يضيف اليه في الطبعة الثانية ما اخره بالقصد من المواد التي لها علاقة بالكتاب ويردفه بما هو شائع اليوم على السن القوم من هذه الاجوبة الادبية اللطيفة التي قد تقع لاحد العامة فيستفيد

السل الرئوي

افرد اجدادنا ايام كانوا يشتغلون بالعلم على انواعه بعض الادواء بالتأليف لاهميتها وانتشارها كما فعل الرئيس ابن سينا وابو مروان بن زهر وابو الوليد بن رشد وحنين بن اسحق و يوحنا بن ماسويه و يعقوب بن اسحق الكندي وثابت بن قرة الحراني وابو بكر الرازي وغيرهم . وكلما ارتقت العلوم أفرد كل فرع منها بكتب وانصرف اليها ناس بحسب الحاجة . واماما الآن كتاب في الوقاية من السل الرئوي وطرق علاجه من تأليف العالم النظامي الدكتور خليل بك سعادة من المتميزين في الطب والعلم والمشهود لهم بالاجادة في إحكام العربية والانكليزية على ما علم ذلك من تآليفه باللغتين ورسائله في بعض جرائدهما ومجلاتهما

والكتاب موضوع على اسلوب عربي في قالب عربي بعزو فيه معظم المواد لقائليها قسمه ابوابا تدعو المطالع الى مطالعته لما حوى من الفوائد الصحية والعلمية وقد قدم له مقدمة تدل على علو كعبه وبيانة نيته قال : « يقتل السل الرئوي كل عام بعدد ملايين من البشر فيربو عدد قتلاه في بضع سنين على سائر مجموع القتلى الذين سقطوا في ميادين الوغى ايام معارك الاسكندر وهنبال وقيصر و بونابرت والحرب الاهلية الاميركية وحرب السبعين والحرب اليابانية الروسية » وبعد فيحق للعربية ان ترحب بهذا الكتاب الجليل وهو في ٣٢٥ صحيفة جيدة الطبع والورق و يطلب من مكتبة المعارف وثمن النسخة عشرة غروش صحيحة

وقاية الاسنان

لما أُلقيت الينا هذه الرسالة ظنناها مبتكرة ولكن بدا لنا فذكرنا ان لابن ماسويه كتابا في السواك والسنونات ولحنين بن اسحق كتابا في حفظ الاسنان واللثة أُلفت بالعربية منذ نحو الف سنة وما يدرينا ان كان السلف الف في هذا الموضوع ايضا كما الفوا في موضوعات لا يكاد ابن هذه العصور يظن انها خطرت لهم على بال . وهذه الرسالة هي للفاضل الدكتور علي بك بقلي الطبيب الاختصاصي بامراض الفم والاسنان تكلم فيها على كل ما له علاقة بالاسنان والاضراس والانياب وصحتها وسقمها وهي نافعة في بابها وثمنها خمسة غروش صحيحة فنشكر له همته

نيل المراد

رسالة في تشطير الهمزية والبردة وبانت سعاد للشاعر الاديب الشيخ عبد القادر سعيد الرافعي علق عليها شرحا يفسر كلماتها اللغوية فجاءت لطيفة الاسلوب مقبولة عند طلاب هذا الفن وهي تطلب من مكتبة نجل المؤلف في السكة الجديدة

تدبير الصحة

الخبز الابيض

ما زال علماء الصحة يوصون بالاعتماد على الخبز الاسمر بدل الابيض وقد انذر احد رجال الاميركان الآن ان من يعتمد في طعامه على الخبز الناصع البياض يصاب بالهزال وفقر الدم اذ ان هذا البياض لا يكون الا بوسائط صناعية تستلب من الخبز صفاته المغذية

اللحوم والبقول

اثبت احدهم ان الانسان خلق ليغتذي باللحوم — خلافاً لرأي القائلين بان البقول هي خير ما يعتمد عليه المرء في تغذيته — قال ومما لا ينكر ما يحدث تناولها من اضطراب في المعد عند كثير من الناس لكن ذلك ينشأ من طريقة الاكل لا من الطعام نفسه وقلة المضغ في الغالب تضر الهضم وتجعل فيه عسراً

جمع الحواس

طلبت احدى المجلات اليابانية من الكتاب ان يوافوها بما يرونه من انجع الاسباب واحسن الطرق وابرك الساعات لجودة التصور فقال بعضهم ان الفكر لا يجري بدون تأمل وهو محتاج لجمع الحواس . وقال بعضهم ان احسن الساعات للافتكار هي عند الانتباه من النوم صباحاً اذ يكون الدماغ مستريحاً ولذلك كان من احسن الامور القاء الدروس على التلامذة صباحاً . وآثر آخر ان يبدأ المرء بعمله بعد التنزه ومن ذلك تعظم فوائد الدروس التي يتلقاها الطالب في صفوف تقام بعد الرياضة البدنية . وارتأى آخر ان البداءة بالعمل العقلي ينبغي ان يستعد لها بالقراءة واوصى الاساتذة ان يعمدوا الى هذه الطريقة

القيلولة

هي نوم الظهر والراحة فيه لا غنية لسكان البلاد الحارة عنها وقد يستغنى عنها في البلاد الباردة . وقد اخذ اهل العلم في انكلترا يتناقشون هذه الايام في فائدتها وخصوصاً لطلبة المدارس لان هؤلاء يصرفون من دقائق الدماغ كل يوم جانباً كبيراً في استخدام القوى المفكرة والباحثة والمدققة والمشبهة والحاكمة لخالتهم والامر على ما ذكر تستدعي راحة اعظم

منها الخاصة والعامة معا . والكتاب يطلب من مؤلفه بديوان الاوقاف وثمنه خمسة قروش

الحقيقة الباهرة

في اسرار الشريعة الطاهرة من تأليف سماحة الاستاذ الشيخ محمد ابو الهدى افندي الصيادي الرفاعي بنى ابوابه على عدد شعب حديث «الايمان بضعة وسبعون شعبة» وقد طبع في القاهرة على ورق جيد وطبع نقي

ذكرى فريد

نشرت جمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت المراثي واقوال الجرائد وبعض آثار فريد عوض وترجمته وكان من اذكياء الشبان في المدرسة الكلية الاميركية فتوفي منذ ثلاث سنين فرأى اصحابه ان ينشروا له كراسة يخلدون بها ذكره مخافة ان يضيع كما ضاع كبار رجالنا باهمالنا فنثني على غيرة من تولوا ذلك

روايات جديدة

رواية البعث — معربة عن الانكليزية بقلم الاديب رشيد افندي حداد وهي من وضع الفيلسوف الروسي ليون تولستوي تطلب من المكتبة الشرقية

عشيقات الملك — تعريب الكاتب الاديب ابراهيم افندي سليم نجار تطلب من صاحبها وقيمتها فرنك واحد

رواية سر ولاسر — للعقيلة استير مويال تطلب من مسامرات الشعب

الساحر الخالد — معربة عن الانكليزية بقلم الكاتب الاديب محمد لطفي افندي جمعة وهي احدى روايات مسامرات الشعب

هدية الابن

كراسة كتبها الاديب بشاره افندي الياس عيد الحاج بطرس من جالية السوريين في البرازيل اهداها الى والده ووصف له فيها حال البرازيل ومن رأيه ان البرتغاليين لما اكتشفوا البرازيل سنة ١٥٠٠ م كان في جملة من بعثتهم الحكومة البرتغالية اليها عيال كثيرة من بقايا السلالة العربية في الاندلس لتطهير بلادها من النسل العربي ولذلك كان في الامة البرازيلية نقطة دم عربي . فلكاتبها منا الثناء

الاقتصاد لبلوغ المراد

رسالة في النحو لمؤلفها الشيخ احمد مصطفى بن محمود ابي النصر من طلبة الازهر

هذا الامتحان بلغ ١١٧٣ تلميذاً منهم ٧١٧ او ٦١ في المئة من المسلمين يقابلهم ٦٦ في المئة سنة ١٩٠٤ قال وهذه النسبة ليست مما يوجب الرضى والسرور لا سيما اذا تذكرنا ان المسلمين ٩٣ في المئة من مجموع سكان القطر

وكان عدد المدارس الخصوصية التي تقدم منها تلامذة للامتحان ٩٩ مدرسة منها ٥٠ يديرها المسلمون و٢٧ الاقباط و٣١ يديرها المرسلون و١ اليهود · قال فلو ان ما يبذل من المال والهمة على المدارس الخصوصية التي على الطراز الاوربي يوجه الى التعليم الاهلي باللغة العربية وهو على غاية الانحطاط لنتج عن ذلك فائدة عظيمة للبلاد عموماً

وتكلم على الكتاتيب التي قامت بهمة الافراد في احدى عشرة مديرية من مديريات مصر فقال انها انشأت حتى الآن ٧٥٨ كتاباً جديداً وهي تبني ١٨٧ كتاباً آخر ورممت ٣٦٦ كتاباً وبلغ عدد الكتاتيب التي هي تحت مراقبة الحكومة ٤٨٥٩ كتاباً منها ٣٥٦٥ كتاباً منحتها الحكومة اعانات قدرها ١٣١٦٤ ج م وقد بلغ عدد المتعلمين فيها ١٣٦٠٨٣ و١٠٩٦١ بنتاً وعدد المعلمين ٦٢٩٥ والمعلمات ٣٢ وتحت ادارة نظارة المعارف ١٠٩ كتاتيب اخرى يتعلم فيها ٥٧٧٢ صبياً و٨٣٣ بنتاً وبلغ عدد كتاتيب البنات وفي جملتها الكتاتيب التي تحت مراقبة الحكومة ٣٠٥٣ وعدد تلميذاتها ١٢٠٠٦

وفي بولاق مصر مدرسة للصناعة فيها ٣٢٤ تلميذاً منهم ٢٨٥ مسلماً وفي المنصورة مدرسة صناعية فيها ٦٨ تلميذاً · ولا يزال عدد من يدخلون دار المعلمين الناصرية يزداد وفيها يتعلم المعلمون العلوم باللغة العربية فقد بلغوا ٢١ في السنة الماضية وفي المدرسة السنية لمعلمات المدارس الابتدائية ١٨ معلمة وفي مدرسة بولاق لمعلمات الكتاتيب ٣٩ وفي مدرسة عبد العزيز لمعلمي الكتاتيب ١٠٦ وفي مدرسة الفيوم ٦٣ ودار التعليم في درب الجماميز ٦٩ معلماً

وفي مدرسة الزراعة الآن ٧٠ تلميذاً منهم ٣٩ من المصريين والباقون من امم مختلفة · قال اللورد ومما يسوءني ذكره ان ٣٢ تلميذاً من التلامذة المصريين مسلمون وفي مدرسة الهندسة ٥٧ تلميذاً ومجموع تلامذة مدرسة الحقوق ٢٧٣ منهم من يدرسها بالفرنسوية ومنهم بالانكليزية وفي مدرسة الطب ١١٦ تلميذاً اثنان منهم في القسم الصيدلي وفي مدرسة البيطرة ٣٢ تلميذاً وعدد تلامذة مدرسة العميان بمصر ٢٧ وتلامذة مدرسة العميان بالاسكندرية ١٧ وفي كلية فكتوريا في الاسكندرية ١٧٥ تلميذاً المسيحيون منهم ٧٨ واليهود ٦١ والمسلمون ٣٦

النظر لما يبذلونهُ من الاجهاد العقلي والقيلولة تنفعهم في صحتهم اكثر من الرياضات المألوفة في المدارس وما هي الاّ عناء آخر عضلي بعد ذاك العناء العقلي وخير للتلميذ ان ينام في فراشه ويريح عقله وجسمه من ان يسير في الهواء الطلق ويصرف وقت راحته في ترويض جسمه رياضة طبيعية مستمرة عنيفة . وارتأى القائلون باستعمال هذه الطريقة ان يفحص التلامذة كل يوم فحصاً طبياً بمعرفة اطباء من اهل الاحصاء يعهد اليهم فحص تراكيب التلامذة الفسيولوجية وينظرون في قواهم العقلية

سير العلم

التعليم في مصر والسودان

لا تزال مصر في مؤخرة الأمم بعدد متعلميها وكثرة أمييها والسودان في مؤخرة المؤخرة . فحيا الله يوماً نرى اهل هذين القطرين يقبلون على تعليم اولادهم اقبال الممالك الصغرى في الغرب على تعليم بنيهم . فترى سويسرا والبجيك وهولاندا والدانمرك والسويد ونروج واليونان ورومانيا وبلغاريا والصرب وكل منها هي دون مصر والسودان بعدد سكانها وسعتها الطبيعي ارقى من هذين القطرين في التعليم بل الفرق بين التعليم وعدد المتعلمين عندنا وبين التعليم والمتعلمين هناك كالفرق بين الشرق والغرب

ويؤخذ من تقرير اللورد كرومر عن مصر سنة ١٩٠٥ م ان عدد التلامذة الذين حضروا مدارس الحكومة سنة ١٩٠٥ هم ٧٤١٠ في الكتاتيب و١٤٧٨ في دار تخريج المعلمين للكتاتيب و٧١٧٥ في المدارس الابتدائية العالية و٥٦١ في المدارس الصناعية و١٣٤٥ في المدارس الثانوية و٧٤٣ في المدارس الفنية ومجموعهم ١٨١٨٣ انفقت معارف مصر عليهم ٢٧٦ الف جنيه مصري

اما في السودان فكان عدد المتعلمين في مدارس الحكومة آخر السنة الماضية ١٥٣٣ صبيًا منهم ٣٩٣ في كلية غوردون و٢٢٩ في المدارس الابتدائية العليا و٣٩ في كليتي المعلمين في ام درمان وسواكن و٧٢٣ في المدارس الابتدائية الاهلية

وقال في كلامه على التعليم الثانوي بمصر ان عدد الناجحين ١٧٧ تلميذاً او ٤٠ في المئة ممن تقدموا للامتحان — والامتحان بالانكليزية او الفرنسوية — منهم ١١٧ من المسلمين و٦٠ من المسيحيين . فيظهر من ذلك ان ٦٦ في المئة كانوا مسلمين اي اقل قليلاً مما كانوا عليه سنة ١٩٠٤ وقل عدد الناجحين من المسلمين في امتحان الشهادة الابتدائية فان عدد الناجحين في

قبل ذهابهن وتلقي عليهنَّ المواعظ الحسنة ونحثهنَّ على ان يكتبنَ لها كل ثلاثة اشهر على الاقل بما تلقينهُ من اساتذتهنَّ و يطلعنها على نتائج دروسهنَّ وابحاثهنَّ و يشرحنَ لها ما احدث في نفوسهنَّ اختلاطهنَّ بالحياة الاميركية . وليت شعري متى يكون للشرق الادنى بعض ما للشرق الاقصى من العناية بتعليم البنات وتهذيبهنَّ

مكتبة نفيسة

حزن العلم لضياع مكتبة المثري الاميركي الشهير المستر سوترو في زلزال سان فرنسيسكو الاخير فلم يكن فيها اقل من ٢٢٥ ألف مجلد ومعظمها من كتب العلم والصنائع والادب القديمة ونسخ مخطوطة بخط مؤلفيها ولا سيما كتب من طبع غوتنبرغ مخترع الطباعة وهذه الخزانة هي انفس مكتبة في اميركا الشمالية فلا عجب اذا تأسف العلماء لفقدها ولا تأسفهم على ما ضاع في ذلك الزلزال من المكاتب الخاصة والعامة والعروض والاموال

مكاتب فرنسا

وضعت احدى الصحف اليومية الباريزية مقالة افتتاحية في خزائن كتب فرنسا وما تم فيها من الارتقاء في مئة سنة فقالت كان عددها سنة ١٨٧٣ــ٧٧٣ مكتبة فيها ٨٣٨٠٠ تأليف فصارت في السنين الاخيرة ٢٩١١ مكتبة فيها ٤١٦٦٤١٧ مصنفاً وذلك عدا مكاتب المدارس وعددها اربعون الف خزانة كتب . قالت ان رغبة الناس انصرفت في العهد الاخير الى مطالعة الصحف و بعض المجلات حتى عدَّ فريق من ارباب النظر تلك المطبوعات الدورية اعداء الكتب والرسائل .وقال آخر ان المجلات والجرائد تعين على انتشار الكتب والرغبة فيها والصحف اكبر مساعد على خدمة العلم بما امتازت بهِ من الاساليب فانها تكتب بحسب الاحوال والدواعي فتبعث المطالع على النظر فيها رغم أنفهِ .ثم ذكرت ان فرنسا متخلفة عن المانيا من حيث انتظام مكاتبها ووفرة عددها كما ان هذه متخلفة عن انكلترا واوربا كلها متخلفة عن الولايات المتحدة وما مكاتبها اذا نسبت لمكاتب العالم الجديد الاَّ اكواخ . ومن لاوربا بكريم يشبهُ كارنجي المثري الشهير الذي يبذل من مالهِ كل سنة خمسة او ستة ملايين ريال اميركي لاصلاح خزائن الكتب في بلادهِ وهو يقول ان المكتبة مدرسة في الحقيقة وقيمها مؤدب ومرشد

نفقات الجيوش

قدر احد الصحافيين في اميركا ما انفقتهُ الدول منذ خمس وثلاثين سنة على تسليح جيوشها

الاختراعات في اميركا

تكاد تكون الولايات المتحدة مستأثرة بالاختراعات والاكتشافات في الغرب لهذا العهد فان ما يخترعه ابناؤها ويكتشفونه يدل على ان قوة الابداع والايجاد وقف عليهم ومع ان حكومة تلك البلاد تتصعب كالمانيا في اعطاء البراءات للمخترعين المكتشفين ما لم يثبت لديها ثبوت الشمس ان صاحب البراءة ابتدع ما لم يسبق اليه حقيقة فقد أحصيت البراءات التي منحتها الحكومة الاميركية سنة ١٨٥٥ فكانت ٢٠٠٠ براءة ولم تبرح ترتقي سنة عن سنة حتى كانت سنة ١٩٠٣ — ٣١٧٠٠ براءة

النساء العالمات

الفت في لندن احدى بنات احد الماليين مجمعاً للنساء العالمات في العالم واشترت هذه الآونة تأليفاً سيصبح فيما بعد مجلة تصدر في اوقات تعين لها جاء فيه اثنان وثلاثون خبراً ومبحثاً وقطعة شعرية موقعاً عليها من نساء عالمات من انكلترا واميركا وفرنسا وايطاليا والمانيا وهولاندا ورومانيا وكل منهن تكتب بلغتها فكان للانكليزية الحظ الاوفر وتلتها الافرنسية فالايطالية ولا يقصر هذا المجمع النسائي اعماله على نشر مقالات الجنس اللطيف في العرب واستعارهن بل يتخذ له مراكز في عواصم العالم المهمة يكون فيها ما يلزم للمشتركات من انواع الراحة وضروب التسليات المباحة وخزائن كتب وقاعات اجتماع وقاعات طعام وقد دعون في لندن وبرلين كبار رجال السياسة فلبوا دعوتهن وكان في تلك الاجتماعات غناء ومعارض صناعية من اشغالهن يبعنها بواسطة مكتب تجاري اقمنه لهذا الغرض وكلما تزايدت اعمال هذا المجمع زادت فائدته للمشتغلات بالعلم والصناعة من بنات العقول في الغرب . فمتى يكون الشرق يا ترى مجتمعات كهذه للرجال ثم للنساء

البنات اليابانيات

نالت شهادة الطب من الدرجة الاولى من كلية ماربورغ الالمانية الآنسة ايادا ماتا من مدينة كوموتو اليابانية . وليست هذه هي المرة الاولى التي نال فيها اليابانيات أرقى شهادات العلم واثبتن ذكاءهن وبعد نظرهن في المطالب العالية فان كليات نيويورك وشيكاغو وسان فرنسيسكو غاصة باليابانيات ممن يدهش العالم بفهمهن وعلمهن . وامبراطورة اليابان هاروكوف هي من اشد انصار النساء وتعليمهن لتحريرهن من رق الجهل فقد بعثت منذ جلست على عرش الامبراطورية بكثير من البنات على نفقتها الى كليات اوربا واميركا . بدأت بذلك سنة ١٨٧١ ولا تزال ترسل كل سنة طائفة من البنات تطلبهن الى حضرتها

الآلام البشرية

راى المستر ستيد صاحب مجلة المجلات الانكليزية ان يأسو جراحات الانسانية بخمس مواد وضعها وايقن ان فيها خلاص البشر في هذه الدار فدعا الاغنياء والفقراء وارباب السلطة والضعفاء ان يعملوا واياه يداً واحدة في تحقيق هذه المشروعات الخمسة الخيالية ٠ وهي (١) إخاء عام اساسه العدل والحرية مع بث روح الوئام بين الانام واتفاق كلمة الانكليز والاميركان وأُلفة الدول والعطف على الاجناس المحكوم عليها وتحكيم دولي (٢) اجتماع الاديان كلها واهل المباحث العلمية الشرعية في عالمي المادة والروح (٣) الاعتراف بحقوق المرأة في المجتمع واعطاؤها حقها من الامتيازات الوطنية (٤) اصلاح حال الشعوب (٥) تحسين قوى الشعوب طبيعية كانت او عقلية وذلك ببعثها على المطالعة واللعب في الهواء الطلق والموسيقى والتمثيل

اتحاد اوربا

كتب احد نبلاء الانكليز في مجلة القرن التاسع عشر رسالة قال فيها انه موقن بان الدول لا يعملن باخلاص على الوفاق الودي الاجماعي بينهنّ وانه لا بد من نشوب ثورة يكون شؤمها مما لم يره الراءون ولا رواه الراوون ولكنه رجا ان يتم بفضل رئيس الوزارة الانكليزية الحالية تأليف اتحاد عظيم يرمي الى السلم ويقي العالم هذا الخطر المحدق وقال ان كثرة المعدات الحربية اضطرت الحكومات الى انفاق نفقات طائلة ولا غاية منها الاّ تقوية عددها وعديدها استعداداً لما حساه يطرأُ من التعادي فهنّ يتحملن نفقات فاحشة في ميزانياتهنّ وكان عليهنّ ان يعرفن مصالحهنّ المشتركة ويفضضنها على اهون الاسباب ٠ وقد اراد الغاء الجمارك كلها لان مبدأ حماية التجارة برأيه لا يتأتى عنه الاّ خراب البلاد الاقتصادي

التعليم الابتدائي

ارتأى احدهم في احدى المجلات البريطانية انه ينبغي ان تصرف عنايه كل أُمة الى تقليل عدد التلامذة في جميع الصفوف وان تجزأَ هذه وتقسم الى اقسام وان يلقن الاولاد كيفية التعليم بانفسهم اذ قد دلت التجارب على ان الدروس التي يتعلمها المرء من تلقاء ذاته هي احسن ما يتلقنه من ضروب العلم في حياته

عدد الصينيين

ظهر لاحد الباحثين من الانكليز ان في سكان الصين وهم اربعمائة مليون ٣٧٨ مليوناً ينتحلون ديانة كونفوشيوس وبوذا وتاواست و٢٠ مليوناً يدينون بالاسلام ومليونان يدينون بالنصرانية

فكان معدله السنوي ثمانية عشر مليارًا من الفرنكات ذهب اكثرها هباء منثورًا وان ميزانية الدول جمعاء تضاعفت منذ ذلك العهد

اعتصابات العملة

كثر اضراب العملة عن العمل في السنين الاخيرة فقدرت احدى المجلات الاشتراكية ما حدث من الاعتصابات منذ ست سنين فكانت ٤٢٧٠ اعتصابًا والمعتصبون ١١١٩٠٥٠ عاملاً منهم من نالوا مطالبهم ومنهم لم ينالوا سوى جزء منها ومنهم من اخفقوا

السخاء الاميركي

رأى احد علماء الالمان ان ما لفت انظاره في اميركا هو سخاء افرادها فهم ينفقون الملايين على انشاء الكتاتيب والمدارس والكليات حتى ان احدهم وهب اربعة ملايين ريال لانشاء كلية شيكاغو وحدها

نقل الابنية

في اميركا ينقلون البناء الهائل من اساسه ويجعلونه في مكان آخر دون ان يطرأ عليه ما يخربه ويكون ذلك في الابنية غير الشامخة وقد نقل الالمان هذه الآونة منارة مدينة ويمبرغ بالقرب من همبورغ وكان وزنها نحو ستين طنا وعلوها ٣٨ مترا ودامت النقلة ٣٢ دقيقة وكلفت عدا ثمن الاخشاب ٨٣٥٠ فرنكا فتأخرت المنارة عن محلها عشرة امتار وكبر بذلك مدخل السفن في الميناء

مقالات المجلات

سقوط الكتب

تكلم احدهم في احدى المجلات الفرنسوية عن سقوط الكتب فقال ان طريقة الاعلانات قد احدثت تدجيلاً تجاريًا هائلاً فان بعض المؤلفين ينشرون عن مصنفاتهم اعلانات ويبذلون في هذا السبيل من الاموال ما لا يوفي ما ينفقونه الا طبع عشرين الى ثلاثين الف نسخة فتراهم يبتاعون العمود الاول في بعض الجرائد ينشرون فيها صورهم وشيئًا من تراجمهم ويودعونها مفاوضات العلماء بشأنهم ويشغلون الصحف بمناقبهم كل هذا لترويج سلعتهم

كاثوليك والنصف الاخر يعاقبة ٠ وثالثها الكالا الام وهم الطائفة العظيمة وهي ليست وثنية بل تعبد الهًا واحداً وتحرم السرقة والقتل وكل ما يدل العقل على انهُ منكر وتأمر باحترام الشيوخ والوالدين وبالتضرع الى « واكا » وهو الله جل جلاله وتنهى عن اكل اللحم البشري

تطور الامم

المنار — افاض في اطوار الامة الاسلامية قديمًا وحديثًا من حيث سياستها واخلاقها وعلمها ومما قالهُ : ثبت بالتجربة والاختبار ان المتعلمين للعلوم الكونية هم الذين يسودون امتهم كما ان الامم السابقة في مضمار هذه العلوم تسود المتخلفة فيه فالناس تبع لهؤلاء المتعلمين صلحوا ام فسدوا فهم التيار الجديد الذي يحول الامة من حال الى حال وعقول هؤلاء المتعلمين وقلوبهم بين ايدي الاجانب فهم الذين يودعون فيها وينقشون في الواحها المستعدة ما يريدون على علم منهم بغايته واثره ٠ ومما نشاهد من اثره ان اكثر المتعلمين لا قيمة للدين الذي هو الرابطة العامة للمسلمين في نفوس اكثرهم فهم لا يصلون ولا يصومون ولا يحللون ولا يحرمون وانما همُّ اكثرهم التمتع باللذات الحسية ولو بذلوا في سبيلها جميع المصالح العامة ٠ ثم هم مع هذا مغرورون بانفسهم يحسبون انهم ارقى من سلفهم الصالح عقولاً وارجح احلامًا واوسع علومًا وافضل آدابًا واقدر على الاعمال الاجتماعية فلا الدين عرفوا ولا حب الامة أُشربوا وكيف وهم على جهلهم بشريعتها يجهلون تاريخها الذي لم يتفضل عليهم ساداتهم الاجانب بشيء حقيقي منهُ الاَّ بعض المسائل المنتقدة التي صوروها بغير صورتها

الاطباء ومدارس الطب

الحكمة — كان من يتعاطون الطب في عهد الفراعنة ثلاثة اقسام وهم الحكيم العادي والراقي والمشعوذ الساحر كما وجد في رسالة مكتوبة في عدة صفحات من ورق البردي ٠ كتب هيرودتس ان الطب كان موزعًا في مصر توزيعًا علميًا دقيقًا بحيث كان الحكيم يشتغل بفرع واحد لا بعدة فروع منهُ ٠ بعضهم يطب الرمد وبعضهم اوجاع الرأس وآخرون المعدة وغيرهم الامراض الباطنية ٠ وكان الرمديون اكثرهم عدداً ومهارة حتى اشتهروا خارج مصر لان المصريين كانوا عرضة لرمد موضعي لم يزل شائعًا ٠ ومن الاطباء عدد ليس بقليل كان مشتغلاً بمرض الاسنان لان المصريين كانوا ايضًا عرضة لهذا المرض لرطوبة البلاد ولحسن سمعتهم في البلاد وخارجها استحضر قورش ودارا (من ملوك الفرس) اطباء منهم لمعالجة الامراض التي كانا مصابين بها وكذلك نجد في مراسلات دارت بين بلين وتراجان (وكلاهما روماني) يهنئ فيها الاول نفسه لنجاته على يد طبيب مصري يدعى ابوقراط وكان اطباء

السل البقري

. جاء في مقالة لاحد علماء الالمان ان السل البقري يزداد في اوربا فتكاً فان فرنسا تخسر به ثلاثين مليون فرنك والمانيا خمسة وعشرين مليون مارك وان لبن الامهات ينقص كلما كثر عدد سكان المدن كما هو المشاهد في المانيا فان ثلث اطفال برلين محرومون من ثدي أُمهاتهم لنضوب درهم وارتأى ان احسن طريقة للبقر ان تحقن حتى يكثر نوعها ودرها ولا تصاب بالسل ·

رسوم اللغات

المحيط ـ في الارض نحو ثلاثة آلاف لغة تختلف لهجتها كلها بعضها عن بعض ولكن بينها لغات كثيرة متشابهة كالتركية والعربية او الفرنسوية والانكليزية وبينها ما يكثر فيه الاختلاف رسمًا وكتابة ومطالعة فبعضها يقرأُ ويكتب من اليمين الى اليسار وبعضها من اليسار الى اليمين والبعض من اعلى الى اسفل كلغات الصين واليابان وما جاورها · اطلع على كتيب جمعت فيهِ امثلة من ٢٩٦ لغة وقد كانت الجمعيات الدينية السبب الاكبر في رسم لغات كثيرة منها لم تكن من اللغات المكتوبة من قبل وذلك توصلا الى اتمام ما قصدته من نشر التوراة والانجيل بين جميع الشعوب

ديانة الكالا

المشرق ـ كالا بكاف ثقيلة تركية وان شئت فجيم مصرية ولام مشددة كلمة ينعت بها الاحباش النصارى الامحريون من سكان الحبشة الأُميين الذين لا يدينون باحدى الديانتين الشائعتين في شرق افريقية وهما الاسلام والنصرانية · ومعنى اللفظة «من لا كتاب له» ثم عمَّ استعمال هذه الكلمة فاشتهر بها اسم هذه الامة التي تدعو نفسها اورومو والكلمتان اليوم مشهورتان ودونهما شهرة كلمتا «أُركتا» و«كوتو» اللتان يعرف بهما هذا الشعب · فالكالا اسم لامة كبيرة تعد من اكبر شعوب افريقية عدداً تقطن في شرق هذه القارة بلاداً فسيحة متسعة تعم بلاد منليك كلها وسهولاً معظمها مجهول تمتد بين المملكة الحبشية وما وراء بحر الغزال غرباً وبلاد الكنغو جنوباً · ويقدر عدد الكالا الخاضعين فقط لسلطة النجاشي بضعف عدد الامحريين اي باثني عشر مليونًا ويقسمون من حيث اديانهم الى ثلاث طوائف اولها الكالا المسلمون وهم طائفة لا يتجاوز عددها الثمانين الفًا تقطن في المقاطعة الهررية فقط وقد دانت بالاسلام على يد الهرريين ومن يجاورهم من المسلمين · وثانيها الكالا النصارى وهم طائفة قليلة لا يتجاوز عددها مائة الف نفس تسكن بين الامحريين نصفهم

الى زياد بن ابي سفيان وذويه والأُخرى الى مروان بن الحكم وذويه والأُخرى الى سعيد ابن العاص وذويه ويقسم الواحدة في آل ابي سفيان

وما كان اسرع من ان حضر القاضي في جماعة من الاكراد فتقدموا الى معاوية فسلموا عليه ثم التفتوا الى ابنه يزيد فقالوا · السلام عليك يا امام العدل السلام عليك يا خليفة الله في الارض السلام عليك يا ابن عم رسول الله السلام عليك يا سيدي ورحمة الله وبركاته نفعنا الله بطاعتك وادخلنا في شفاعتك ورفع درجتك في الجنة كما رفعها في الدنيا فردا عليهم ردًّا خفيفًا وقال للقاضي صدر الدين : الحمد لله الذي جعل في اصحابي وشيعتي من يصلح ان يكون قاضي قضاة المسلمين · فقال لهُ القاضي : كل ذلك ببركة الفقيه عيسى ضياء الدين · فقال لهُ اوصيك باصحابك الاكراد خيرًا فانهم اولى بحسن تدبيرك من سائر الناس فقال : نعم يا امير المؤمنين ما احتاج فيهم وصية هذا انا قد وليت القضاء لجماعة منهم انا اعرفهم في بلادنا لا يعيشون الا من لصوصية البقر في الليل وسرقة الحمير بالنهار ولم افعل ذلك الا لاني أُلزمت باستقضاء قوم اخس منهم بكثير

الانتقاد على المقتبس

تفضل كثير من رجال العلم والادب بنقد هذه المجلة فقال حافظ افندي ابراهيم ان المقتبس مصبوغ بصبغة شرقية قديمة فينبغي لهُ نبذ القديم من الموضوعات واتخاذ لباس قشيب ينضيه كلما جدَّ غيره · وقال ابراهيم افندي الجمال كلامًا يقرب من هذا وان للتفنن في ايراد الابحاث الجديدة الحاضرة طلاوة ووقعًا في النفوس Variété, nouveauté, actualité وقال محمد لطفي افندي جمعة كلما عمدت الى النظر في المقتبس تعاظمت ابحاثه وتجافت نفسي عن عباراته لاني اجدني بين مادة صرفة وجد بحت ولا شك ان معظم القراء يشعرون شعوري فلا بدَّ لمن اراد ان يعلم غيرهُ ان يتنزل في عباراته وموضوعاته ويحتال عليه ليطالع شاء ام ابى · وقال احمد بك زكي ارى في بعض الابحاث اقتضابًا يكاد يكون مخلاً فعليك باشباعها وعندي ان الاجدر ان تترك « قال احدهم وروى بعض العلماء او احد الاساتذة » وتنسب القول الى قائله مباشرة فان هذا الباب فتح قديمًا باب التلاعب في كثير من العلوم وكذلك اليوم · فلا غنية لمن يريد ان يخدم العلم عن التصريح باسماء المنقول عنهم

وكتب من بغداد الاب انستاس ماري الكرملي يقول : « عربتم فصلاً عن احدى المجلات العلمية ص ٩ ولم تذكروا اسم المجلة وهو امر مهم في مثل هذا المقام · وكذلك لم تنوهوا

مصر يسيرون في المعالجة حسب قواعد واصول مكتوبة وصفها عدد كبير من قدماء الاطباء وكذلك المهندسون المعماريون كانوا يتبعون تصميماً واحداً في بناء معابدهم والنقاشون يرسمون العظماء من الرجال على طريقة واحدة ثابتة

نفاضة الجراب

منام الوهراني

للوهراني صورة منام رآه' او تخيله اتى فيه بكل حلاوة اعتذر ابن خلكان بطوله عن ذكره في ترجمة الرجل . رأى كأن القيامة قامت والناس يعرضون على الديان باعمالهم فوصف حال فريق الجنة وفريق السعير بالفاظ لو عرت عن البذيء لساغ نشرها على رؤوس الملإ فسأل عن بعض من يدعون التصوف وهم بعيدون منه' فقيل له' هؤلاء قوم غلب عليهم العجز والكسل في الدنيا فهربوا من كد الصنائع والاعمال الى زوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع فلا يزال احدهم يأكل وينام حتى يموت . قال: فبأي شيء كانوا ينفعون الناس ويعينون بني آدم فقيل له': والله بلا شيء البتة ولا كانوا الا كمثل شجر الخروع في البستان يشربون الماء ويضيقون الطريق وليس لهم ثمرة

ثم قال :ومشينا معه' (في المحشر)مقدار اربعة فراسخ واذا بجمع عظيم يحتوي على مشايخ وشبان وكهول قد حف مجلسهم السكينه والوقار وجلالة الملك والرياسة تلوح على وجوههم فسألنا عنهم فقيل هؤلاء السادة والقادة من بني عبد شمس فدخل قسيم الاعور حتى وقف بين يدي عظيمهم فقال : يا خال (كذا) المؤمنين يا كاتب وحي رب العالمين نحن قوم من محبيكم وقد طردنا عن الحوض لاجلكم ونحن هالكون من شدة العطش بسببكم فقال: لك بينة تشهد بما تقول فقال : نعم جماعة من شيعتكم ومحبيكم الاكراد فقال: احضرهم فقال: ابعث معي رجلاً شاميا فتخلل الناس ونادى باعلى صوته : يا عبد الملك بن درباش (?) قاضي قضاة مصر في ايام الملك الناصر صلاح الدين فلم يجبه احد . فوقع ابن بدر مغشياً عليه من شدة الأوام فقعدنا عند رأسه وسألنا هل عندكم قطرة ماء نبل بها حلقه . فقالوا : لا والله لو تقدمتم قليلاً لما احتجتم الى هذا كله . فقلنا له' : وكيف ذلك . فقال : لان أم حبيبة زوجة النبي (ص) تبعث الى اخيها معاوية كل يوم خمس ثلجيات مزملات كل ثلجية مثل جبل الثلج عشرين كرة فيها الماء الخاص من عين التسنيم . يدفع واحدة منها الى عمرو بن العاص والاخرى

معجم البلدان

نجزت اربعة مجلدات من هذا الكتاب وسيكون مع المستدرك عليه عشرة مجلدات وجعلنا ثمنه ثمانين قرشاً اميرياً لمن يدفع القيمة سلفاً و يستلم كل مجلد عند صدوره ومائة قرش لمن يدفع الثمن عشرة اقساط والمشترك على هذه الصورة لا يستلم شيئاً من الكتب الا بعد توفية ستة اقساط

محمد امين الخانجي الكتبي
وشركاؤه بمصر

مخزن نيو يورك

في هذا المحل الكائن في شارع المناخ بالقاهرة لاصحابه شحادة اخوان اجود انواع الاحذية الاميركانية تباع باسعار معتدلة

الى مشتركي المقتبس

الرجاء من مشتركي المقتبس في القطر المصري وغيره ممن لم يسددوا حتى الآن قيمة الاشتراك ان يرسلوها حوالة على البريد المصري ولا يحوجونا الى مطالبة كل منهم على حدته

باسم الكاتب الاصلي ٠ وقد تكرر فعل ذلك عدة مرار فاظن ان الاحسن ذكر كل جريدة باسمها وكل مؤلف باسمه ٠ ثم حاولتم بعض الاحيان ذكر لفظة بلفظة اخرى طلبًا للجلاء من ذلك ذكرتم في ص ٥٦ العكرش فقلتم ٠٠٠ وبزر كالجاورس ــ وهو حب يؤكل مثل الدهن (وهو من خطاء الطابع وتريدون الدخن) ولعلهُ الدخن ٠ قلنا ليس العكرش بالدخن بل هو نبات آخر مشهور عند جميع اعراب البادية في العراق ولا يشبهُ الدخن إلاَّ في الحب فقط ٠ وقلتم ص ١٠٨ التوابل (السلطات) والصحيح ان هذه غير تلك ٠ وذكرتم ص ١٣٦ اسم الفنطيس بمعنى البرميل ٠ ولا مشابهة بين الاثنين وكلاهما معروف عندنا باسمه وبمميزاته ٠ وذكرتم النيرات (ولعلها النيترات) باسم (البورق) وليس الامر كذلك وبينهما بونٌ بين

وقد وقع في اجزاء المقتبس اغلاط طبع كثيرة فالامل انها تصلح في ما يلي او يمنع وقوعها ٠ وحسنًا عملتم وتعملون عند خفاء معنى لفظة ان تكتبوها على علاتها ثم تضعون وراءها علامة الاستفهام او كلمة (كذا) ٠ فان ما لا يفهمهُ هذا يفهمه ذاك ٠ مثلاً كلمة « ويبة » فهي مستعملة في العراق وقد جاءت في ص ٣١ وهي من المكاييل سعتها ٢٤ مدًّا

واما المقالات العلمية فانها لا تخلو من المغامز ولعلَّ السبب انكم اردتم ان تجمعوا فوائد جزيلة في حجم صغير ٠ فجاءت الفوائد مبتورة غير مشبعة بالتحقيق ٠ وقد ذكرتم في مستهل المقتبس ان مجلتكم « تتمحض للعلم المحض فلا يتحرج من تلاوتها الموافق والمخالف » والحال قد ورد في العدد الثالث مقالة عن حرق مكتبة الاسكندرية يستشف من خلال سطورها ان المقتبس لم يتمسك بما وعد فقول الكاتب التركي « ان نسبة الحريق لعمر او لعمرو أُكذوبة لفقها ابو الفرج ٠٠٠ » الى آخر ما هناك واستحسانكم اياهُ يخالف الحق ٠ فقد ذكر كتبة المسلمين ومؤرخوهم ما يزيل الشبهة في هذا الصدد منهم ابن القفطي في تاريخه وموفق الدين عبد اللطيف البغدادي في الفصل الرابع من كتاب الافادة والاعتبار ومنهم المقريزي الخ الخ فيجدر بالانسان ان يذكر الأُمور التاريخية على صورتها بدون ان يوقع الاهانة بقوم او بجماعة ولاسيما في مسألة كثر فيها الخلاف والنزاع »

حبوتك القاب العلا فادعني باسمي ... فما تخفض الالقاب حرًّا ولا تسمي

يقولون محمود ويا ليت انني ... كما زعموا يا ليت لي طالعًا كاسمي

محمود سامي البارودي



مجلة أدبية علمية اجتماعية تصدر بالقاهرة في غرة كل شهر عربي

« لمنشئها محمد كرد علي »

قيمة الاشتراك خمسون قرشاً صحيحاً في القطر المصري وثلاثة عشر فرنكاً في سائر الاقطار

« والدفع سلفاً »

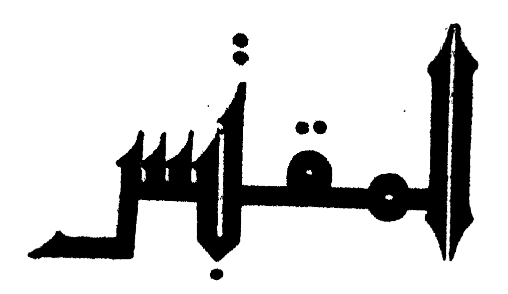
AL-MOKTABAS

Revue mensuelle, littéraire, scientifique & Sociologique

"Le Caire-Egypte"

فهرس الجزء الثامن من المقتبس

طبع بمطبعة الظاهر امام محكمة الاستئناف بمصر



غرة شعبان سنة ١٣٢٤

صدور المشارقة والمغاربة

كيتي

١٧٤٩ ــ ١٨٣٢

ليس الغنى أبداً مفسدة لصاحبه معواناً على الشر والاشر كما ان الفقر لايهذب النفوس ويربي الملكات . فابن الغني اذا حسنت تربيته وجاد تعليمه يجيء منه رجل قلما يجيء مثله من أبناء الزعانف والسوقة . وليست هذه القاعدة على اطلاقها في البلاد الراقية والبلاد المنحطة ففي الشرق اليوم لا يتعلم ويتهذب سوى ابن الفقير ويندر ان يشيع العلم والتهذيب بين أبناء الاغنياء كما تشيع الفاحشة وسوء السلوك . والحال في الغرب على العكس من ذلك اذ ترى هناك لاولاد الاغنياء حظاً من العلم وسهماً من التهذيب . شاع ذلك بين أهله منذ نهضوا نهضة الشمير الخبير لتلمس أسباب الحضارة وكثر ذلك بين اظهرهم في هذا القرن والذي قبله فبات الغنيّ موقناً بانه لايستوفي الظرف ويذهب بفضل الشهرة وتنهال عليه ضروب المحمدة إلا اذا تهذب

وكلاء المقتبس

١ القاهرة والقطر المصري ـ في مكتبة البدائع ليوسف افندي سنو في شارع محمد علي امام دار المؤيد

٢ بيروت ـ جرجي بك ديمتري سرسق

٣ دمشق ـ فارس افندي الخوري

٤ بغداد ـ داود افندي فتو الصيدلاني

٥ نيويورك (الولايات المتحدة) ـ نجيب افندي معلوف

٦ بروفيدانس (الولايات المتحدة)ـ شحاده افندي شحاده

٧ اوماهانبراسكا (الولايات المتحدة) ـ يوسف افندي جرجس زخم

٨ فرت واين انديانا (الولايات المتحدة) ـ شبلي افندي دموس

٩ ماريدا (المكسيك) ـ سلمون افندي ريحاني وحنا افندي العلم

١٠ سان باولو (برازيل) ـ الدكتور سعيد ابو جمرة

« مكتبة البدائع »

احضرت كتباً متنوعة علمية وادبية وادوات مدرسية جديدة ومن يشرفني يجد ما يسره من مهاودة الاسعار والامانة ومحلي في شارع محمد علي امام دار المؤيد بالقاهرة يوسف سنو

« كتاب الام »

يباع كتاب الام للامام الشافعي الذي عني بطبعه في المطبعة الاميرية العالم الاصولي ذي المعزة السيد احمد بك الحسيني في مكتبة الفاضل السيد مصطفى البابي الحلبي واخويه بخان الخليلي بمصر وقيمته مئة قرش اميرية

« المدونة الكبرى »

طبعنا كتاب المدونة الكبرى للامام مالك بن انس وهو في ١٦ مجلداً نجز منها الى الان عشرة وقيمة الاشتراك به مئة قرش اميرية قبل تمام طبعه لمن يدفع الاشتراك دفعة واحدة وبعد تمام الطبع مائتا قرش وذلك لمن كان في مصر ومن كان خارجها يرسل القيمة بالبريد مع اجرة الكتاب

الحاج محمد ساسي

التاجر بباب الخلق بمصر

الحقوق في ليبزيك وكان يأوي الى دار عجوز لها فتاة فشغفته حباً فنظم فيها رواية هزلية واعتاد مذ ذاك العهد على نحو ماقال عن نفسه ان يصيغ في قوالب الشعر كل ما كان في الواقع يوليه فرحاً أو ألماً ويروض العقل ويربي النفس وعاد الى بيت أبيه من المدرسة سنة ١٧٦٨ بعد ان فارقه ثلاث سنين وقد أيقن ان الآداب الالمانية ضعيفة متأخرة ثم رجع بعد مرض اعتراه الى ستراسبورغ سنة ١٧٧٠ واقام فيها حولا كاملا كان نافعاً له في تهذيب عقله وتخطيط خطة يجري عليها في حياته . قالت الدائرة تعلم كيتي في ليبزيك ما ينبغي اجتنابه وعرف في ستراسبورغ ما ينبغي عمله . وفي سنة ١٧٧١ أتم دروس الحقوق . وكان في خلال الدراسة يضرب في فنون الشعر ويهيم في أوديته وشجونه .

وبينا كان شاعرنا ينشر طرف أقواله او يعدها للنشر كان يتقرب من كبار رجال عصره ويستميل قلوبهم اليه ويحرص على عقد الصلات الادبية معهم فطاف كثيراً من بلاد المانيا وسويسرا وايطاليا وتعرف الى رجالها وفلاسفتها وعظمائها ثم تولى منصباً سياسياً في الحكومة . ولم تكن مشاغله لتحول دون أعماله العلمية . فكنت اذا رأيته حسبته منقطعاً عن كل عمل ليس لقلمه في ميدان التأليف جولة وان المتاعب العالمية صرفته عن وجهته العلمية على حين كان عقله يفكر ولسانه يحبر ويعبر .

ولقد ثبت ان وظيفته ما كانت الا باعثة له على الاستزادة من المعارف . ولو كان يريد ان ينحو منحى قدماء الشعراء لانقطع في غرفته واعتزل الناس ومخالطتهم ولكن كان يطمح الى ان يجمع في شعره مثال القدماء الى ما يتأثر به ويتعرف به بذاته من أحوال المجتمع .

التهذيب الحقيقي وتعلم التعليم العالي وهماها داعية مجده وفخاره لا واسع عقاره ووافر نضاره ٠

وكيفما تقلبت الدنيا بأهلها فان الموسر خير من المعسر على نحو ما سيرد عليك في ترجمة كيتي أحد أعاظم شعراء المانيا ورجال نهضتها العلمية والادبية ٠ فقد قيل في ترجمته انه كان من اسعد السعداء خدمه الحظ وهيأ له عامة الاسباب وتمكن من الانتفاع بالمواهب العالية التي وهبته الطبيعة اياها ٠ ولم يكن كصاحبه شيلر مضطراً معوزاً بل كان السعد يبسم له والرفاهية طوع أمره وهو من أسرة شريفة كان والده مستشاراً للمملكة وفقيهاً مشهوراً ورجلا فاضلا مهذباً اما والدته فكانت سليمة الصدر جيدة الفطرة توفرت على تربيته وتثقيف عقله ولطالما كانت تلقنه في طفوليته قصصاً ثم تقطع عليه سلسلتها ليتصور ماذا يكون تاليها ٠

ولقد استحكم الجمال من شعور هذا الشاعر حتى لم يكن يطيق ان يرى ولداً بشع الصورة امامه فكيتي والحالة هذه جمع الى الغنى مالامثال اللورد ليتلتون الانكليزي وفيكتور دروي الفرنسوي وهو من بيت غنى ومجد يضاف اليهما حسن تربية والدته فقد كانت والدته تدر به على الاخلاق الفاضلة وتسوقه الى المنازع الشريفة اما والده فكان يعلمه ويلقي عليه ويكلمه منذ صغره بالطليانية والفرنسوية وكان يحسنهما ولا سيما الطليانيــة لان طول مقامــه في ايطاليا حبب اليه لغتها وفنونها فشغف بها ٠ ولما ترعرع كيتي أحكم هاتين اللغتين مع لغته وظهرت عليه امارات الميل الى الشعر كما عرف بحب النقد والولوع بالعلوم فمال بادي بدء وهو في الحادية عشرة الى شعر راسين من شعراء الفرنسيس ثم أنشأ يرتاح الى شعراء الرومان واليونان ٠ وفي سنة ١٧٦٣ دخل مدرســة

تقدم الادب فكان ذلك منهما بمثابة اعلان للطريقة الجديدة التي أسساها في القريض واخذ خيال الشعر والادب من ذاك العهد يوحي اليهما كل طريف وتليد فيتطارحان الافكار ويتناشدان الاشعار وكل منهما محب لصاحبه يبوح له بذات نفسه ويراقب اعمال صديقه مراقبة الود . دامت هذه الصداقة محكمة العرى الى ان توفي شيلر سنة ١٨٠٥.

ولقد حاول كيتي في تآليفه — وكانت أولاً منضمة غير منتشرة كتآليفه بعد — ان يعرف القارئ حال المتفنن وما يشغله في العالم من الاعمال. وبعد ان فقد كيتي صديقه شيلر كما تقدم لم يبق في حياته ما يستحق الذكر وامتاز بنقد من كانوا يستحسنون الثورة الفرنسوية الاولى وأبان عن افكاره قائلا: اني اكرر بانني اكره كل ما فيه شدة وتهور لانه مخالف للطبيعة . وفي سنة ١٨١٣ تنحى الشاعر في خلال الحركة الوطنية وترك المجال لشعراء أصغر منه سناً يؤلفون الاغاني الحربية ويحثون الجمهور . وحاول وهو في السبعين أن ينسج على منوال ديوان حافظ الشيرازي شعراً المانياً في أفكار شرقية وأناس شرقيين فنظم ديواناً سماه ديوان الشرق والغرب . وهو سفر أغان وإن تكن المانية الصبغة فان تنوع أوزانها واختلاف اسمائها واستبدال الاسماء الشرقية بالغربية جعلها غريبة في بابها تصدر من شيخ شاب .

وبعد أن فقد والدته وولده وصديقه الحميم بعد شيلر ضعف سنة ١٨٣٢ فوافاه أجله وقضى عند الظهر جالساً على كرسيه وكان آخر كلامه « ليدخل النور بكمية اكثر »

وقد كتب كيتي كثيراً من الاسفار في كل موضوع وكان كثيراً ما يعاشر أهل الاخصاء في كل فن فيوحون اليه بافكارهم ويبوحون له باسرارهم

وفي سنة ١٧٨٨ تزوج الشاعر بفتاة اسمها كرستيان فولبيوس شقيقة احد الكتاب فنظم في التقائه معها قصيدة من الشعر قال فيها ما ترجمته :

« كنت اتنزه في الغابة سائراً في طريقي ولا شيء يعنيني ولا فكر ينازعني .

« فرأيت في الظل زهرة مطلة تلمع كالنجم الثاقب وهي كالنظرة جمالا .

« اردت ان اقطفها فتقدمت اليّ بلطف تقول هل يكون ذلك منك ليقضي عليّ ان اذبل وأنت تجنيني وتقطفني

« فعندها اخذتها من أصولها وحملتها الى الحديقة التي هي زينة داري

« وما هو الا ان أعدت غرسها في مكان ساكن وها هي الآن مخضرة مخضلة تزهر على الدوام . »

ولقد عيب على زوجته انها لم تكن في الدرجة المطلوبة من العلم تساوي بها درجة بعلها بيد انها كانت كما وصفها الشاعر تعني بمصالح زوجها وبيتها وأولادها وهذا مما كان يزيد اغتباط كيتي بها لانها كانت امرأة حقيقية تنظر في شؤونها البيتية .

وفي سنة ١٧٩٤ بدأت صلات الحب بين كيتي وشيلر وما كان اجتماع الشاعرين باديء بدء دالاً على الصدقة التي تتأكد بينهما بعد بل كان اجتماعهما لاول وهلة اجتماع تكلف وكره . فتعارفا سنة ١٧٨٨ ولم يتأت تآلفهما حقيقة الا سنة ١٧٠٤ عند ما اسس شيلر مجلة سماها « الساعات » وكان يطمع ان تشترك الطبقة العالية من كتاب المانيا بها فأبى اكثرهم ان يؤازروه فوعده كيتي بالمساعدة وكتبا سوية كتاباً فيه قصائد هجائية كان كيتي هو الذي اقترح موضوعه فالفاه معاً . وكان ذلك واسطة لاتحادهما فتناولا فيه التنديد بالتقاليد القديمة والنقد على ارباب الاذواق السمجة التي كانت تحول دون

المكاء

-) كل من زاول الكتابة في بحث عربي موضوعه علم المواليد يلاقي
الا يعرف مقداره الا من يجاريه في هذا الموضوع من ابناء نفس
الشريفة . وعندي ان ليس من خدمة مجردة الغاية تضاهي خدمة
على نفسه تخليص اللغة من مثل هذه الالفاظ المبهمة المعاني التي لم
أصحاب المتون اللغوية أو أصحاب الفنون الخصوصية فبقيت في
أسفارهم مثل الطلسمات يعاني فكها من لا غاية له الا الغيرة على
نا يطوي عدة ليال في جانب حلها وهو مع ذلك لا يرجع الا بما
ين واذ قد كنت ممن عني بمثل هـذا الفرع من العلم وتفرغت له
اطرف قراء المقتبس بما وقفت الى معرفته من حقيقة أمر الطائر
سم المكاء

تعريفه على ماجاء به كتاب العرب) اذا استشرنا كتبة العرب
الطائر فلا نسمع منهم الا تحديدات وتعريفات مجملة لا يتحصل منها
ا الطائر بصورته التي يتميز بها بل يوردون لنا ما ربما يصدق أو
عدة طيور . فقد قالوا في تعريف المكاء ماهذا حرفه : « المكاء بالضم
طائر في طرف القنبرة الا ان في جناحيه بلقاً سمي بذلك لانه
(كذا) ثم يصفر فيهما صفيراً حسناً قال :

رّد المكاء في غير روضة فويل لاهل الشاء والحمرات

يب : والمكاء طائر يألف الريف وجمعه المكاكي . وهو فعال من
مر . اه (عن اللسان) وقال السيد المرتضى : المكاء : كزنار طائر

وان المرء ليعجب بما خلفه كيتي من التآليف الممتعة المنوعة التي يستغرق وصفها صفحات من مثل هذه .

جاز كيتي كسائر الكتاب ثلاثة أدوار وهي دور التكوين ودور النضوج ودور الانحطاط الا ان دور نضوجه كان طويلاً ودور انحطاطه لم يخل من قوة . وقسم بعض مترجميه ادوار حياته الشعرية الى ثلاثة ادوار الدور الاول الحي والطبيعي الثاني المدرسي الثالث التعليمي . ولم يستنكف كيتي من الاخذ عن كبار شعراء الارض كشكسبير وروسو وهوميروس وكتاب الفاجعات من اليونان والامادح من اللاتين وقال في بعض تآليفه : وهل أحسن فينا من القوة وحسن الذوق في امتلاك عناصر العالم الخارجي واستعمالها في مقصد سام . ولذلك امتاز بقوته التقليدية في الشعر والادب وقوته في التحويل وقوته في التجديد مع مزج ذلك بالنقد وقوته على الابداع ولم يشغله الادب والشعر عن معاطاة العلوم الاخرى كعلم النبات والحيوان والجيولوجيا والمنيرولوجيا والطبيعيات ووفق الى اكتشافات مهمة في التشريح والفسيولوجيا النباتية .

هذا هو الرجل العظيم الذي ربي في قصور النعيم وما أفسده الترف والرفاهية جمع في شخصه مزايا كثيرة وعلوما كبيرة قلما يكتب لها إلا لكبار العقول في الامم والقرون العديدة ولا غرو فان قيام أمثاله في القرن الماضي والذي قبله هو الذي فتح على المانيا أن تكون اليوم في مقدمة الخليقة بعلومها وأعمالها . فسبحان من أسعدها برجالها وأسعدهم بها وأشقى رجالاً في الشرق وأشقى الشرق بهم

« فرانسزجه‌دن تركجه يه جيب لغتي » وهو وزنطال افندي : «مكاء وخاطف الرياح وجوبان الدادن » وهو احسن المؤلفين الذين ضموا الى حقائق الالفاظ صحيح المصطلحات

(٤ اسمه عند الافرنج والعرب ومعناه في لسانهم ولساننا) يسمى الافرنج المكاء Engoulevent ومعناه « بالع الريح او خاطف الريح وبعضهم يطلق عليه اسم Crapaud volant اي الضفدع السام الطيار وآخرون يسمونه Tette-Chèvre أي مصاص المعز وبمعنى هذا اللفظ يسميه العلماء أي Caprimulgus وكذلك الانكليز goatsucker وكذلك أيضاً في لغات سائر الاعاجم ولا غرو فان هناك سبباً حمل الناس على تسميته بهذا الاسم وهو وجود هذا الطائر في المواطن التي يكثر فيها الماعز والغنم والبقر توهماً بان هذا الطائر يأتي الدواب ليمتص لبنها وهذا وهم قديم نظنه هو الذي حمل العرب أيضاً على تسميته بالمكاء فان اللغويين قالوا في سبب تسميته بذلك انه مأخوذ من المكو او المكاء بمعنى الصفير . وهو محتمل . على انه قد يكون مأخوذاً من الملك وهو المص وأصله المكاك أي المصاص اشارة الى مصه اللبن . ثم قيل في ملك : مكا كما كان ذلك معروفاً عند قوم من العرب أي جعل المضاعف ناقصاً . كالمسبي في المسبب (التاج في مستدرك س ب ب) وتقضى في تقضض والتمطي في التمطط . قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف الى الياء ومنه قوله تعالى : وقد خاب من دساها وهو من دسست . وقوله . لم يتسنه من مسنون وقولهم : سرية من تسررت . وتلعيت من اللعاعة (عن المزهر ١ ٢٢٥)

وقد يحتمل أن يكون أصل المكاء : المكان بتشديد الكاف ونون في الآخر ثم قلبوا النون ياء كما قلبوها في الفاظ كثيرة مثل قولهم التزييد في

صغير يزقو في الرياض . قال الازهري : يألف الريف وقيل : سمي بذلك لانه يجمع يديه (كذا) ثم يصفر ... الخ كما في اللسان وقال في حياة الحيوان الكبرى : طائر يصوت في الرياض يسمى مكاء لانه يمكو أي يصفر كثيراً ووزنه فعال كخطاف . اه . وقال القزويني : المكاء من طير البادية يتخذ أفحوصاً عجيباً وبينه وبين الحية عداوة . فان الحية تأكل بيضه وفراخه . وحدث هشام ابن سالم ان حية اكلت بيض مكاء فجعل المكاء يشرشر أي يرفرف على رأسها ويدنو منها حتى اذا فتحت فاها ألقى في فيها حسكة فأخذت بحلق الحية فماتت اه»

هذا مجمل ماجاء في كتب العرب . ويتحصل منها : ان هذا الطائر يصفر وان أغلب وجوده في الرياض بين الشاء والحمير وان في جناحيه بلقاً . قلت ولذا سماه العرب بالأخرج أيضاً . فاذا تأملنا حق التأمل هذه الافادات لا يمكننا أن نسلم لحضرة الدكتور جورج پوست (في كتابه نظام الحلقات في سلسلة ذوات الفقرات . الجزء الثاني . الطيور ص ٢٧) ان المكاء هو نوع من الببغاء ولا سيما انه يقول : «أما المكاكي فاكثرها تستوطن أميركا الجنوبية وهي اكبر من سائر هذه العائلة (عائلة الببغاءات) وأذنابها طويلة جداً وألوانها بهجة جداً وتمتاز بكبر منسرها والحيز الخالي من الريش حول العينين وهي تطير الى علو شاهق» فهذا كله لا ينطبق على ما نطق به العرب حتى ولا على بعض منه فضلاً عن قوله ان وطن المكاكي هو أميركا الجنوبية فكيف ساغ للعرب ان يسموا طيوراً لم يروها ولم يعرفوها ولم تكن بلادها معروفة في أيامهم . فلا جرم ان الدكتور واهم في زعمه هذا

(٣ حقيقة المكاء) أما المكاء فعندنا هو ماسماه صاحب الاوقيانوس باللغة التركية «جوبان الدانقجي» اي المحتال على الرعاة وسماه صاحب كتاب

متحدة بغشاء الى نهاية المفصل الاول والاصبع الوسطى أطول من غيرها والمخلب مسنن على جانب واحد ولم يتفق الطبيعيون على فائدة هذا العضو فظن بعضهم ان الطائر يستعمله لنزع قطع الفسافس من هلب فيه والبعض الآخر انه يمسك فريسته بواسطته . ويستوطن هذا الطير المواضع البعيدة من مساكن الناس ولا يعشش بل تبيض على الارض (أي تتخذ لها أفحوصاً) قيل اذا رأت عدواً مقبلا دحرجت بيضها الى موضع امان » اه كلام الدكتور قلنا : ولهذا الجنس أنواع مختلفة أغلبها غريب عن هذه البلاد لا حاجة الى ذكرها هنا

بغداد أحد قراء المقتبس

الاسرائيليون

« معربة عن كتاب تاريخ الحضارة »

« العبرانيون »

التوراة — جمع اليهود أسفارهم المقدسة باسرها في سفر واحد دعوه التوراه وهو اسم يوناني معناه الكتاب. هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار لاهل النصرانية أيضاً كتاباً مقدساً . وفي التوراة أيضاً تاريخ الامة اليهودية ولقد استفدنا من كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة .

العبرانيون — لما نزل الساميون من جبال ارمينية الى سهول الفرات أخذ احد اسباطهم على عهد مملكة الكلدان الاولى يضرب نحو الغرب فجاز الفرات فالقفر فسورية وبلغ بلاد الاردن وراء فينيقية وتعرف هذه الاسباط بالعبرانيين يعني أهل ما وراء النهر وهم كمعظم الساميين شعب من الرعاة الرحالة لم يحرثوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا ينتقلون من

التزنيد (الصحاح) والميشار في المنشار (عن التهذيب للتبريزي)والصيدلاني في الصندلاني (الصحاح) وفي ليلة طلمسانة قالوا : ليلة طلمساية (التاج في طلمس) ومثل ذلك كثير عندهم .ومعنى المكان المصان اوالملجان : وهو الذي يرضع الغنم من لؤمه ولا يحلب (التاج) فيكون هذا موافقاً للمكاء لما اشتهر عنه من امر مصه او رضعه للغنم .

وهذا الطائر هو الذي سماه الدكتورجورج پوست(في كتابه المذكورآنفاً ص٥١) « ماص المعز » وسنذكر عن قريب وصفه وهو مما يوافق كل الموافقة لوصف المكاء من كل وجه

(٥ تعريف الطائر بموجب العلم الحديث) المكاكي جنس من الطيرمن رتبة العصافير المشقوقة المنقار وهي قريبة من الخطاطيف وتميز بمنقار كثير التفلطح معقوف الطرف بشعر عند قاعدته كثير الانفتاح عند الحاجة وريشها اغبر اصدأ بخطط سوداء وسيقانها مسرولة

(٦ وصفه) أصل هذا الجنس مكاء الحجاز ويسميه العلماء بمكاء أوربية قال الدكتور جورج پوست في وصفه : « ظن القدماء ان هذا الطير (أي الطائر) يمص بزاز المعز (أي أخلافها) الا ان ذلك وهم لا طائل تحته . وانما يقتات الفسافس والفراش والعث والناموس والبعوض والزيز وغير ذلك من ذات التفاصيل التي تظهر في الليل ومما يعين على لقط هذه الحشرات وجود سائل لزج داخل الفم وهلب خارجه .أما ألوان ماص المعز (المكاء) فغير ناصعة الا انها جميلة فان الريش ذو نمش وخطوط ونقط سمر وسود وسنجابية وصدائية والمنقار صغير مسطح معقوف الطرف وعيناه كبيرتان سوداوان وساقاه خشنتان حرشفيتان قصيرتان وعليهما ريش أسفل الركبة والاصابع

والعسف وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملاك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت ماناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لانزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً ارسلك الى فرعون تخلص شعبي ابناء اسرائيل وتخرج بهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفرالخروج واجتازوا بسفح جبل طورسيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملا في القفار جنوبي سورية

اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكراث والبصل نخليق بنا أن نؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بهاذراريهم

الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار وينابيع في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال .وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

مكان الى آخر في قطعان بقرهم وغنمهم وجمالهم منتجعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة - كان السبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط اباً وكاهناً وقاضياً وملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظمهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخر والد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقد اعطى ابراهيم ربه ميثاقا ووعده الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون — سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه بني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابنائه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزيزها احد الفراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارجاء قروناً كثيرة جاؤا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل. خل عنك النساء والاولاد .

نزول الوحي على موسى — افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرهم الى صنع الملاط والقرمد لابتناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابنائهم وقد اوحي اليه ربه وعهد اليه ان ينقذهم من الجور

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصاياه العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل مافيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزن لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشريعة — على الاسرائيليين ماخلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شريعة اسرائيل . فالشريعة تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين الاعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشريعة هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشريعة عندهم والامر على ماذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

أو الكهنة وعددهم ٢٣ الف رجل . وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فابادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم

" ديانة الاسرائيليين "

الله الفرد — عبد سائر الشعوب القديمة اربابا كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلاهٍ منزه عن الهيولى برأ العالم ودبره . ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض. وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله — بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناء بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك وبين ذريتك عهداً لاكون ربك ورب ذريتك من بعدك. وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له: انا الله القادر اله آبائك فلا تحام نزول مصر فسأجعلك فيها امة عظيمة . ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل انني انا الله السرمد اله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد — فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذاً اتحاد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريدهم عليه كما يطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر — أوحى القيوم الصمد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طورسيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحمأة العبودية

الملوك — سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فملك عليهم شاول على رغم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له: لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس — كانت القدس بالنسبة الى بابل ونينوى عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطيء لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد — كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصارى مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير الكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرجة ذات أغصان

والجزائية ولمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها

(الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول من خضع وخنع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي تبدون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه بسائر الساميين في سورية وظل الاسرائيليون وحدهم على قدم الاخلاص للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدريج . نعم انها لامة قليلة الحصا والعدد ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« مملكة القدس »

القضاة — نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قروناً كثيرة لم يكن لذلك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بتة بل كل يعمل على شاكلته ويحكم بما يوحي اليه رأيه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون ربهم ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خانعين يرسل ربهم اليهم قضاة يسعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد دبيب الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين ومبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باريء النسم وينذرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينيبوا اليه فكانوا من ثم يدعون ويتنبأون

التعليم الجديد – رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهي أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة وليت شعري لم يذبحون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أصيخوا إليّ باسماعكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرابينكم فقد شبعت من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينة وماعاد يلذ لي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخوركم ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهراق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الايم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالنذور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح – استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفثأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذلك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهيأوا السبل للمسيح

سبعة ومائدة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعد واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعاظم الرجال وربما كان في الاحايين اكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل — ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألفوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو لملك بيت المقدس سوى سبطين ومنهما قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك المملكتين بما اضطرا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بايدي بختنصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين — رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ماجرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق . وركب ابناء اسرائيل هواهم واجترحوا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علالي وقصوراً في المدن كافة وحذوا حذو الامم المحيطة بهم فخالفوا بذلك أمر ربهم وماحرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلادهم

الانبياء — على ذاك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرمياوأشيعيا وحزقيل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زماناً في الصيام والصلاة

ما كتب على اليهود بعد تفرقهم — عاشت الامة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما تشتت شملها تحت كل كوكب في العالم انشأت تستغني عن المعبد واقت كتبها المقدسة مكتوبة بالعبرية. والعبرية لغة بني اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتبسوا لغات الشعوب المجاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصا اليونانية. على ان المنورين في الدين من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يشرحون التوراة ويفسرونها وهكذا حفظت الديانة اليهودية وبفضل اللغة العبرية ايضاً بقي الشعب اليهودي وكثر اتباع هذا الدين في الاغيار فكان في المملكة الرومانية اناس كثيرون ممن يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي في شيء.

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطفقت تضطهد اليهود اضطهاداً دام الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جمعاء. ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في اجراء مراسيم دياناتهم لغناهم واستئثارهم بفروع الاعمال المالية ولكنهم يحوئهم عن ممارسة الوظائف الادارية ولقد اكرهوا في معظم المدن ان يلبسوا ثياباً خاصة وينزلوا في حي خاص مظلم وخيم وبيل وان يعشوا احيانا باحدهم يصفع في عيد الفصح والناس يرمونهم بانهم يسممون الينابيع ويقتلون الاطفال ويدنسون القربان المقدس وربما يثورون بهم في الاحايين فيقتلونهم ويغنمون ما في دورهم ويسقيهم قضاة البلاد السم أو يعذبونهم او يحرقون لاقل حجة تافهة ولطالما نفتهم الحكومات زرافات من بلادها وصادرت اموالهم ولقد اجتث دابر اليهود من فرنسا واسبانيا انكلترا وايطاليا ولم تبق منهم بقية الا في بلاد البرتغال والمانيا وبولونيا وفي البلاد الاسلامية ومن هذه الممالك رجعوا الى سائر قارة اوروبا منذ انتهت ايام اضطهاداتهم وكف الناس عن ارهاقهم واعناتهم

حكم الاعدام

اكثر معاني هذه القصيدة منقول عن فيلسوف فرنسا وشاعرها فيكتور هوكو من مقدمة كتاب له عنوانه « اواخر ايام المحكوم عليه بالقتل »

بين القضاة وآلة الاعدام	حكم يشين عدالة الحكام
حسب القضاة القتل اردع رادع	يثني محلل افظع الآثام
وهم القضاة فليس يعدلُ حاكمٌ	إلاّ بقتل مفاسد الايام
هي اوجبت سفك الدماء ومهدت	الاشتباه سبيل كلّ حرام
هي خالفت ما بين اخلاق الورى	فتفرقوا فرقا بغير نظام

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس ــ جاء ابناء يهودا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروه في أناشيدهم يقولون جلسنا على شاطئ انهار بابل وبكينا وقد ذكرنا صهيون . فعيداننا كانت معلقة في اشجار الصفصاف على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا بنا : تغنوا ببضع اناشيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان نتغنى بنشيد الرب في ارض غريبة . وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سيروس فاتح بلاد بابل ان يعودوا الى فلسطين فجددوا بناء البيت المقدس والمعبد وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفاظ بالكتب المقدسة وجددوا العهد مع ربهم علامة على انهم عادوا الى طاعته وعدوا من شعبه وهذا العهد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبه اعيان الشعب ووقعوا عليه .

اليهود ــ دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملك تارة وكاهن كبير أخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدي الجزية الى زعماء سورية فجبى جزاها الفرس اولاً ثم المقدونيون ثم السوريون ثم الرومانيون . وإذ صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عهدهم الاول من العمل بشريعة موسى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ الشريعة بمظاهرة مجمع الاعيان والكتبة ينقلونها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الجري عليها والعمل بدقيقها وجليلها واشتهر الفريسيون خاصة بغيرتهم وتفانيهم في القيام بضروب الاعمال الصالحة

المدارس (الكنائس) ــ ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتشرون خارج بلادهم في مصر وسوريا وآسيا الصغرى وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعاً كالاسكندرية ودمشق وانطاكية وافيس وكورنت ورومية وكانوا ابداً يجتمعون في صعيد واحد ليحفظوا كيانهم ويجمعوا شملهم المشتت بين الوثنيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان يبنوا سوى معبد يهودي واحد ألا وهو معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتقام المواسم والشعائر بيد انهم كانوا يجتمعون. ليشرحوا كلام الله ويتلوه ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنيس) ومعناه المجالس

خراب المعبد ــ ظهر المسيح في خلال تلك المدة فصلبه اليهود واضطهدوا حوارييه سواء كان في بلادهم او في المدن الكبرى التي حل فيها الجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاخذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا بيع الاماء والعبيد فالقى الرومانيون النار في المعبد وقد حفل وطابهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لدينهم

سؤالاً منطقياً وضعه الممتحنون في سنة ١٨٨٢ في مدرسة كلكتا الجامعة وردفيه ذكر المكتبة:

بين خطأ القضية الآتية : ان الكتب التي تتفق مع القرآن في شيء لا فائدة منها لوجوده والكتب التي تخالفه يجب اتلافها

لم يكتب تاريخ كبير في حوادث العالم الا وورد فيه ذكر مكتبة الاسكندرية. وكثيراً ما كان كبار المؤلفين يشفعون الحادثة التاريخية برأيهم الخاص في هذا الموضوع مظهرين خطأ التهمة او صوابها ويحسن بنا في مثل هذا المقام ان نأتي على الكتب التي استند عليها المؤلف في المراجعة قبل كتابة هذه الرسالة فاول هذه الاسفار تاريخ رومية تأليف العلامة جيبون ونحن نوجه الانظار الى ما كتب في هذا الكتاب عن « فتوح الاسكندرية » وثانيها كتاب اجيتكا او ملاحظات فلسفية على بعض الحوادث التاريخية تأليف الاستاذ هويت مدرس اللغة العربية في مدرسة اكسفورد الجامعة وفي هذا الكتاب ناصر المؤلف القائلين باتهام المسلمين باحراق المكتبة.

ثم كتاب « الخلفاء الراشدين » تأليف وشنجتون ارفنج صحيفة ١١٣ ثم كتاب « تاريخ العرب » صحيفة ٢٥٤ ثم تاريخ بلاد العرب قديماً وحديثاً تأليف العلامة اندريو كريستون صحيفة ٣٩٣ ثم تاريخ نزاع العلم والدين تأليف العلامة درابر الشهير صحيفتا ١٠٣ و١٠٤ ثم مقالة دائرة المعارف الانكليزية الكبرى عن « الاسكندرية » ثم تاريخ العرب العام تأليف العلامة سدليو. ثم شرح العلامة دي ساسي على تاريخ عبد اللطيف البغدادي وفيه كلام مطول وبحث تام عن احراق المكتبة ثم رسالة الهير كربل العالم الالماني التي تليت في مؤتمر المشرقيات في جلسته الرابعة في فلورنسا سنة ١٨٧٨

واغلب كتاب هذه الكتب سيما من يتبتون هذه الاشاعة يبرئون انفسهم بقولهم انهم لم يأتوا بها من عند انفسهم بل هم يستندون في تقرير هذه الحقيقة الى ما كتبه العرب انفسهم في كتبهم وما دونوه في تواريخهم

وأول من اشاع هذه الاشاعة في اوروبا رجل اسمه ابو الفرج وهو ابن رجل من بني اسرائيل اسمه هرون الطبيب. وقد ولد ابو الفرج هذا في ملاطية سنة ١٢٢٦ م. وانتحل ابوه المسيحية فنشأ الولد عليها وتفرغ في صباه لدرس فقهها وتمحيص حقائق تلك العقيدة وكان يحسن العربية والسريانية ولما ظهر علمه وبان فضله عين اسقفاً لجوبا وهو حينئذ في الحادية والعشرين من عمره وما زال يرتقي في درجات الكهنوت حتى صار رئيس طائفة اليعاقبة ولم يكن فوقه سوى البطريرك وكتب ابو الفرج تاريخاً جمعه من مصادر شتى عربية وفارسية وسريانية ويونانية واختصره في سفر صغير كتبه بالعربية وسماه « مختصر الدول » وكان

هي علمتهم كيف يفتك بعضهم | بالبعض فتك الذئب بالاغنام
كم مذنب يأتي الذنوب وجهله | أو فقره يقتاده بزمام
يا للقضاء أما تهاب حكومة | ان تزهق الارواح في الاجسام
هل قل في الارض الهواء فلا غنى | عن حكم موت للشقي زؤام
أيضيق جوف السجن عن امثاله | والقبر اضيق منه عند زحام
لا تستقيم حكومة الا اذا | قامت بمعالجة الكل سقام
تغني أخا البؤس اليتيم بفضلها | حتى تكون كفيلة الايتام
وتزيل أسباب الخصام فيغتدي | ابناؤه اعداء كل خصام
ما للعقوبة ان نعلم جاهلا | لا يذهب الاعدام بالاعدام (١)

القاهرة — نقولا رزق الله

مكتبة الاسكندرية

(نشر المقتبس في الجزء الثالث مقالة ملخصة من كتاب تركي في نفي تهمة حريق مكتبة الاسكندرية عن عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب بالادلة التاريخية ولما اطلع عليها العلامة المتفنن الشيخ شبلي النعماني احد كبار دعاة الاصلاح في البلاد الهندية بعث لنا رسالة له كان كتبها بالانكليزية في معنى حريق المكتبة الاسكندرية فدفعناها الى صديقنا محمد لطفي جمعة فعربها ملخصة على ما ننشرها . وفي مأمولنا ان لايحمل القراء هذا الموضوع الا على ارادة تصحيح خطاء تاريخي اذ ليس في نسبتها لاحد رجال الاسلام ما يدعو الى الطعن في الدين نفسه كما انه ليس في نسبتها لبعض رجال النصرانية طعن عليها بالذات والمجلة لية ادبية اجتماعية وهذه الابحاث هي موضوع اهتمامها ابدا) . قال العالم الهندي :

ان ما يوجهه الغربيون عامة من اللوم الى المسلمين ويتهمونهم به من احراق مكتبة الاسكندرية ليس سوى احد أمور كثيرة ظلم فيها الغرب الشرق ووجه الاغيار الى المسلمين سهام اللوم بغير حق وقد سرى هذا الاعتقاد الى جميع المشتغلين بالعلم والادب من الافرنج بحيث لا تجد كتاب علم او قصة او تاريخا او خرافة او مثلا سائراً الا وفيه ذكر لاحراق مكتبة الاسكندرية وتقريع للسلمين الذين احرقوها وقد دخلت مكتبة الاسكندرية حتى في القضايا المنطقية وهي من العلم الصراح الذي لا ينبغي ان يشاب بالاغراض والاهواء وهاك

---

(١) الفقر

واذ ان منبع هذه الاشاعة هو ما كتبه مؤرخو العرب فنحن أعلم بما كتبه هؤلاء من غيرنا والمثل العربي يقول « وصاحب البيت ادرى بالذي فيه »

ونحن نعلم ان الافرنج الذي ايدوا الاشاعة اعتمدوا في كتبهم على ما كتبه عبد اللطيف والمقريزي وحاجي خليفة وقد سرت عدوى التقليد الى بعض جهال المؤلفين فنقل احدهم الخبر وعزاه الى ابن خلدون مما دلّ على انه لا يعرف من العربية وكتبها شيئا . ومن العجيب انه ينقل ما نقل عما كتبه ابن خلدون عن عمر هذا على شهرة الكتاب بين قراء العربية وعلمهم بانه لم يحدث لهذه القصة الكاذبة ذكرا

اما كتاب المقريزي فها هو بين ايدينا في الجزء الاول من ص ١٥١ وصف المؤلف عمود السواري وهو احد الاعمدة الشهيرة بالاسكندرية نقلا عن عبد اللطيف البغدادي حرفا بحرف . اما مكتبة الاسكندرية فقد ورد ذكرها عرضا في تاريخ المقريزي ولذا يرى الموسيو لانجل ان ما كتبه المقريزي عن المكتبة مجيء في كتاب المقريزي الا عرضا ايضا .

ومن الغريب ان المؤلفين من الافرنج ممن لم يروا تاريخ المقريزي مرة في حياتهم ويشيرون اليه في كتبهم والى سابقه تاريخ عبد اللطيف . اما الموسيو لانجل فقد قرأ تاريخ المقريزي في لغته بالحرف ونقل منه تاريخ فتوح الاسكندرية نقلا وافق فيه الاصل فلم يرد لمكتبة الاسكندرية في خلال ما كتب ذكرا او شبه ذكر

وعليه فلا يبقى لدينا الا مؤرخان هما عبد اللطيف وحاجي خليفه وكثيرا ما يشير مؤرخو الافرنج الى الاخير ولكنهم لا يقتبسون منه حرفا . وقد اراحنا دي سامي من عناء بحث طويل في هذا الموضوع بان نقل ما كتبه حاجي خليفة بهذا الشأن وهو .

اهتم الناس في صدر الاسلام بدرس فروع الشريعة وفنون الطب لاحتياجهم الى الامرين وضربوا صفحا عما سواهما . ولما كانت العقيدة لم تثبت بعد ولا تزال مقلقلة في قلوب الكثيرين ممن انتحلوا هذا الدين رأى اولو الامر ان يحرقوا ما وجدوه من كتب العلم والحكمة في مكاتب البلدان المغلوبة لئلا يجد الشك سبيلا الى قلوب المسلمين . اه

ويرى القارئ ان حاجي خليفه نفسه لم يذكر الاسكندرية او مكتبتها بحرف انما ذكر امر احتراق الكتب عامة ولم يعين مكانا وهذا نوع من التعمية والنقص في التاريخ لا ينبغي الركون اليه او الاعتماد عليه فلم يبق بعد الا عبد اللطيف البغدادي وهو الذي كتب كتابا فيما شهده في مصر وقد فرغ من تصنيفه في العاشر من شهر شعبان سنة ٦٠٣ للهجرة . وقد جاء فيه من الاغلاط والاكاذيب في وصف منارة سافاري ونسبتها الى ارسطو والاسكندر وغيرهما ما يزعزع الثقة فيما كتبه هذا « الثقة » . وقد ذكر هذا الهير كيريل

هو اول من ذكر خبر احراق مكتبة الاسكندرية فلما نقل الكتاب الى اللاتينية سنة ١٦٦٤ بدأت الاشاعة تتفشى في اوربا بأسرها. واليك ما ذكره جيبون في تاريخه بالحرف : وقد ذكر ارفنج وكريستون وفلين وغيرهم ان ما اشيع عن الاسلام والمسلمين من المساوىء لم يكن له ذكر قبل نقل هذا الكتاب « مختصر الدول » الى اللاتينية ومن ذلك الحين ابتدأ الغربيون يبغضون المسلمين ويحتقرونهم وهاك ما جاء في مختصر الدول بهذا الشأن :

ولما احب عمرو يوحنا فيلوبونوس لعلمه وادبه وقربه من مجلسه وادناه من نفسه وصارت ليوحنا دالة على عمرو لقيه يوما وقال له : لقد ملكتم كل شيء في هذا البلد (الاسكندرية) بعد فتحه . فنحن لا نعارض في امتلاككم ما ينفعكم كما انني لا ارى مانعا من ان ننتفع بما لا تريدون فسأله عمرو عن غرضه فقال اريد ما في المكاتب الملكية من الكتب والمؤلفات الفلسفية .

فقال عمرو لا بد لي ان اسأل الخليفة في ذلك وكتب اليه يشاوره في الامر فاتاه من عمر هذا الجواب

اذا كانت الكتب التي تشير اليها تتفق مع كتاب الله فلا حاجة لنا بها واذا كانت تخالفه فاتلافها خير واولى .

فوزع عمرو الكتب على حمامات الاسكندرية وامر باحراقها لاحمائها فاستمرت النار ستة اشهر تأكل الكتب . « فاقرأ وتعجب » اهـ ما جاء في مختصر الدول

وقد انتشرت الاشاعة في اوروبا على هذه الصورة وكان العلامة جيبون اول من نبه الناس الى خطئها فانه قال في كتابه « انني لا اعتقد صحة هذه الرواية لاسباب قوية منها ان ابا الفرج بن هرون ولد بعد فتوح الاسكندرية بخمسة قرون وجاء قبله كثيرون من المؤلفين والمؤرخين ونحن لم نجد لهذه الاشاعة فيما كتبوه عن مصر ذكرا فكيف نعتمد على قوله ونحله من الصدق غير محله .

وقد نبه جيبون بذلك اذهان علماء الغرب فانقسموا قسمين قسم نهض لمناصرة جيبون. وقسم قام لمعارضته ومناهضته ومن هؤلاء المستر كريستون الذي كتب تاريخا للاسلام فانه قال :

« لو فرضنا ان ابا الفرج كاذب فيما قال واستثنينا عن روايته فاننا لا نستطيع ان نغض الطرف عن غيره من كتاب المسلمين انفسهم امثال عبد اللطيف البغدادي والمقريزي وكلاهما ذكر القصة في تاريخه بالتطويل . وكذلك قال الهير كيريل وهو يقول ان عبد اللطيف اول من ذكر هذه الحادثة وهو ايضا ولد بعدها بخمسة قرون

يكن يريد فتح مصر ولكن عمرا اخذ ذلك على نفسه فاطاعه الخليفة في فتح مملكة فكيف لا يرضى له ابقاء مكتبة .

ومما يدل على ان المكتبة لم يكن لها وجود في عهد عمرو انه لما كتب تقريره المطول الى الخليفه بعد فتح الاسكندرية جاء فيه : « وفي هذه المدينة اربعة آلاف حمام واربعة آلاف دار لها شرفات واربعون الف اسرائيلي يدفعون الضرائب واربعمائة مكان للرياضة والتنزه واثنا عشر الف حديقة تخرج الاثمار » فهل يعقل ان الرجل الذي لا يغفل في تقريره الحدائق والديار ان يهمل ذكر مكتبة الاسكندرية لو كانت موجودة في عهده على ما لها من الاهمية

ونحن نختم هذه الرسالة ببيت من الشعر الانكليزي : « انما نوجه اليهم سهام اللوم وليس جديرا باللوم سوانا »

الامة الشرقية

وذكرى المستنصرية والنظامية

أي خطب دها واي بلية   قد احاطت بالامة الشرقية

قد وكلنا احوالنا للاماني   والاماني مضلة للبرية

بعد ان كان علمنا تتأثره نا   خذ عنا الطوائف الغربية

قد عدونا ننيه في مهمه الجهـ   ـل ورضي بحالنا المخزية

رفض العلم قائلين حرام   حرمته الاوامر الدينية

مثل هذي الدعوى تشوه وجه الد (م) ين والدين كاللآلي المضية

اين منا الحزم المذلل للصعـ   ـب واين الحمية العربية

اين منا الشعور بالهم والنجـ   ـدة بل اين تلكم الاريحية

عيشنا كله سبات عميق   ان بعض السبات صنو المنية

أنسيتم دار السلام وعاز   ان تقولوا لقد غدت منسية

ولكم ضم قطرها من ربوع الـ   ـعلم بالله المراصد الفلكية

فطلول المستنصريه لم تبـ   ـرح ولكن هناك منها بقية

تلك كانت مأوى لكل مريد   راغب في العلوم والمدنيه

كم افاضت على أناس علوما   فاشادوا مباني الصحية

ونظاميــة النظام ألم تتـ   ـل عليكم اخبارها المروية

أخرجت من أئمة العلم قوما   ناطحوا (اورانوس) في العلويه

في رسالته التي قرأها على اعضاء مؤتمر علماء المشرقيات

على ان لدينا دليلا آخر لهدم ما بناه عبد اللطيف لو فرضنا صدقه . وهو ان عبد اللطيف البغدادي على سعة علمه وفضله لم يكن مؤرخا بل كان طبيبا حاذقا ومن يقرأ كتاب عيون الانباء في طبقات الاطباء يعرف فضل عبد اللطيف في الطب وفروعه ولا يخفى ان من يطلب من الطبيب ان يكون مؤرخا كمن يطلب من المؤرخ ان يكون طبيبا ولو ان ابن سينا والفارابي او احدهما كتب لنا حادثة تاريخية هل يجب علينا ان نثق بها ونعول على صدقها مع علمنا بانهما اختصا بفرع من العلم غير فن التاريخ ؟

اضف الى ذلك ان عبد اللطيف لم يكن مؤرخا بل كان كتابه عبارة عن مجموعة حوادث رآها في عصره واحب ان يدونها بدون امعان نظر او اعمال فكره .

وبعد فان الواقف على حقيقة التاريخ يعلم حق العلم ان مكتبة الاسكندرية احرقت قبل دخول الاسلام الى مصر اذ لا يخفى ان ملوك الوثنيين هم الذين اسسوها فلما جاءت المسيحية الى مصر وكانت في نشأتها متعصبة لدينها وعلومها تحرض القسيسين والكهنة سعوا اهلها في احراق مكتبة الاسكندرية وقد سلم بذلك كثيرون من كبار العلماء في الغرب ومنهم العلامة ارنست رينان الذي القى خطابا اسمه « الاسلام والعلم » في المجمع العلمي الفرنسوي وذكر فيه ان العلم والدين الاسلامي يجتمعان ولكنه عند ما وصل الى ذكر مسألة مكتبة الاسكندرية قال انه لا يعتقد بان عمرا هو الذي احرقها لانها احرقت قبله بزمن طويل .

وكذلك ذكر العلامة درابر في كتابه ان يوليوس قيصر عند قدومه الى مصر لنجدة كليوبطرة احرق نصف المكتبة وقام بطارقة الاسكندرية فاحرقوا البقية وذكر اوروسيوس انه رأى بعينه اماكن الكتب خالية منها بعد ان صدر امر الامبراطور تيودوسيوس باحراقها

اما وقد انتهى ما لدينا من الادلة بطريق النقل فنحن نعمد الآن الى العقل فقد جاء من الرواية التي ابتدأنا كذبها ان الكتب وزعت على حمامات الاسكندرية وبقيت تشتعل ستة اشهر وكتاب الافرنج يقولون ان حمامات الاسكندرية كانت في ذلك الحين تزيد على اربعة آلاف فما مقدار تلك الكتب التي تحرق في ستة اشهر في اربعة آلاف حمام ؟

ثم لننظر في مسألة اخرى تحتاج الى تحكيم العقل : وهي هل يعقل ان عمرا وهو الذي اشتهر بحب العلم واهله وتقريبهم من مجلسه واكبر دليل على ذلك تقريبه ليوحنا متليوبوس ان يعمد الى احراق كتب ثمينة امتدحها له صديقه ولو قيل لنا ان عمراً لم يكن حر التصرف نقول لا بد ان يكتب على الاقل كلمة في نفاسة المكتبة في كتاب الى عمر ولا نظن ان الخليفة كان يخذله في امر كهذا لما للفاتح عنده من المقام والمكانة . مثال ذلك ان الخليفة لم

شمال اهلها كل ممزق

ولقد صادق كثير من العلماء القدماء على رواية موسى بشأن احراق سدوم وخراب سائر المدائن المذكورة وتناولها شعراء اليونان ودونوها في قصائدهم بيد انهم مزجوها بخرافاتهم الفاسدة. ومن اولئك المقرين على تلك الرواية استرابون الجغرافي الشهير المولود في نحو ٢٠٠ سنة ق. م. و يوسيفوس المؤرخ العبراني الذي ولد سنة ٣٧ ق. م. واذ ان آراء اهل التنقيب والعلم تباينت في موقع سدوم فقد اختلفت ايضا آراء المفسرين من علماء الدين في كيفية احراق سدوم وسائر المدائن السابقة الذكر

ذهب فريق من العلماء الى ان الله انزل الكبريت والنار على تلك المدن حقيقة فاحرقتها ودمرتها ودكتها الى الحضيض. ودليلهم على مذهبهم ان التوراة المنزلة صرحت بالامر بحيث لم تبق شكا فيه. وارتأى غيرهم من رجال الدين الى ان بركانا ناريا انفجر في بطن الارض فاحرق تلك المدن ودليل ارباب هذا المذهب هو ان ابراهيم الخليل تطلع على تلك البقعة فرأى اذ ذاك دخانا كثيفا متصاعدا من قلب الارض.

وبعد فقد عنيت بعض الجمعيات الاوربية بالبحث عن سدوم وسواها افادة للعلم باثر يجدونه في ارجائها . ورجال العلم الحقيقي في هذا العصر - عصر التحقيق والبحث - باذلون ما في وسعهم لكشف النقاب عن كل مسألة غامضة تفيد العلم والمجتمع.

وقرأت ان احد السياح الباحثين وجد تمثالا من ملح في جانب جبل سدوم في جنوبي بحيرة لوط ولعل هذا التمثال هو نصب امرأة لوط التي تقول التوراة عنها بانها عوقبت بذلك من اجل مخالفتها لامر رجلي الله فالتفتت الى ورائها لترى ما حل بسدوم

اما تاريخ احراق سدوم ودمارها فيرجع الى ايام ابراهيم الخليل جد اليهود . وتاريخ ابراهيم يرد الى زهاء اربعة آلاف سنة. ولما كانت التوراة اهم مستند لدرس العلماء الملاحدة على رغم الحادهم لانها اقدم تاريخ من حيث المادة التاريخية يرجعون اليها في كثير من المسائل القديمة. ولما كانت موضوع بحث الباحثين من ائمة الدين وعلمائه من شرقيين وغربيين لم ار بدا من الرجوع الى التوراة في بعض وصف مدينة سدوم وعمورة وتوغلهما في القدم والعمران

فقد سمى موسى الكليم تلك البقعة مدن دائرة الاردن ووصفها بقوله انها جنة وان اراضيها تسقى بمياه نهر الاردن ولا غرو فقد هام الشعراء في هذا العصر بجمال بقاع بحر الميت فنظموا فيها القصائد . وأمها السياح من كل حدب وكانت كتاباتهم مجمعة على جمال موقع تلك البقعة وخصب اراضيها وطيب هوائها وعذوبة مائها. ولم يرد في التوراة شيء عن عدد سكان تلك المدن الاربع غير ان كثرة فساد الآداب في سدوم وعمورة خصوصا على ذلك العهد

كان عيش التلميذ فيها رخاءً فيض رزق وحكمة فلسفية
فخليق بنا ونحن اباة الضـ (م) يم ان ننبذ الشؤون الدنية
وبأن نقتدي باسلافنا من رفعوا اصرح الفخار العالية
فمن العار ان نكون بعصر الا علم ما عنـدنا ولا كاية
اترى حالنا تبدل ام نبـ قى مدى الدهر أمة جاهلية
ليت قومي يذكرون عساهم يتـلافون خطبنا بروية
ومن العجز ان ننام عن السعـ ي ونرجو سعادة مرضية

القاهرة حسين وصفي رضا

سدوم القديمة وسدوم الجديدة

اختلف علماء الآثار ورجال البحث والاستقصاء في موقع سدوم اختلافهم في سواها من المسائل العلمية العويصة والمشاكل التاريخية الغامضة والمباحث الاثرية الدارسة فذهب فريق منهم الى ان موقع سدوم كان في الجنوب الغربي من بحيرة لوط في جانب الجبل المعروف بسدوم. وذهب آخرون الى ان هذه المدينة القديمة كانت ممتدة من جنوبي بحيرة لوط الى غربي شاطئ نهر الاردن. وزعم غيرهم ان موقع سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم كان على شاطئ بحيرة لوط ثم غمرت بعد ان خربت. وصرح فريق آخر بان موقع هذه المدن هو بحر الميت نفسه او بحيرة لوط عينها وقد استدل اصحاب هذا المذهب على ذلك باقوال التوارة. فمكان موقع سدوم اذا صح مذهبهم تحت مياه الجانب الغربي من البحيرة. ومهما تكن تلك الآراء متباينة فقد اجمع اولئك الباحثون على ان مواقع تلك المدن كان في انحاء بحر الميت في القسم الغربي من قارة آسيا

يظهر للمطلع على الاصحاحين ١٨ و١٩ من سفر التكوين — السفر الاول من الاسفار الخمسة لموسى الكليم — ان سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم المتقدم ذكرها قد انحطت آداب سكانها بحيث لا تطيقها شريعة الهية كانت او ادبية او اجتماعية فقضى الله جلّ جلاله بان يعاقب سكانها واطلع ابراهيم الخليل يومئذ على ما سيحل باهل سدوم فسأل واحداً من اهل الله ممن زاروه من قبل لخلاصها والرفق باهلها. فذهب اثنان منهما الى سدوم ولما لم يجدا فيها الا فشو الفاحشة والشر الفاضح اخرجا لوط ابن اخي ابراهيم مع امرأته وابنتيه الى بلدة مجاورة اسمها صوغر. ثم هطلت نار من السماء فاحرقت سدوم وعمورة وادمة وصبوئيم ومزقت

ويرجع تاريخ هذه المدينة الى اكثر من مئة سنة ايام كانت فرضة تجارية ليس فيها من العمران الا اليسير على انها اخذت بالتقدم والنماء منذ ثلاثة ارباع قرن شأن المدن الراقية حتى بلغت مابلغته وناهز سكانها اربعمائة الف نسمة

هذا بعض وصف مدينة سدوم العالم الجديد قبل الحادثة الاليمة التي ألمت بها. اما اليوم فقد صارت قصورها البديعة رماداً ودورها الجميلة خرابا وسائر ابنيتها الثمينة قفراً يبابا حتى ابتلعت الارض كثيراً من رياضها الغناء وحدائقها الزهراء واصبح معظمها اطلالاً دوارس وآثاراً طوامس

تناول شعراء الاميركان فاجعة غادة الباسيفيك ونظموا فيها القصائد المؤثرة فرثوها بما يذيب سماعه قلب الجماد . واشتغلت الاسلاك البرقية في كارثتها العظيمة في كل انحاء البلاد وبلغ نبأُها ارجاء العالم المتمدن وانقضت اسابيع على المصيبة والجرائد الاميركية بالاجمال تصف هذا الخطب الجلل

حدث زلزال شديد في الساعة الخامسة والدقيقة الثانية عشرة من صباح ١٨ نيسان (ابريل) الماضي في مدينة سان فرنسيسكو دام دقيقتين فانشقت الارض وابتلعت شطراً من المدينة بما فيها ومادت الابنية وسقطت الدور ودمرت القصور وفاضت مياه الاوقيانوس على المدينة واخذ البركان في جوف الارض ينذرها بالويل والشقاء والدمار . حدث هذا الزلزال بينا كان الناس نياما فزعزع اركان المدينة واشد ما كانت وطأته على اهم بيوت التجارة والاعمال فيها ثم توالت الزلازل فاتت على البنايات المتزعزعة ودمرتها وثبتت الابنية المتينة المشيدة هيا كلها بالحديد بادئ بدء

ثم تصدعت انابيب الغاز من الزلازل التي توالت بشدة فشبت النار في المدينة والتهمت مابقي من الدور الفخيمة والابنية العظيمة وحاول رجال المطافيء اخماد النيران ولكن مساعيهم ذهبت ادراج الرياح ثم عادوا بالديناميت لنسف الابنية المجاورة لالسنة اللهيب الهائلة فلم يستطيعوا ايقافها وما انقضى بضع ساعات على شبوب النيران في الحي التجاري حتى اتصلت باحياء السكن فالتهمتها فاصبحت المدينة كطود من نار

واذا رأى الفرنسيسكيون ان عروسهم الجميلة قد دكت الى الحضيض ودفنت طيّ اللحود فرّ منهم نحو مئة الف نفس الى اوكلاند كاليفرنيا وفرّ الثلاثمائة الف الباقون الى الجهات المجاورة للمدينة والمطلة عليها يتوسدون الغبراء ويلتحفون السماء ويقاسون آلام الطوى اشكالاً ويذوقون البلوى الوانا حتى بيع رغيف الخبز بدولار . ولم تنحصر الفاجعة الاليمة في عروس الباسيفيك بل قد امتد خطبها الفادح الى غيرها من البلاد المجاورة فالحقت بها اضراراً فاحشة

تدل على ان تينك المدينتين كانتا مأهولتين بالسكان . والفاحشة في الغالب لا تتفشى بكثرة الاّ في المدن الكبيرة وحيث يكثر الزحام و ينمو السكان

وصرح موسى الكليم بانه كان لكل مدينة من مدن الدائرة ملك . فكان بارع ملك سدوم وبرشاع ملك عمورة وشنئاب ملك ادمه وشمئبير ملك صبوئيم وانه قد حدثت لهؤلاء الملوك مع ملوك شنعار والاسار وعيلام وجوييم وان ابراهيم الخليل استرجع من هؤلاء الملوك مدن الدائرة والاسلاب بعد ان تغلبوا على ملوك مدن الدائرة وان ابراهيم تتبعهم الى حوبه قرب دمشق شمالاً هو ورجاله الثلاثمائة والثمانية عشر حيث استظهر عليهم

***

هذا بعض ما لخصته واستنتجته من ابحاث رجال العلم والدين التي طالعتها . وقد اذكرني بالكتابة في الموضوع حادث سان فرنسيسكو التي سماها رجال الدين في اميركا « سدوم العالم الجديد » لما اصابها في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ من البلايا التي تشبه بلايا سدوم العالم القديم

اكبر ولاية في الولايات المتحدة بمساحتها هي تكسس وثاني ولاية كاليفورنيا واكبر مدينة واشهرها في كاليفورنيا سان فرنسيسكو او هي اكبر مدينة في غربي الجبال الصخرية في الولايات المتحدة تقع على شاطئ الاوقيانوس الباسيفيكي من الجهة الشرقية منه وهي مفتاح ولاية كاليفورنيا ومرفاها امين جداً . والحاجة العمرانية تستلزم وجودها في تلك البقعة دع عنك اهمية موقعها التجاري والبحري . ولقد دعاها الاميركيون باريس المدن العربية في الولايات المتحدة وعروس الباسيفيك . ولا غرو فان مركزها من اجمل مراكز الدنيا وهي كعبة السياح واصحاب البذخ والترف ومتنزه ارباب المال والجاه ففيها الملاهي على تباين انواعها والمقاصف على اختلاف اسمائها والحانات وما يتبعها و يتصرف عليها . وكما ان اهل العالم الجديد سموا مدينتهم الغربية باريس كاليفورنيا هكذا دعوها رتاج الذهب لكثرة النضار في ولاية كاليفورنيا لان هذه الولاية اغنى الولايات في البلاد المتحدة بمعادنها الثمينة لا بلجينها فقط بل بنضارها وسائر معادنها .

ولم تكن شهرة قصورها الفخمة ودورها الجميلة وابنيتها الشاهقة ومحالها البديعة باقل شهرة من قصور سائر مدائن الولايات المتحدة الكبرى كنيو يورك وشيكاغو وفيلادلفيا وسواها ففيها ابنية عظيمة وجميلة وثمينة مؤلفة من ست طبقات الى سبع عشرة طبقة وهي الثالثة من نوعها في العالم الجديد . اما نزلها الشهير المعروف بالبالاس الذي كلف بناؤه سبعة ملايين دولار (ريال) فهو اجمل نزل في العالم الجديد بل في سائر اطراف المعمور . وما قيل في نزل عروس الباسيفيك من حيث الجمال والاتقان والشهرة يقال في دار الحكومة التي انفق في سبيل بنائها تسعة ملايين دولار اميركي واشتغل مئات العملة في بنائها ربع قرن .

اوهايو الى حدود سانت فرانس وانخفضت الارض مئات اقدام في بعض الانحاء وارتفعت في سواها ودمرت البلاد الكثيرة وسببت الخسائر الفادحة. وقد ابتدأ حدوث هذه الزلازل في ١٦ كانون الاول (يناير) سنة ١٨١١ وظلت تتراجع بكل طولها وحولها حتى اوائل شهر شباط (فبراير) ١٨١٢. ورَوى الهنود — سكان اميركا الاصليون — انهم شاهدوا في القرن السابع عشر بركانا ناريا في بقعة سان فرنسيسكو يقذف المواد الهائلة من جوف الارض الى مئات الاقدام علوًّا في الجو. ولقد عرف العلماء الباحثون ان موقع سان فرنسيسكو هو على نفس خط بركان فزوف في ايطاليا الذي لا تزال ويلاته متوالية على العباد هناك

ومن المحتمل اعادة مجد سدوم العالم الجديد لان الهمم العلية المبذولة في عمران المدينة تخترق جبال المصاعب الصعبة المرتقى ولا تقيم مدينة بل مدائن تكون من اقوى واجمل وابدع مدائن العالم. وقد باشر المهتمون للامر باستجلاب الكميات الطائلة من الحديد لانهم عزموا على ابتناء القصور والدور والبنايات الكبيرة من الحديد ورأوا ان الابنية القائمة بالحديد قلما تؤثر فيها الزلازل ولعله يتأتى للمعمرين في المستقبل اختراع طريقة للعمران لا تقوى عليها قوات الطبيعة. ولا عجب فالعصر عصر عجائب وغرائب. وما متاعب هذه الحياة الا عقاب لما يجنيه الانسان فسبحان الفعال لما يريد

اوماها نبراسكا (الولايات المتحدة) يوسف جرجس زخم

في قلبي

خواطرُ في قلبي يضيء بها الفكرُ ... أشعتها في كلّ مُنبثقٍ فجرُ
لها رونقٌ من حكمة العبرِ التي ... تسامت بها الدنيا أو انحدرَ الدهرُ
كما من شعاعِ الشمسِ والريحِ والندى ... تناوَلَ سرَّ الحسنِ في أرضهِ الزهرُ
جلوتُ على الايامِ أسرارَ وحيها ... بوصفٍ يقولُ الناسُ انَّ اسمهُ الشعرُ
تجسمَ فيهم لفظهُ وتحكمتْ ... معانيه حتى ذاك درٌّ وذي سحرُ
اذا قلبوا في شطرِ بيتٍ عيونهم ... تنزّلَ من وحيِ القلوبِ لهم شطرُ
وما عرفوا من خدعة السحرِ عندها ... أقطرٌ على زهرٍ هنالك أمْ سطرُ
كأنَّ يراعي من أشعة «رنتجٍ» ... يري من وراء الحبرِ ماستر الحبرُ
بلفظٍ ترى معناهُ من قبلِ لمحه ... كما فاحَ منْ زهرٍ على غصنه العطرُ
تهاداهُ اهواء النفوسِ كأنه ... من الدهرِ للنفسِ التي ساءها عذرُ

ولما حلت هذه الكارثة واتصلت انباؤها المشؤومة بالشعب الاميركي الغيور قامت البلاد باسرها تجمع الاموال وتبعث بها و بالمآكل والملابس الى المنكوبين تخففوا عنهم وطأة الخطب و برهنوا لهم بمروأتهم وغيرتهم انهم شركاؤهم بالضراء وان الاموال التي جمعت ترجع مجد مدينة المغرب وان الشعب النشيط الذي اصبح في مدة قرن في مقدمة شعوب الارض بالنفوذ والثروة والتمدن والذي عمر القفار واقام المدن والامصار يستطيع ان يبني على انقاض سدوم العالم الجديد مدينة من اجمل مدن العالم

ولقد بلغت الاعانات التي قدمت الى منكوبي سان فرنسيسكو حتى الآن ثلثمائة مليون دولار وتبرع كثير من كبار المتمولين الاميركيين كل منهم بمئة الف دولار وتبرع مجلس الامة في العاصمة (واشنطن) بمليون دولار وكثير من افراد الاميركان الموسرين تبرع كل منهم بالمبالغ الكثيرة . ومما يذكر ان محسنا دفع الى حاكم مدينة نيويورك خمسة وعشرين الف دولار لمنكوبي سان فرنسيسكو ولم يذكر اسمه

وقد قدرت خسائر سان فرنسيسكو بـ ٣٥ مليون دولار . وكانت اشدها وطأة على ١٧ غنيًا وغنية من الفرنسيسكيين خسروا وحدهم ٩٧ مليون دولار . وكانت خسارة السوريين في الكارثة ٣٢ الف دولار ولم يفقد منهم احد وقدر الهالكون من الاميركيين بالفي نفس . واما قيمة الارزاق المضمونة في سان فرنسيسكو فهي ٢٦٨ مليون دولار اذا دفعت شركات الحريق المبلغ برمته تضطر خمس عشرة شركة منها الى اشهار افلاسها

هذا وان حريق سان فرنسيسكو اعظم ما حدث من نوعه حتى الآن في الولايات المتحدة باعتبار خسارة المال والانفس . فحريق شيكاغو الذي حدث في يومي الاحد والاثنين الواقعين في ٨ و٩ تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٧١ اتلف من الارزاق ما قيمته مئتا مليون دولار . على حين كان عدد البنايات التي اكلتها النار ١٧٫٤٥٠ بناية . ومساحة البقعة التي جرى فيها الحريق ٧٣ ميلاً . اما مساحة البقعة التي حدث فيها الحريق في سان فرنسيسكو فهي ٢٦ ميلاً وكذلك حريق بالتيمور و بوسطن وكالفستن لا يحسب شيئًا بالنسبة الى حريق سان فرنسيسكو . اما الزلازل التي حدثت في سان فرنسيسكو في ١٨ نيسان سنة ١٩٠٦ فقد حدث مثلها في نفس المدينة في تشرين الاول سنة ١٨٦٥ وسنة ١٨٦٨ . على ان الخسائر التي سببتها اذ ذاك على فداحتها لا تذكر في جنب الخسائر الفاحشة التي نجمت عنها في العهد الاخير

وفي سنة ١٨١١ حدثت زلازل في الولايات المتحدة هي اعظم ما جرى من نوعها حتى يومنا هذا فانفتحت كوات الارض من شدتها على مسافة ثلاثمائة ميل من حدود ولاية

منذ عهد بعيد في غربيه خطوط حديدية اخرى نال امتيازها ماليون مختلفة اجناسهم والدولة تمدّ معظمها بالمال وتعطيها ضمانات عن كل كيلو متر تختلف من عشرة الى تسعة عشر الف فرنك . أُنشيء اول خط حديدي سنة ١٨٥٦ وهو من ازمير الى آيدين واحتفل بافتتاحه سنة ١٨٦٦ ثم اتصل بدينار وامتدت منه ناشطة او فرع الى تيره وسوكه وجور يل و بوجه وسيدي كوي ودكزلي . وطول هذه الخطوط خمسمائة كيلو متر . وسنة ١٨٦٦ ايضا افتتحت سكة حديد ازمير ــ قصبة التي امتدت بعد الى افيون قره حصار واخذت منها ناشطة الى صوما وطول هذا الخط باجمعه خمسمائة كيلو متر ايضا

وفي نحو سنة ١٨٧١ شرع بانشاء خط مدانيا ــ بورصة . وفي نحو ذلك العهد انشأت الحكومة خطا يكون متمماً لخط عظيم يصل الى الخليج الفارسي بادئا من اسكدار او حيدر باشا ومنتهيا بازميد . وسنة ١٨٨٩ نالت شركة المانية امتيازاً بمد خط حديدي من ازميد الى انقرة مارا باسكي شهر وطوله ٥٧٦ كيلو متراً ولم يتسن ايصال الخط الى بغداد ماراً بسيواس . وفي غضون ذلك انشيء الخط الحديدي من مرسين الى آذنة ماراً بطرسوس وهو الخط الذي سيصبح من فروع السكة البغدادية . وكل هذه الخطوط تربط المدن الساحلية ببعض الداخلية الا قليلاً .

اما خط انقرة وقيصرية فاخذ امتيازه لكنه لم يجرِ تخطيطه . وفي سنة ١٨٨٨ مدّ خط من يافا الى القدس وسنة ١٨٩٠ شرع بمد خط حديدي من بيروت الى دمشق ماراً برياق ثم دمشق ــ مزيريب ثم فرع رياق ــ حماة . دع الخط الحديدي الذي انشيء من دمشق وسيتصل بالمدينة ومكة ماراً بعمان فانه ليس من الخطوط المعدودة من آسيا الصغرى .

ولا بأس من التصريح هنا بان من تتمة الخط الحديدي البغدادي انشاء الخط الذي كان بديء به سنة ١٨٩٥ من حيدر باشا الى قونيه ماراً بافيون قره حصار فهو يصح ان يسمى من متمات خط ازمير ثمن مدينة قونية اذاً تسير سكة حديد الخليج الفارسي مقتربة من خليج مرسينا . ويتحدث الانكليز منذ نحو نصف قرن بهذا الخط لانه يسهل المواصلات مع الهند حتى انهم وضعوا سنة ١٨٥١ مشروع خط حديدي يمتد من السويدية في جنوبي اسكندرونة من اعمال سورية ماراً بانطاكية وحلب والموصل فبغداد فالبصرة فالكويت . وفكر بعضهم في انشاء خط حديدي من البوسفور الى الموصل ماراً بسيواس ودياربكر كما اقترح الروس ان يجعلوا طرابلس مبدأ الخط . وكان ينوي اصحاب امتياز خط انقرة ــ قيصرية ان يصلوه بدجلة والخليج الفارسي لكن شركة المانية فيها بعض الفرنسيس نالت الامتياز الى ٩٩ سنة بانشاء خط حديدي من قونية الى الخليج الفارسي يكون خط حيدر

وما كلماتي غيرُ نبضِ العلى وما | لساني إلاَّ قلبها وهيَ الصدرُ
اعدتُ نشاطَ الدهرِ بعدَ مشيبهِ | فقد باتَ مختالاً وطرّتهُ البدرُ
فقولوا لحسادي على بعدِ بيننا | تظنونَ أنَّ السحب فوقَ السما جسرُ
فان كانَ في هذي العصافيرِ طائرٌ | هجفٌ فما شاؤا سوى اسمك يانسرُ(١)
ولي كلماتٌ لو يطيرونَ مرّةً | لأمست ومنها كلُّ قافيةٍ وكرُ(٢)
ولكنهم إن يصعدوا يتسفلوا | دواليكَ ذا شبرٌ وذلكمُ شبرُ(٣)
صغارٌ على كبرٍ وشرٌّ فضيحةٍ | وسخريةٍ طفلٌ صغيرٌ بهِ كبرُ
على انها من سنةِ الكونِ لم يزلْ | يضايقُ من خلطِ الترابِ بهِ التبرُ

* * *

وفي القلب مني لوعةٌ لو تخلصتْ | من الصبر يوماً واحداً قتلَ الصبرُ
وفيهِ وكمْ فيه من الحبِّ والجوى | فذاكَ لهُ امرٌ وهذا لهُ امرُ
وفيهِ من الآمالِ ما العمرُ دونهُ | فلا سعدَ الا ان يزاد لنا عمرُ
وفيهِ من الايام ماض مكفنٌ | بدمعي عليهِ من طفولتهِ قبرُ
وفيهِ وما فيهِ وذا الدهرُ لم يزل | يعدُّ علينا موجةً وهي البحرُ
على انني لم أفرغ الهمَّ كلهُ | ولكنهُ نزرٌ وقلَّ لهُ النزرُ
تعلمتُ لطفَ الوصفِ من لغة الهوى | ففيها جنونُ القلبِ قيل لهُ الحجرُ

طنطا　　　　مصطفى صادق الرافعي

السكك الحديدية في آسيا الصغرى

عن مجلة الطبيعة الفرنسوية

استفاض في الناس امر السكة الحديدية البغدادية التي تجتاز آسيا الصغرى من اقصاها الى ادناها وتقرب بلاد فارس والخليج الفارسي من اوربا. وسيبلغ السير بالقطار الحديدي عما قريب الى بغداد وكانت معدودة من قبل من مدن الف ليلة وليلة. فترن صفارة البخار وتجاوبها اصداء بلاد الكلدان والفرات ويحرك التمدن الحاضر ما خص به من الصفات قبور اخلاف بختنصر. وليس الخط البغدادي اول سكة امتدت في ذاك الرجا فقد وجدت

(١) في القاموس الهجف الظليم المسن ولم يزد على هذا الخصر من انواع الطير ولكن ورد في شعر العرب نقل هذا الوصف الى النسر وقد جعل هنا في العصافير لمكان النكتة
(٢) ضمَّن الوكر معنى القفص (٣) دواليك اي مداولة مرةً بعد مرة

وبدأ يفكر في غير الضروريات المادية في حياته اليومية واتسع امامه ميدان النظر وامتد أفق الغايات السامية وراح يود الاطلاع على ما يحدث في العالم وعلم ان ليس لكل الشعوب ملوك وليسوا دونه في السعادة وان بعض الشعوب تتألم لانها محرومة من الحقوق السياسية واخذ الالماني يفكر في قوانين حكومته واوامرها ويبحث فيها ناظراً ما يتعلق منها بمصالحه واحترامه الشخصي ورأى من الظلم ان تكون الشؤون السياسية بيد طبقة خاصة من الامة فينال النعم غيره على حين لم يكن دونه في المدارك وهو لا يرضيه الشقاء الذي قاساه حتى اليوم بل يتطلب الظهور ونيل حظه من اللذائذ

ولما استحكم اساس الوحدة الالمانية تقدمت الديمقراطية بين اهلها كثيراً وسهل ذلك في سبيلهم ارتقاء الصناعات والتجارات ارتقاء لا مثيل له . فصارت المانيا مملكة صناعية بعد ان كانت الى سنة ١٨٧٠ زراعية فكان يستخرج منها اذ ذاك ٨٩٧٠٠٠ طن من الفولاذ فبلغ ما استخرج من هذا المعدن سنة ١٨٩٩ ٦٣١٧٠٠٠ وكان المستخرج من الحديد المسبوك سنة ١٨٨٩ ٣٣٨١٠٠٠ فصار سنة ١٩٠٠ ٨٥٢٠٠٠٠ وكان قدر انوال المنسوجات سنة ١٨٨٧ ٥٣٨١٠٠٠ فاصبح بعد احدى عشرة سنة ٧٨٨٤٠٠٠ ونجحت الصناعات الكيماوية والكهربائية نجاحا باهراً . وللمانيا المقام الاول بين الامم في استخراج السكر .

كانت نفوس المانيا سنة ١٨٧١ ــ ٣٩٣٦٠٠٠٠ نسمة تقريباً فبلغت سنة ١٨٩٠ ــ ٤٧ مليونا وسنة ١٩٠٥ ــ ٦٠ مليونا اي ان الشعب الالماني يزيد في السنة ٨٠٥٠٠٠ نسمة وكل مولود جديد يحتاج الى مرتزق جديد له وقلما يجده في الزراعة اذا لم يجده في الصناعة والتجارة لان موارد الزراعة ضيقة النطاق في تلك البلاد بحكم الطبيعة ولا يتأتى ان يعيش بها الا عدد محدود من السكان فلم يبق من ثم الا الصناعة يقيمون لها كل يوم انواع المعامل الجديدة والمشاريع الصناعية والتجارية الحديثة وسينتهي الحال بان تغدو المانيا بحكم الطبيعة في مقدمة الامم بصناعتها .

ولقد كان لهذا التقدم الاقتصادي نتائج اجتماعية وسياسية كثيرة ذلك لان هذا الارتقاء زاد في رفاهية الأمة وحسن الاخلاق وسعدت الحياة في المانيا واصبحت داخلية المدن الى اللطف والذوق يتوفر فيها الزخرف والبهرج والنظافة المفرطة . وانك لترى في كل مكان خطوط الترامواي والانارة بالكهربائية مألوفة في البلاد كلها وواجهات الدكاكين مزدانة وامارات الغنى تتجلى في جميع الاعمال وترى احياء العملة في المدن الكبرى كهمبورغ وبرلين وكولون لا تشبه غيرها من المدن الفرنسوية مثلاً اذ ترى في تلك البلاد دلائل الحضارة ماثلة والناس يظهرون في اجمل بزة وزي وشارة . وللوالدين مطامع يرجونها لابنائهم ويحثون

باشا قبالة الاستانة رأساً له فاذا اجتاز الخط اركلي يصل الى سهل ثم يصعب تمديد الخطوط الحديدية لانه يضطر الى قطع سلسلة من جبال طوروس وفي شمالي الاسكندرونة يجتاز سلسلة اخرى من سلاسل جبال سورية ومن هناك ينشأ فرع صغير لتسهيل نقل الادوات وتتصل حلب مع الخط الاصلي بفرع آخر يصل بينها و بين خط سورية و يستقيم سير الخط من اذنة الى الموصل ومن هنا يتبع الخط مجرى دجلة الى بغداد ·

وفي مأمول القائمين بتمديد خط الخليج الفارسي ان ينجزوه سنة ١٩١٠ وهو مما يستبعد · وكيف دارت الحال فسيأتي هذا الخط بفوائد جزيلة اقلها تقريب المسافة بين اوربا والهند فان معدل البريد الآن من لندن الى بومباي في ١٤ يوما و١٦ ساعة ومتى نجز خط بغداد يرسل البريد عن طريق آسيا الصغرى الى مابين النهرين في ثلاثة ايام و١٥ ساعة · لاجرم ان عدد الذاهبين الى الهند والشرق الاقصى ممن يسافرون في البحر الاحمر وهو قرابة ربع مليون في السنة سيزيد كثيراً · واذا صحّ مايتحدثون به الآن من انشاء جسر على البوسفور فسيجيء يوم تختصر فيه المسافة كثيراً فتسافر القطارات من كالى في فرنسا او من لندن بدون ان تفرغ شحنها حتى تبلغ مصب شط العرب

تأثير العلم في المانيا

من مقالة لاحد علماء الفرنسيس

ارتقى التعليم العام وانتشر كثيراً في المانيا منذ نحو قرن واصبح التعليم الابتدائي اجبارياً وان كان ناقصا وفيه نظر · وبالتعليم فتحت العقول واستعدت لقبول الافكار الحديثة فرقّ شعور الافراد ومرنت قواهم واحتد ذكاؤهم وقويت عقولهم وقلّ الاختلاف بين الطبقة العالية والطبقات النازلة في المجتمع وذلك في الامور الذهنية على الاقل

قامت منذ خمس عشرة سنة معاهد التعليم وتهذيب الامة على امتن الدعائم وانتشرت في الآفاق الالمانية ايما انتشار · وانك لترى في كل ناحية او عمالة لها بعض الاهمية صفوفاً ومدارس يتلقى فيها الكبار العلم ومدارس ليلية ومؤتمرات تعليمية اجبارية في كثير من النواحي للشبان ممن سنهم بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة ولكل مدينة بل لكل اقليم مكتبة موقوفة على سكانها عامة تحبب اليهم المطالعة متى ارادوا بل تضطرهم الى الاختلاف اليها · دع ما هنالك من تمثيل الروايات العامية التي تطلعهم على اسرار الفنون وتحسن اذواقهم وخل عنك اندية المطالعة واندية التمثيل وجمعيات الغناء والموسيقى التي تتكاثر الحين بعد الآخر

وهكذا تجد العامي من الالمان قد خرج من غفلته وتغفله وصقل ذكاؤه ورق احساسه

وربما أُخذ المرء بلذة التصوّر فظنها في مكان نفسه وحسب نفسهُ في مكانه

ونحن ناظرون الى نقد الشعر من هذه الجهة التي يمثل فيها حيًا من الاحياء . تتنازع انواعه البقاء . فقد افاض المتقدمون في الاسباب التي يحسن بها ما يحسن من ظاهره ويقبح منه ما يقبح . وجردوا الكتب في طبقات الالفاظ ومخارج الاشعار وسقطات الكلام وألطفوا النظر في وجوه المعاني ومواضعها . واصابوا منها صفة التمكن في مبادئها ومقاطعها . وانك لتجد فيما وضعوه من علوم البلاغة البحر الزاخر بهذه الامواج . والفلك الدائر بتلك الابراج

يرتقي المبتدئ في الشعر من مطلق النظم الذي هو النمط المصطلح عليه في اقامة الوزن الى الفكر فيما يجيء به . فاذا صارت له هذه المنزلة ادته الى الخيال . فاذا ارتفع شيئًا بعد ذلك فهو في جو الروح الذي يسمونه التصوّر وهناك حدّ الطبيعة القائم . وحجاب الغيب القاتم . فيكون في منزلة بين الوحي والالهام ويمر هناك خاطرهُ على النفوس كما ينتقل على الارض ظل الغمام .

وتلك هي اطوار الشعر من طفولته التي يعبث فيها بكل شيء ولا يفقه شيئًا . الى شبيبته التي يتماسك فيها وقاراً ويندفع . الى شدته التي تعتصم بها الحكمة وتمتنع . الى مشيبه الذي هو نور الجمال . والحظ المقسوم له من الكمال

والشاعر في الطوْر الاول كالصبي في يده القوس يُغرِقُ في نزعها ما يغرق ثم لا يكون الا ان يسمع لها ارنانا ضعيفاً فلا هو غلب وهمه . ولا رمى سهمه . فاذا اشتد ساعده وانتقل الى الطور الثاني كان في منزلة بين الخطإِ والصواب . فاذا بلغ الى الثالث احكم التسديد . واستوى عنده في الاصابة ما كان من قريب وما كان من بعيد . ومتى صار الى الطور الرابع وهو منتهى كماله حسب توزّعَ الطير في الجوّ لمخافته . وتفرق الوحش في البر لمهابته . وصارت هي السهم لانه في اثرها . ولفظته عن القنيصة هي القضاء لانه في خبرها

وما يكن من عيب في الشاعر فلن تجد فيه كتسلط فكره عليه وعبثه بقوافيه فتراه ينظم الكلمة ابياتًا لا معرفة بين اولها وآخرها ثم يجيء بعد جفاف الريق وتخلخل اللسان وانقطاع النفس فيمضي فيها اختياره ويأْخذ في التوفيق بينها وهي متنافرة . ويعمل على التعريف وهي لا تزال متناكرة . فمثلُ الكثير من هذا الشعر مثل الكلمة المفردة اذا نطقت بجملتها ادت اليك معناها على اتمّ ما يكون فاذا فككت احرفها ولفظتها حرفًا حرفًا انقلبت الى قول هراء . ولم تزد على ان تكون اصواتًا ذاهبة في الهواء . واولئك هم الذين قال في شعرهم ابن ميادة انه « كلفة وتمليح »

فاذا لم يكن فكر الشاعر عند ارادته ولم تكن ارادته عند اتجاه عواطفه أُخذت عليه

عن ايجاد اعمال أحسن من اعمالهم . وبالجملة فان الشعب الالماني يرفع اسبابه المادية والادبية عن معدلها السابق في المدن على الاقل

ومعلوم ان كل نجاح مادي لايقوم الا ببذل النفس والنفيس في سبيله فالعامل والسوقة من الالمان يدفعون اجور منازلهم اغلى من ذي قبل وهي جديدة البنيان واذ اصبحوا ينفقون على معيشتهم اكثر اضطروا ان يسعوا في زيادة اجورهم ومداخيلهم وهذا هو السر في قيام الاعتصابات واتحاد الطبقة النازلة مع اهل حزب الشمال الذي يعنى اهله بتحسين حالة الشعب واعطائه من النفوذ السياسي اكثر مما كان له

زاد نماء الشعب وانتشار الصناعة عنصر سكان المدن في المانيا . فكان سكان برلين سنة ١٨٧١ ٨٠٠ الف فانافوا اليوم على مليونين وصار سكان همبورغ زهاء ٨٠٠ الف وارتقى عدد سكان كولون من ٢٠٠ الى ٤٤٠ الف فزاد عدد سكان المدن الكبرى ثلاثة اضعاف بعد الحرب السبعينية وهو يزيد على معدل ١٥ في المئة كل خمس سنين وليس في الارياف غير ٤٣ في المئة من مجموع سكان البلاد . وانتشرت الديمقراطية في المدن اسرع منها في الضواحي والقرى حيث يعتزل الاصاغر فيضعف امرهم ولا يلتفت الناس الا الى القيام على الزراعة وتربية الماشية اما ساكن المدن فهو اكثر علماً وحركة وحضارة . ويسهل بث الدعوة الديمقراطية في عقول عملة المدن فان اجتماعهم في صعيد واحد من الارض يزيدهم قوة ومضاء . وقد كان الصناع في كل زمن اسرع الى النشوء في الديمقراطية من سكان الريف المزارعين اذ الفلاح في العادة من المحافظين وعامل المدن من الديمقراطيين . هكذا هو الحال الآن وهكذا كان الشأن في قديم الزمان . فقد ظلت اسبارطة منصرفة الى الزراعة وحكمها ارستوكراطياً عدة قرون واصبحت آثينا ديمقراطية منذ انتشرت فيها الصنائع وراجت اسواق التجارة

نوع من نقد الشعر

(قل في رجال الادب قديماً وحديثاً من تكتب لهم الاجادة في النظم والنثر وقد عرف مصطفى صادق افندي الرافعي بين قراء العربية بانه من افراد الشعراء البلغاء ولو انصفوه لوصفوه بالكتابة كما وصفوه بالشعر . والنبذة التالية مقتبسة من مقدمة الجزء الثالث من ديوانه وهو تحت الطبع وفيها نموذج من نثره)

الشعر تصوير عالم حي من المعاني والالفاظ فالجيد من جمله مختصراً من صورة العالم كله . ولا بدّ فيه من شعاع من الروح اذا تجردت له النفس امتزجت لطافتها بلطافته .

مقضياً عليه ان يبقى في الموتى حتى يموت الاحياء . وان يكون اهله نصباً على جانبي تلك البطحاء التي كان فيها شعراء الجاهلية . ! وحسبك ان اعداء ابن المعتز لم يزروا على غير نحته وسبكه ولم يحاولوا اسقاطه الا من بينهما وهو بالاجماع في السفح من طبقات الشعراء

ومنتهى الحمق أن يتخذ مولد ذلك النمط الجاهلي فان السر في بقاء شعر الجاهلية والمخضرمين بعد اهله حاجة الرواة والعلماء الى الشاهد منه فلما اسقطوا الاستشهاد بكلام المولدين لما يدخل عليهم من الغلط واضعف الثقة بلغتهم سقطت هذه الطبقة بعلة طبيعية وهي سنة (بقاء الانسب)

والعرب انما ابتدأت الشعر بما كان عندها من جزالة اللفظ واتقان بنية القريض واحكام عرض القافية ونحوها مما هو طبيعة فيهم فكان على من يخلفهم ان يأخذ في زخرف البناء وزينته بعد ان يكون قد تمّ منه ما لم يتم وهو الذي فعله ابو تمام والمتنبي ومن في طبقتهما من اهل القوة والكفاية ثم كان على من يجيء بعد هؤلاء ان يزيدوا من تحف عصورهم ومدنيتها طبقة بعد طبقة حتى يكون ذلك الموضع ديواناً للتاريخ ترتب فيه العصور . ونقف على ابوابه الدهور . ولكنا نجد الى عهدنا طوائف تنقض ذلك البناء ونقيم على اساسه فلا يلبث ان يقع الاثنان معاً

والشعر اقسام كانت محدودة على مانوعها ابو تمام في حماسته ثم جاء من تفنن فيها وذهب كل مذهب كابن ابي الاصبع وغيره . وقرأت ان البديع الاسطرلابي رتب ديوان ابن حجاج (١) على مائة واربعين باباً وواحد . ثم قفى كل باب وجعله في فن من فنون شعر الرجل

ولكن الذي قطع بالشعر العربي دونه انما هو النوع الذي يسميه الافرنج بالشعر القصصي ومنه الملاحم الكبرى عندهم كالالياذة وغيرها . والبسيط منه نادر في العربية بل هو في بسطتها كالظل شيء كلا شيء

ذلك لان الشعر العربي روح هذه اللغة وهو من اللطافة بحيث لا يضيء فيه المعنى الا بشعاع من الخيال . فاذا اردت ان تقيم منه حديثاً سوِيَّ التركيب . كامل الترتيب . زوت عليك القافية وتقطع الشعر فلا تدري من اين تأخذ ولا من اين تدع . كالنور اللطيف تحاول ان تلقي عليه كثافة الغطاء فاذا هو منبسط فوق ما تلقي فمهما تأتِ من ذلك لا تكون قد صنعت شيئاً

ورأس هذا الامر عندنا على مايقول شبيب بن شبة « حظ جودة القافية وان كانت كلمة واحدة ارفع من حظ سائر البيت » فلا بدّ لهذا النوع في لغتنا من وضع جديد يكون وسطاً

(١) ابن حجاج هذا رجل من شعراء العراق كان في القرن الرابع للهجرة وكان كثير السخف في شعره يمزجه بلغات الخلديين والمكدين وامثالهم وهو النمط الذي انفرد به

منافذ القول فاختل. واضطربت جهات رأيه فانحل. وصار من نضوب المادة في آخرة امره كمن يكتب بقلم ليس عليه الا مسحة من ردع المداد فكلما كده جمد. وكلما هزه ركد. فاذا كتب مع ذلك جاء الحرف مفرق الجهات لثيماً في الحروف فلا هو كتابة ولا هو محو

ولقد يحار المرء اذا نظر في شعر العرب ورأى الكثير منه لا يتعدى الوزن والتقفية ولكن اكبر حظ القوم من شعرهم ان ينقلوا الكلام الى نمط يتفق مع النغم كما ترى في غناء هذه الايام فهو لا يزيد عن سائر الكلام الا النمط والايقاع بحيث انك لو سمعته وقد جرد من الحانه لخرجت منه على حساب ما دخلت فيه لا طرب ولا عجب.

والغناء على أي وجوهه ينقل النفس من تنقيبها بين الالفاظ عما هو حسن وغير حسن الى تحركها على الالفاظ نفسها. وانما النظم العربي اوزان موسيقية. فكل من جاء بعد العرب من الشعراء لا ينظر الا في اعطاف اللفظ وتلاحم الكلمات وانتظام تلك المعاني القديمة فهو من الجاهلية الثانية وان كان الاولون قد سموا جاهلية لعبادة الاوثان. فهؤلاء لعبادة الاوزان

ويكاد شعر العرب ينحصر في غرضين الشاهد والمثل فقد كانوا لا يطلبون من الشعر غيرهما كما لا يطلبون من الخبر الا الايام والمقامات. وكان ابدع ما يروج عنهم من اجل ذلك مساق الخبر ومضرب المثل ومقطع الحكمة. والحكيم فيهم يومئذ نبي

ومن ههنا تجد مثار الخلاف بينهم في قولهم هذا اشعر الناس في كذا وذلك اشعر الشعراء وغيرهما اشعر الانس والجن. وهلم جرا

وما عدا ذلك ففي شعرهم من الطرف المستنكرة ما يغلظ على الطبع ويثقل على الذوق فمنهم من يشبه وجه الحسناء ببيضة النعام. ومنهم من يشبه جسمه الناحل بأشلاء اللجام... الى غير هذا مما تهجنه الحضارة ولهم مع ذلك وجه عذر فيه ومنفسح للوم عنه. وانما ذكرناه مأخذا على قوم جاؤا بعدهم فجعلوا الشعر صوراً من تلك المعاني تخطر في حليّ من الالفاظ على اكثرها صدأ الركاكة وغبار القدم... فتراجع الشعر بينهم وتعطلت قرائحهم حتى اصبحوا في اتصالهم بتبن اولئك الشعراء كما شبه ابو هفان شعر آل ابي حفصة الذين كان آخره شعرائهم متوج وكان رجلاً ساقطا وذلك في قوله: (شعر آل ابي حفصة بمنزلة الماء الحار ابتداؤه في نهاية الحرارة ثم تلين حرارته ثم يفتر ثم يبرد. وكذا كانت اشعارهم الا ان ذلك الماء لما انتهى الى متوج جمد...)

واعجب شيء رأيته في تاريخ الشعر انه كان عصر يسمون فيه المولد (بالرقيق) ثم صار هذا الاسم علماً بالغلبة وأطلق على الغزل السبط والرثاء السائل ثم عدوا منه انواعاً عرفوها (بالالفاظ الملوكية) وأجروها في بعض التشبيهات والاوصاف وما اليها. كأن الشعر كان

والشعر اساليب تنتجها القرائح ولكن جماع القول فيها انها تمثيل للطبيعة فكأن الشاعر ينقل مناظر الارض الى الروح العالية التي ترسل الى الجسم شعاع الحياة فتزيد تلك المناظر في قوة الشعاع الالهي فلا يتصل بالجسم حتى تفيض هذه القوة على القلب فتهزه الهزة التي نعرف منها الطرب

فاي امرئٍ اجتمعت له قوة التمثيل وسلامة الذوق وهما يكونان عند سعة العقل وسمو الطبع فذلك الذي هو في معناه بين الملك والانسان وهو الشاعر

مطبوعات ومخطوطات

الموسيقى الشرقي

فن الموسيقى من الصنائع الجميلة التي تضعف في كل امة بضعفها وتقوى بقوتها . ولقد كان العرب ايام حضارتهم يعنون بها كما يعنون بالشعر والادب والتاريخ والفلسفة وعلوم الطبيعة وكان بعض العلماء في امهات المدن لا يتحرجون من الغناء ولا يرون الضرب على العيدان والاوتار وسائر آلات الطرب حطة في قدرهم وثلما لشرف وقارهم . ولما رغبت الامة عن العلم ايا كان نوعه وزهدت في الضروري من المعارف دع عنك الكمالي اخذ معظم الناس يحتقرون الغناء والموسيقى ومن يتعاطاهما ولا ذنب بعد الجهل .

ولقد الف الموسيقار الفاضل كامل افندي الخلعي من مشاهير ارباب هذا الفن في مصر كتاب الموسيقى الشرقي فعرف القوم فائدة هذا الفن ومركزه من المجتمع وما الى ذلك من وصف الالحان وآلات الطرب ورسومها ومشاهير المطربين والموسيقيين في مصر هذا العصر مشفوعة بصورهم فجاء كتابه غاية ما يكتب لمؤلف في فنه من الاجادة بحيث اصبح المرجع في كل شاردة ونادرة في هذه الصناعة الجميلة الشريفة .

اجاد المؤلف اثابه الله في وضع تأليفه كما اجاد في طبعه واتقان صنعه فجاء في زهاء مائتي صحيفة كبيرة القطع على اجود ورق والطف حرف وهو يباع بعشرين قرشا مصريا ويطلب من جميع المكاتب الشهيرة بالقطر فنثني على المؤلف لما عاناه من التعب في وضع مصنفه ونحث كل اديب على مقتناه فهو زينة المكاتب والقماطر ومن كتب العلم الحقيقي النافع

نظام العالم والامم

للعالم الاديب الشيخ طنطاوي جوهري طريقة تكاد تكون خاصة به من مزج العلوم الحديثة بالعلوم القديمة وتطبيق المعقولات على المنقولات وقد وضع فيها عدة كتب ومنها

بين النثر والنظم حتى يحمل الالفاظ والمعاني معاً فيتعلق فيه الشعر بالنفس و يمتد السباق على النفس كما فعل الاندلسيون في وضع الموشحات لحاجتهم التي بعثتهم عليها والعصر يومئذ هو ترف . والادب مجد وشرف

وأساس هذا الشعر سلامة الذوق فهي الحاسة التي تتجه بها النفس الى المعاني وتنقلب عنها . بل هي العين المركبة في الروح تجمع جمال الطبيعة في نظرة واحدة فتنقله الى الاحساس كما تمدّ العين الباصرة بمرئياتها وهي المخيلة . ومن الشعراء من يكون سقيم الذوق فهو في نظره الى الشعر مع فساد ذوقه كاللص في نظرته الى الحسناء اذا وسوس حليها في سمعه . يغفل منها عما ينتبه اليه الناس و ينتبه لما يغفلون عنه

ومن هؤلاء طائفة الشعراء المصنّعين وهم الذين لاحظ لهم الا في (الصنعة الشعرية) وفنونها لا تعد فيجيئون بالقصيدة كلها رقع ثم يتنافسون في هذا التصدير ولا يدرون ان الثوب الساذج من قطعة واحدة خير من هذه الرقع كلها وان كانت من انفس الخز والديباج وانظر ما يكون موقع هذا الثقل من الادباء فقد اراد ديك الجن الشاعر مرة ان يهول على دعبل ويقرع سمعه فانشده بيتا مضطربا . . . فقال له دعبل اسكت فو الله ما ظننتك تتم البيت الا وقد غشي عليك او تشكيت دماغك . ولكأني بك في جهنم تخاطب الزبانية او تخبطك الشيطان من المس

والعلة الطبيعية في بؤس الشعراء هي ذلك الاحساس المتصل بالنفس فكلما غمزته المؤثرات تحول منه بمقدار الضغط بخار روحاني ينتشر حولها وذلك هو الشعر . وقد ترى النفس فيه ضوء اكأنه تبسم القلب الحزين الذي تشابه جلال الطبيعة بجلاله . لانها مخلوقة في رأي النفس على مثاله

وقد يكون للشاعر متسع في غلوه وكبريائه على هذه الطبيعة الا في العواطف التي هي روابط القلوب بالقلوب . وموضع الصلة بين ما في الوجود وما وراء الغيوب . فقد يضرب في كلامه بسيف لم يطبع . و يرمي بقذيفة لم تصنع . و يقطع من خيوط الحياة ما لم يقطع ولكنه فيما دون ذلك لا يقدر ان يذكر الحب من قلب لم يحب . و يثبت للشيء الذي لم يجر عليه حكم الوجوب شيئاً مما يجب . فاذا هو فعل اطفأت الطبيعة من روائه . وقامت عواطف الناس شاهدة على كذبه في ادعائه . وقد ذكروا ان كسرى سمع الاعشى يتغنى ذات يوم بقوله :

أرِقتُ وما هذا السهادُ المؤرِّقُ   وما بي من سقمٍ وما بيَ معشقُ

فقال ما يقول هذا العربي ؟ قالوا يتغنى بالعربية فأمر ان يفسروا قوله فقالوا زعم انه سهر من غير مرضٍ ولا عشق . فقال هذا اذا لص . . . ؟

والاديب الشيخ محمد خالد حسن العمادي الصباغ « رسالة تنبيه الغافلات من النساء المتبرجات »

والاديب احمد افندي شاكر « رسالة مسامرة الوحيد »

والتقرير الثالث السنوي لجمعية تهذيب الشبيبة السورية في بيروت وكان الباقي في صندوقها لغاية يونيو الماضي ٢٥٨ر٤ اغرشا صحيحاً

واهدانا الاديب السيد ابراهيم الحسيني كتاب (لسان البيان ومنهل العرفان) وهو في احوال المتصوفة

واهدانا الاديب محمد افندي محمود الرافعي نسخة من « مقامات بديع الزمان الهمذاني » التي شرحها وصححها وطبعها على نفقته بالشكل الكامل وقد رخص ثمنها فجعله اربعة قروش

وطبعت المطبعة الميمنية لاصحابها الادباء مصطفى افندي البابي الحلبي واخويه بكري افندي وعيسى افندي كتاب (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) وبهامشه (الاساليب البديعة في فضل الصحابة واقناع الشيعة) ورسالة (سبيل النجاة) ورسالة (جامع كرامات الاولياء) من تأليف صاحب الفضيلة الشيخ يوسف النبهاني

وأهدينا (حواء الجديدة او ايفون مونار) وهي موضوع اجتماعي في قصة غرامية للاديب البارع نقولا افندي الحداد تطلب من المكاتب الكبرى بمصر وثمنها خمسة قروش

الاقلام

« مجلة عمومية تبحث في كل فن ومطلب » لمنشئيها الكاتبين البارعين جورج افندي جنوس ومحمود افندي ابي حسين وهي تصدر مرة في الشهر » ويشترك في تحريرها خيرة الشعراء والمنشئين » وقد تصفحنا الاعداد الثلاثة التي صدرت منها فقرأنا فيها من الآداب المنثورة والمنظومة مايستفاد منه ويستملح وقيمة اشتراكها ٤٠ قرشاً صحيحاً في القطر و١٥ فرنكا في الخارج فنرجو لها الثبات والنجاح

المنهل الصافي

مجلة ادبية علمية تهذيبية لصاحبها ومحررها الكاتب البارع محمد افندي نجيب الحارتي قسمها الى اربعة ابواب باب الادبيات وباب المقالات وباب تاريخ الشهر وباب المنتقيات تصفحنا الاعداد الثلاثة الصادرة منها فرأيناها تبحث في الاغراض المشار اليها وقيمة اشتراكها ٣٠ قرشا في مصر و١٠ فرنكات خارجها وهي شهرية تصدر في ٣٢ صحيفة فنتمنى لها الفلاح والنجاح

هذا الكتاب الذي جعله على خمسة ابواب الاول في الرياضيات وما يتبعها والثاني في الفلك وما يتصرف عليه والثالث في نظام الارض وما اليه والرابع في عجائب النبات والخامس في نظام الحيوان . وفي جميع ذلك تقريب لهذه العلوم من اذهان القارئ ومزجها بما ورد في الكتاب الكريم وروي عن سلف الامة العاملين . والكتاب في ٤٢٦ صحيفة منصفة القطع مطبوع طبعاً نظيفاً فنحث القراء على اقتنائه ونثني على همة مؤلفه

ابدع ما نظم

جمع الفاضل الاديب يوسف افندي سنو ديواناً في الاخلاق والحكم مما اثر من لطيف الشعر عن القدماء وضم اليه ما يناسبه من منظوماته ولا سيما ما اشتمل على اقتباس من القرآن وتحرى مع ذكر القصيدة اسم ناظمها وعصره واجداده وبلاده نابذاً منها ما خالف الشرائع فجاء الكتاب في ٢٣٥ صحيفة تشهد للناظم الجامع بالبراعة في الادب والشعر والكتاب يطلب من مكتبته في شارع محمد علي بالقاهرة وثمنه اربعة قروش فنحث على مقتناه

اسلوب الحكيم

في منهج الانشاء القويم — للفاضل الشيخ احمد الهاشمي وفيه موضوعات انشائية شرعية ادبية وخطية علمية تاريخية اقتصادية طبية طبيعية سياسية زراعية صناعية تجارية جغرافية عمرانية قال في مقدمته : « شرحت فيه مواضع الانشاء العصرية مستنداً في شرحي الى الآيات القرآنية والاحاديث الصحيحة النبوية وضمنته الجم الغفير من امثال الحكماء وآداب البلغاء » فوقع في ١٨٨ صحيفة صغيرة جيد الطبع

كتب ورسائل وروايات

اهدانا العالم الاستاذ مرجليوث المستشرق الانكليزي المشهور كراسة في المناظرة التي جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين ابي سعيد السيرافي مشفوعة بترجمتيهما الى الانكليزية معلقاً عليها حواش تدل على بعد غور ناشرها في علوم العرب وآدابهم .

واهدى الينا العالم الفقيه الشيخ محمد بخيت المطيعي « رسالة ازاحة الوهم وازالة الاشتباه عن رسالتي الفونوغراف والسوكورتاه »

والكاتب المجيد سليم افندي سركيس « رواية تحت رايتين »

والاديب البارع نقولا افندي حداد « رواية اسرار مصر »

والاديب ابراهيم افندي شحاده فرح « مكسيم غوركي » وثلاث من رواياته »

في ليتر من اللبن٦١٦من الكالوري وفي ١٠٠ غرام خبز ٢٣٥وفي ١٠٠ غرام لحم ١١٧ وفي ١٠٠ غرام بقول ٣١٥ فيتبين من هذا ان البقول مع كونها ارخص من اللحم تعطي حرارة اكثر منه بثلاث مرات . وان كيلو غراماً واحداً من المعجنات (طحين وسكر) ليعطي ٤٣٠ من الكالوري اربع مرات اكثر من اللحم . وفي عشر قطع من السكر قيمتها خمسة سنتيمات من الكالوري اكثر من نصف لتر من الخمر الذي تساوي قيمته من ٢٥ الى ٣٠ سنتيماً . ويحتاج الرجل الذي يشتغل بقوة جسمه اذا كان وزنه ٧٥ كيلو غراماً لصرف ٣٦٠٠ من الكالوري بمعدل ٤٨ كالوري بالكيلو غرام فاذا انفق العامل نفقة معتدلة وجرى على الجدول الآتي في كل منها — حفظ صحته وطال عمره :

	غرام	سنتيم
خبز	٥٢٠	١٨
لبن	٣٠٠	٩
سكر	٨٠	٦
زبدة	٤٠	١٢
جبن	٤٠	١٠
لحم	٢٠٠	٥٠
بطاطس	٥٠٠	٠٠
(او غيرها من البقول اليابسة)	١٥٠	٨
ارز	٣٠	٢
اثمار	٢٠٠	١٠
قهوة	قدح واحد	٨
خمر	ليتر واحد	٤٠
		١٫٧٣ فرنك

هذا ما قرأته في احدى المجلات الاوروبية وهو يختلف في كل قطر بحسبه ☆

آثار الغبار

توصي المجلات العلمية بالتوقي من الغبار ما امكن ونقول ان غبار الشوارع والسكك الحديدية والبيع والمساكن كلها ضارة تدخل الرئة فنلقيها في خطر مبين على دون انتباه منا وانه قلما ينجو من شرها احد كل النجاة . وقد علم من تشريح الجثث ان تسعين في المئة من

المنبر

كلما زادت المنافسة بين اهل بلد او قطر او مملكة نجم عن ذلك فوائد كثيرة وكلما نافس اهل مملكة مملكة اخرى او جنس جنساً آخر عاد من ذلك الخير على المنافس والمنافس. مثال ذلك الجرائد في هذا القطر فقد كان يصدر فيه منذ عشرين سنة جريدتان او ثلاث وادارتها لا تكاد تقوم بالضروري من نفقاتها فلما انشئت جرائد اخرى قال الناس ان الجديد منها يسقط القديم ولكن لم يلبث الجديد ان خدم القديم بعد ان مهد السابق للاحق السبيل

ومنذ ربع قرن لم يكن في مصر سوى جريدة يومية واحدة وهي الاهرام وكان قراؤها لا يتجاوزون الالفين فاصبح اليوم فيها اثنتا عشرة جريدة يومية وقراؤها يعدون بالالوف وهي الاهرام والمؤيد والمقطم واللواء والظاهر ومصر والوطن والجوائب المصرية والامة والبصير والشرق والمنبر. صدر هذا المنبر في الشهر الماضي بالقاهرة لصاحبيه الكاتبين الفاضلين محمد افندي مسعود واحمد حافظ افندي عوض وهما مشهوران بتحرير المؤيد اعواماً طويلة فجاء منبرهما في موضوعه وتنسيقه دليلاً على سلامة ذوقهما وبعد نظرهما في الابحاث الاجتماعية والسياسية فنرحب به ونتمنى له انتشار الكلمة والتأثير الحسن في نفوس قرائه

تدبير الصحة

طعام العامل

انتشر السل هذه الايام انتشاراً غريباً وصرفت المبالغ لصد غاراته فلم تأت النتيجة وان خففت وطأته بعض التخفيف واكثر الاسباب التي تدعو اليه الادمان على تعاطي الكحول والعدوى والسكنى في بيوت فسد هواؤها لعدم وصول الشمس اليها. ومن جملتها الغذاء فان الغذاء الناقص هو واسطة لانتشار السل واكثر ما يقع ذلك لارباب الفاقة والعملة. فانك ترى الواحد منهم يصرف قسماً وافراً من اجرته في غذاء ناقص وقد يتأتى له بالقيمة نفسها او باقل منها ان ينال غذاء كاملاً فترى الرجل الذي يصرف كمية وافرة من قوته العضلية يأكل كثيراً من اللحم ويشرب الاشربة الروحية فيخصص الشاب الذي دخله في النهار اربعة او خمسة فرنكات نصفها للشراب واذا دققنا نرى كثيراً من المآكل الباهظة الثمن ليس فيها كمية وافرة من الكالوري (١)

---

(١) المقدار الذي يصرف من الحرارة لايصال غرام الماء من درجة الى درجة فوق

القائمة الزوايا او المربعة ولم يتحولوا عنها بعد . ومن الغريب ان شكل القرميد في الهندسة يضاً تجرى في نشوئه على مثال الرسائل فكان جانب القرميد بادئ بدء مسطحاً محدباً ثم بدا للقدماء ان جعلوها مسطحة من جميع جوانبها

وهنا مجال ليقال ان ما نراه من آثار الارتقاء فنتخيله قد تمّ في نصف ساعة قد اتت عليه القرون حتى شهدناه على ماهو عليه وقد وجد اولئك العلماء في جانب تلك الالواح القائمة الزوايا التي كانت تستعمل في الكتابة بضعة من الالواح جعلت لاغراض اخرى مثل الالواح التي يكتب عليها الاطفال لعهدنا وكانت مدورة . ومن اغرب اشكال هذه الالواح ما استعمل منها للمراسلة بين المتباعدين منذ سنة ٢٤٠٠ ق . م فقد كانت من الخزف يكتب عليها ما يراد تسطيره على العادة حتى اذا نقشت كلها تغطى بغطاء رقيق من الخزف ايضاً بحيث يكون المكتوب في مأمن من اطلاع احد عليه ثم يختم المرسل رسالته بخاتمه او يكتب عليها بعض الكتاب يكون عليها عنواناً ثم يجففها في الشمس او في تنور . وانت خبير بما يقتضي هذا العمل من النصب والزمن بحيث لم يكن لاحد ان يبعث رسالته الا في احوال اضطرارية وبواعث قوية ــ قالته مجلة الطبيعة

الاشتراكية في العالمين

بحث عالم في مجلة المجلات الاميركية في امتداد الاشتراكية في اميركا كما انتشرت في اوربا فقال انها اليوم في العالم الجديد قليلة الانصار والدعاة ولكنها انتشرت انتشاراً هائلاً في النمسا وايطاليا وسويسرا والمانيا واسبانيا في المانيا ٣٠٠٨٠٠٠ اشتراكي وفي فرنسا ١١٢٠٠٠٠ اشتراكي وفي النمسا ٧٨٠٠٠٠ اشتراكي وفي البلجيك ٥٠٠٠٠٠ اشتراكي الولايات المتحدة ٤٤٢٤٠٠ اشتراكي وفي استراليا ٤٤١٢٧٠ و يبلغ عدد الاشتراكيين في بين القديم والجديد (اوربا واميركا) ٧٦٠١٣٨٤ اشتراكيا يصدرون ٦٣٨ جريدة منها ٧٧ يومية

القوة الكهربائية

قالت المجلة الفرنسوية : اخذ انتقال القوة الكهربائية يدعو الى قلب كيان الصناعة من حين الى آخر وخصوصاً في البلاد التي يتأتى لها الحصول على قوة محركة عظيمة بفضل انحدار المياه . وهذا من شأن بلاد السويد ونروج فان لها من ذلك الحظ الوافر ولذا لم يغفل اهل تلك البلادين عن استخدام ما خصتهم به الطبيعة من الشلالات فرأت مدينة لوند ان تستخدم بعض شلالاتها من نهر لاكا لتجهيز الكهربائية لعدة بلاد في جنوب السويد

الرئات تكون مرتعاً للسل وان لم يحدث عن ذلك الموت فان نصف السكان في مدينة نيو يورك مثلاً مصابون بمرض في الانسجة الرئوية يختلف شدة وخفة . وبذلك ثبت للباحثين ان جراثيم داء السل الوبيلة لا تنفذ الى الرئة الا بواسطة الغبار على الاغلب . وان هذه الجراثيم يبتلعها ابناء السبيل عند ما يجتازون بدار تهدم وبناية تهد و بمسكن ينفضون من نافذته او امام بابه البسط والطنافس بل يلتقطها الناس في كل مكان تنتشر فيه الجراثيم المعدية في الهواء المستنشق فينتج منها السعال والتهاب الشعب وذات الرئة ومرض الصدر . ولقد شوهد ان كثيرين ماتوا فجأة بينا كانوا مسافرين في الحوافل (الاومنيبوس) او في القطارات الى قضوا امداً طويلا في وسط طافح بحامض الكربون و بالجراثيم القتالة . وقد أُلفت في انكلترا عصابة تدعو الى تطهير الهواء من الجراثيم واخذت على نفسها مطالبة الحكومة بسن قوانين لحل مسألة الغبار وذلك باكراه الناس والتشديد عليهم في الحرص على نظافة الشوارع وداخل البيوت ورمز هذه العصابة (حفظ الصحة سلامة الانسان)

سم الطوابع

رأى بعض كبار الاطباء ان في تندية صمغ طوابع البريد باللسان ضرراً لا يقل عن التسمم بحال وانه ثبت بتتبع حوادث كثيرة ان أُناساً اصيبوا بامراض وانحراف في صحتهم لانهم يبلون الطوابع بريقهم ويقال ان اسباباً كيماوية حملت ذلك الطبيب على القطع بسم الطوابع ولا سيما الانكليزية منها لانها معمولة بصفار (الكروم) (معدن يتكون منه اللون اللامع) او كرومات الرصاص ومن رأي هذا الطبيب ان لا تلقى الطوابع في ايدي الاطفال لان وجهها ايضاً يحتوي على مادة سامة فاذا وضعوها على السنتهم تسمموا بها

سير العلم

نشوء الرسائل

انتدبت بعثة علمية من كلية مدينة شيكاغو للبحث في خرائب بابل فوفقت الى اكتشاف الفي لوح كتبت بالخط المسند البابلي يرد تاريخ معظمها الى خمسة آلاف سنة قبل المسيح . وقد جعلت هذه الالواح على اشكال شتى من الطول والعرض فكانت صورة اقدمها عهداً كصورة البرتقالة رسم عليها الكاتب بخط غليظ حروف الكتابة ثم حفظها في الشمس ولم يلبث هذا الشكل السمج ان استبدل به غيره وجعلت الرسائل تكتب على أُطر مسطحة مستديرة . وفي نحو سنة اربعة آلاف ق . م توصل البابليون الى استخدام الرسائل المسطحة

ترويض الجسم بالتنفس

المقتطف ــ اذا اراد الانسان ان يتمرن على التنفس بالحجاب الحاجز (الصدر مسيج بالاضلاع ومسدود من اسفله بعضلة مصفحة متينة هي الحجاب الحاجز وهو على شكل قبة) فليضطجع على الارض ويحرك بطنه ما استطاع عند التنفس ويمنع صدره عن الحركة ما استطاع بضغط اضلاعه بيديه وبعد ان يتمرن على ذلك مدة ليضع على بطنه كيساً من الرمل لا يزيد ثقله على اربعة ارطال مصرية وليعد التجربة . والتمرن على التنفس باسفل الصدر يكون والانسان واقف او مضطجع او جالس على كرسي ووجهه نحو ظهر الكرسي فاذا كان واقفاً او مضطجعاً فليضع يديه على اضلاعه السفلى بحيث تتماس اطراف الاصابع وليتنفس طويلا ويمنع بطنه وترقوتيه من الحركة ما امكن . والتنفس باعلى الصدر يكون باطالة النفس واجهاد الاضلاع العليا وابقاء البطن ساكنا على قدر الامكان مع عقد اليدين على الرأس . ويمكن التنفس برئة واحدة فاذا اردت التنفس بالرئة اليمنى مثلاً فارفع اليد اليمنى فوق رأسك وضع اليد اليسرى في ابطها وانحن عليها ثم تنفس وافعل عكس ذلك اذا اردت التنفس بالرئة اليسرى فقط

ومن الطرق التي اوصى بها الدكتور هري كمبل لتمرين الجسم بالتنفس قوله (١) قف منتصباً وتنفس تنفسا طويلاً عميقاً ثم اخرج النفس ببطء وسهولة وحاول ما استطعت ان لا تحرك بطنك (٢) اخرج النفس من صدرك وانت تنحني الى الامام ثم تنفس تنفسا بطيئاً (٣) تنفس تنفسا طويلاً ثم اخرج النفس وانت تنحني الى الامام (٤) قف مفرشخاً وخذ نفسا طويلا حرك به بطنك ما استطعت من غير ان تحرك صدرك ثم اتبع ذلك بزفير سهل بطيء (٥) اجلس على الارض وضع يديك في حضنك وانحن الى الامام ما وسعك ذلك وخذ نفسا عميقاً من بطنك وفمك مطبق ثم ارفع رأسك رويداً رويداً وضع يديك فوق رأسك وخذ نفساً عميقاً من صدرك ولا تجاوز مدة ذلك كله ست ثوان ثم اخرج نفسك متنهداً في ثانية واحدة . وينبغي ان يكون الهواء نقياً والجسم مجرداً من كل ما يعوق سير الدورة الدموية مثل القبات الضيقة والزنانير والمشدات وسائر الاربطة وان يكون الفم مطبقاً فيمر الهواء في الانف منقى من الغبار مسخناً

اغلاط المولدين

الضياء ــ فيه بحث مطول جليل في ان المجمع على صحته من اللغة هو كلام اهل الجاهلية ومن تلاهم من المخضرمين ممن نشأ قبل عهد الاسلام وهو الذي جمعه اصحاب المعجمات العربية من القرآن والشعر واثبتوه في مصاحفهم ويلحق به ما تلقوه عمن بقي لعهدهم من العرب الخلص

كما تجهزها لمدينة لوند نفسها وتألفت نقابة دانيمركية لابتياع هذه الشلالات واستثمارها. نهر لاكا فينبع من جبال سامالاند ويجتاز ولاية هالاند فينتهي الى لاهولم ويتألف مجراه شلالان عظيمان احدهما واسمه ماجفوس علوه زهاء ثمانية امتار وثانيهما اسمه كا... يتحدر من علو عشرة امتار. وستقيم تلك النقابة محطات كهربائية بالقرب من ذينك الشلا... فتنقل الكهربائية بالسلك البحري الى مدينه هلسنكبورغ على الشاطئ الجنوبي من الـ... ومن هناك تنتقل بالسلك من تحت البحر وتمر باورسند الى بلاد الدانيمرك وهذه الطريقة نقل القوة الكهربائية بالسلك البحري من مملكة الى اخرى سيكون منها وسيلة ... لانتشار الصناعة الكهربائية لجمعها بين اطراف بلاد السكاندينافيا من حيث الـ... الاقتصادية

الخطوط الحديدية

كان طول السكك الحديدية في العالم في نهاية سنة ١٩٠٣ ـــ ٨٥٩٣٥٥ ... منها ٤٣٢٦١٨ في اميركا او ٣٣٤٦٣٤ في الولايات المتحدة وحدها وفي اوربا ٢٩... وفي آسيا ٧٤٥٤٦ وفي استراليا ٢٦٧٢٣ وفي افريقية ٢٥٠٣٩ . وطول خطوط ... ٥٤٤٢٦ وروسيا في اوربا ٥٣٢٥٨ وفرنسا ٤٥٢٢٦ والامبراطورية الهندية ٤٨٢... واوستريا والمجر ٣٨٨١٨ وبريطانيا العظمى وايرلاندا ٣٦١٤٨ وكندا ٣٠٦٩٦ وللبج... المقام الاول في كثرة الخطوط الحديديه بالنسبة لمساحة ارضها ففيها ٢٣١ كيلو متر في مئة كيلو متر ثم تجيء حكومة ساكس ودوقية باد والالزاس لورين وبريطانيا وايرلا... وروسيا ونروج

سرعة المناطيد

نشرت احدى الجرائد البلجيكية المنصرفة الى البحث في المناطيد (البالونات) جد... قالت فيه ان العارفين بتسيير المناطيد في الاجواء لا يشكون في المسافة المعينة التي تقطع على نسبة قوة الهواء وسرعة المنطاد واليك الجدول في سيرها :

	في الثانية	في الساعة
	متر	كيلو متر
ريح خفيف	٠ر٥	١ر٨٠٠
نسيم ساكن	١ر٠	٣ر٦٠٠
ريح معتدلة	٢ر٠	٧ر٢٠٠



اي الذين لم يختلطوا بالاعجام وهم اهل البادية واما ما سوى ذلك من كلام المولدين وهم اهل الامصار فالمقبول منه ما كان قائله من علماء العربية فاذا اتى باللفظة المحدثة جاء بها على اسلوب العرب وطريقتها . وبعد ان اورد ما وقع لبعض المولدين من اصحاب المعاجم والدواوين والادباء من الاغلاط في الشعر غالبًا مما لا يكاد يخلو منه ديوان من دواوين المولدين ليوجب بذلك التثبت عند النقل عنهم قال انهم لم يكونوا ابعد من اهل هذا العصر عن الخطإِ واللحن وان تقدم زمانهم قال ومما ذكرنا في هذا الفصل تعلم مرادنا بما طالما حثثنا عليه من التزام طريقة العرب في الوضع والقصد من ذلك انما هو الحرص على وحدة اسلوب اللغة وتواطؤ قديمها وحديثها على وجوه من الوضع لا تنافر بينها ولا تباين وهذا انما يكون بمتابعة سنة الواضع في صوغ القوالب اللفظية وتفريع بعض المعاني من بعض بحيث تتوفر المجانسة بينها ويتهيأ رد كل فرع الى اصله وهو ما يشف عنه صنيع الواضعين الاولين فيما نقل الينا من الفاظهم الا ما شذ من ذلك

تأديب الاحداث

المشرق — نشر الوصية المعزوة الى افلاطون وهي مترجمة بقلم اسحاق بن حنين الناقل المشهور على عهد الخلفاء العباسيين جاء فيها : ايها الاخوة المحبون للعلم اسمعوا واحفظوا وصاتي فاني كأحدكم كنت لما احببت العلم فاني كاتب لكم مقالة سهلة أُبين لكم المدخل الى العلم بكل صناعة نظيفة التي يتنعم بها ويلذها كل محب متعلم فأول ذلك ان تكونوا طاهرين لا عيب فيكم قبل ان تشرعوا في هذا العلم فانه لا يجب ان تتقرب الاشياء الطاهرة الى الاشياء الدنسة ولا الاشياء الدنسة الى الاشياء الطاهرة ولا تعلموا الذين ليسوا طاهرين بل الذين هم اطهار ابرار طهارة حسنة ولا يقرب ذو العيب الدنس من المبرَّإِ من الدنس وليعلم انه لا يستطيع مكيال من ماء عذب صاف لطيف يقاوم جب حمأَة منتنة ولا تقوى العين الرمدة على خرق شعاع الشمس . لا يكون ادب النفس في بدن قد استجنَّ فيه الجهل والشره لا قبح اقبح بالعاقل من ان يوسم نفسه عند الناس بالعقل ويأمرهم به وهو خلو منه صفر الادب مرتكب للمآثم . قال وينبغي للاحداث ان يأخذوا طرفًا من الاسباب التي يحتاج اليها في تدبير الحروب وترتيب الصفوف وتعلم المثاقفة والرمي والمصارعة والطلب والهرب من غير استهانة ولا انهاك فيه وليتعودوا ركوب الخيل وجريها والعمل بالسلاح . وينبغي ان ينظروا في الموسيقى فانه من التعاليم الاربعة (وهي التصوير ونحت التماثيل والموسيقى والرقص) حتى يقفوا على المناسبات وتأليف اللحون واصناف ما ينسب اليها من العود والمعرفة بسائر آلات الموسيقى وافضلها الارغن التي عليها ثمانون وترًا مهيأَة على الطبائع الاربع